MA ARABIC SECOND YEAR

INDO ARABIC LITERATURE

Study Material
Prepared by

Muhammed Shareef.M.M
Assistant Professor
P.G.Department of Arabic
Sir Syed College,Taliparamba

المحتويات

1) نشأة اللغة العربية وتطورها في الهند	3
2) رواد الأدب العربي في الهند ومساهمتهم فيه	8
3) التعريف بالمؤلفات العربية لعلماء الهند	57
4) اللغة العربية فى كيرالا	65
5) المسلمون في الهند	90
6) تحفة المجاهيدن في بعض أخبار البرتغاليين	232
7) القصائـــــد العربيـــــــة	242
8) حـجـــة اللـــه البـالـغـــــة	249
9) الأسئلة النموذجية	254

Unit 1- General Study

نشأة اللغة العربية وتطورها في الهند

دخلت اللغة العربية في الهند بواسطة تجار العرب، الذين يتجرون في سواحل الهند. فانتشرت في أول الأمر في الناحية السواحيلية فقط. وبعد دخول الإسلام وانتشاره في سواحلها والمناطق الأخرى أخذت اللغة العربية تنتشر في جميع نواحي الدولة بواسطة الدعاة الإسلامية. ولهذا الانتشار جهتان أيضا، جهة دينية وجهة سياسية. إذ انتشرت اللغة العربية في جنوب الهند بواسطة الدعاة تحت إشراف مالك بن دينار في عهد النبي (ص)، انتشرت في شمال الهند تحت الدولة الإسلامية منذ بداية العهد العربي في السند تحت قيادة محمد بن قاسم الثقفي. واستمر انتشار هذه اللغة في الجنوب في المجال الدينى والتربوي في حين اضمحلت في الشمال في المجال السياسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر إذ نفي بهادر شاه ظفر الثاني، الإمبراطور المغولي الأخير إلى بورما (ميانمار حاليا) في عام 1857م، بل استمر ونضجت في المجال الدينى والثقافي.

ولم تحظ هذه اللغة درجة اللغة الأولى في أي بقعة من بقاع الهند عبر العصور الإسلامية الطوال سوى سواحل الهند العربية. والسبب لهذا فقدان الحكومة العربية في الهند طوال العصور الإسلامية. غير أن اللغة العربية صارت سائدة في مناطق السند وفي مناطق الساحلية في جنوب الهند، يفهمها سكانها ويتكلمون بها، وذلك للعلاقات السياسية والتجارية الوطيدة بين هذه المناطق والعالم العربي مباشرة. يشير إليها الرحالة والجغرافيون العرب الذين زاروها حتى القرن الرابع الهجري أمثال السعودي والاصطخري.

الدوافع الدينية ودورها في انتشار اللغة العربية في الهند:

الدافع الديني هو أهم العوامل التي ساعدة لتطور اللغة العربية وآدابها في أرجاء شبه القارة الهندية. فالقرآن الكريم لا بد أن يتعلمه المسلمون جميعا لفهم رسالة التوحيد ومبادئ الأخلاق

الحسنة. وظل القرآن والحديث الشريف على رأس المنهج التعليمي الإسلامي. فانطلق المسلمون الجدد من أهالي الهند إلى تعلم القرآن للتلاوة. ولما كثر عدد المسلمين في الهند وصاروا مجتمعا مستقلا من المجتمعات الأخرى، احتاجوا إلى الشريعة الإسلامية للقضاء فيما يتعلق بالمسلمين من الأحكام الدينية في العبادات والأحكام المدنية والجنائية في الحياة الاجتماعية . فتضلع العلماء المسلمون الهنود في العربية لكي يفهم أحكام الشريعة الواردة في القرآن والحديث بصفة عامة وفي ذخيرة الفقه الإسلامي في صفة خاصة حتى يتولوا مناصب القضاة المدن ويعد القرآن أكبر عامل لتطور اللغة العربية، إن أنه تفجر منه العديد من العلوم الدينية وتوسع نطاق العلوم الإنسانية الموضوعات المتنوعة. فنظر العلماء في القرآن واستخرجوا منه علوما جديدة تندهش بها العقل، كما أضافوا إلى العلوم المتواجدة فروعا عديدة. وبرعوا في مختلف المجالات من العلم والفن والمعرفة، فأتى العلماء المسلمون باستكشافات عجاب في الرياضيات، والفلك، والنجوم، والكيمياء، والطب، والجغرافيا، والاجتماع، والاقتصاد، والتاريخ، والفلسفة، والمنطق، وعلوم الدين، واللغة والقواعد، والأدب العربي،...

والحديث النبوي العامل الثاني الذي لعب دورا بالغا في نشر اللغة العربية في العالم العربي وفي الهند أيضا. إذ اهتم علماء المسلمين الهنود بالحديث اهتمام بالغا، حتى ألف عديدا من الكتب في الحديث وفي علم الحديث. ويعتبر علماء الهند هم أكثر إنتاجا في علم الحديث.

اللغة العربية وتطورها في العهود الإسلامية المختلفة

العهد العربي (92- 387هـ)

بدأت للغة العربية والثقافة الإسلامية تتسرب إلى داخل أراضي الهند من جديد بجهود أولئك العرب الذين أسسوا دولة إسلامية مستقلة في المناطق الغربية للهند واستقروا فيها. ففي العهد العربي في تلك المنطقة الذي استمر إلى أكثر من قرنين، قدم إلى الهند أعداد كبيرة من العلماء العرب، وبذلوا جهودا مشكورة في تنمية الثقافة العربية والإسلامية في الهند.

وأخذت اللغة العربية والثقافة الإسلامية تنمو وتزدهر في مناطق غوجرات Gujrath من القرن الثامن الهجري تحت ظل الدولة المظفرية الإسلامية. وأن للحكومة العربية في السند دورا كبيرا وتأثير أعمق في انتشار اللغة العربية في تلك المنطقة الهندية. وقد أنجبت هذه الأرض الخصبة عديدا من العلماء والشعراء مثل الشاعر أبي عطاء السندي، والمحدث الشهير أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني الذي يعد من أقدم الكتاب في السيرة النبوية. ولكن صارت اللغة العربية في ظل الحكومة العربية في المناطق الديبل، والمنصورة، وملتان، وقصدار.

العهد الغزنوي (387 – 547 هـ – 997 – 1152)

كانت اللغة العربية لغة رسمية في معظم مناطق غوجرات حتى بداية العهد الغزنوي، ولكن اللغة الفارسية احتلت مكانة اللغة العربية بنزوح العلماء من بلاد ما وراء النهر وخراسان. قد قدم في هذا العصر المحدث المشهور محمد إسماعيل. وأنجبت الهند في هذا العهد مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري الذي يعتبر حتى الآن أول شاعر عربي فاق أترابه في الأدب والعلم.

العهد الغوري (582 – 602 هـ/ 1182- 1206 م)

ومن أشهر الشخصية الإسلامية في هذا العصر خاجه الدين الجشتي الذي قدم إلى الهند في عام 1236م. ولكن لا يوجد في هذه الفترة أي إنتاج أدبي علمي بالعربية الشبه القارة الهندية.

دولة المماليك (582-602 هـ/ 1182- 1206م)

أصبحت مدينة دلهي من أهم المراكز الإسلامية والعربية لكونها عاصمة الدولة المسلمة الجديدة التي أسسها قطب الدين. وفي هذا العهد هاجر عدد كبير من العلماء الكبار إثر تدمير بخارا على يد جنكيز خان ، وبدأت على أيدي أولئك العلماء المهاجرين حركة عملية عظيمة في اللغتين العربية والفارسية. وقد أصبحت دلهي تضاهي المدن المشهورة في العالم العربي كبغداد، والقاهرة، وبخارا. وأبرز العلماء في هذا العصر هو الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني

اللاهوري مؤلف " العباب الزاخر واللباب الفاخر" في عشرين مجلدا، الذي يعد من مراجع اللغة العربية.

العهد الخلجي (689 – 720 هـ/ 1290 – 1320م)

في هذا العهد ألف كتبا قيمة عديدة في موضوعات مختلفة. ومن العلماء البارزين لعبوا دورا بارزا في في تطوير الأدب العربي في هذا العصر هم الشيخ نظام الدين محمد بن أحمد المعروف بنظام الدين أولياء، والشاعر المشهور أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي الذي تمهر في العلوم العربية العديدة . وقد قدم خسرو أمثلة من شعرة العربي في كتابة " إعجاز خسروي"

الدولة التغلقية (720- 815هـ/ 1320 – 1440)

أدى مؤسس الدولة التغلقية غياث الدين تغلق ومحمد بن تغلق يحبان العلم والعلماء ويبذلان جهودا مشكورة لتنشئة العلوم الإسلامية والعربية. ويعد عهد فيروز تغلق، صاحب بعض المؤلفات، يعد من أفضل العهود الإسلامية في الهند علما وثقافة وأدبا وفنا. ومن أشهر العلماء في هذا العصر الشيخ أبو بكر بن تاج الدين ملتاني الحنفي الصوفي صاحب "خلاصة جواهر القرآن"، و" خلاصة الأحكام بشرائط الإيمان والإسلام". والقاضي حميد الدين الدهلوي، صاحب شرح " الهداية" وحسام الدين الدهلوي صاحب " بحار الزخيرة". ويمتاز هذا العهد يزيارة مجدد الدين الفيروز آبادي الذي ألف القاموس الشهير الذي اشتهر في العالم العربي كله.

العهد اللودي : 855 – 930هـ / 1451- 1526)

وفي هذا العهد أصبحت مدينة آكره عاصمة الهند. فشاهدت هذه المدينة تطورا كبيرا حتى أخذت تضارع مدينة دلهي علما وثقافة وأدبا. وممن جاء إلى هذه العاصمة الجديدة هو المحدث الكبير رفيع الدين الشيرازي الذي بضل جهدا مشكورا في نشر الحديث وعلومه في هذه البلاد. وقد

أسست دويلات عديدة في المناطق المختلفة لربوع الهند خلال الدولة اللودية التى استمرت من الفترة ما بين 1414 إلى 1526 م.

دويلة في بنغال: لم تزدهر الثقافة العربية في هذه المنطقة مثل ازدهار الثقافة المحلية والفارسية. وكانت مدينتا "لكناوتي" و "مرشد آباد" أشهر المراكز الإسلامية والعربية في بنغال.

دويلة غوجرات: وقد أنجبت هذه الدويلة عددا كبارا من العلماء المشهورين في الأدب العربي، أمثال علي بن أحمد المهائمي، صاحب كتاب "تبصير الرحمن وتيسير المنان" في تفسير القرآن. وقد أصبحت مدينة أحمد آباد من المراكز العربية والإسلامية الكبري، واستقبلت عديدا من التجار والعلماء العرب.

العهد المغولي (933- 1273هـ / 1526 – 1857م)

الإمبراطورية المغولية تعد من أقوى الحكومات الهندية على الإطلاق. وقد أسسها طهير الدين بابر عام 1526 واستمرت حت اندلاع ثورة الهند الكبري علم 1857م. ولهذا الدولة دور عظيم في نشر العلوم الإسلامية والعربية في البلاد. ومن العلماء الأفذاذ الذين نالوا شهرة في هذه الإمبراطورية الواسعة الأطراف أبو الفيض فيض، والشيخ عبد المحدث الدهلوي، وعبد الليم السياكلوتي، وشاه ولي الله الدهلوي، وغلام آزاد البلغرامي، ومب الله البيهاري، والشيخ أحمد السر هندي مجدد الألف الثاني، ومحمد جونفوري، وعبد الباقي، ومحب الله الإله آبادي، وغيرهم.

رواد الأدب العربي في الهند ومساهمتهم فيه

1) **الإمام شاه ولـــي الله الدهـلوي :** هو شيخ الإسلام حكيم الأمة حجة الأنام أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي العمري. ولد في الرابع من شوال سنة 1114هـ/ 1702م، ببلدة فلت الواقعة على مسافة من دهلي بمقاطعة مظفر نكر. ويصل نسبه إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق. وكانت أسرته عريقة في العلوم والتقوى، واشتغل كثير من أجدادهم بالقضاء والفتيا والتدريس أيام حكم المسلمين في الهند. وكان والده الشيخ عبد الرحيم من ضمن العلماء الذين رتبوا الفتاوى الهندية حسب طلب من السلطان أورنغ زيب عالمكير. وهو الذي أسس في دهلي المدرسة الرحيمية التي ظلت منارة العلم والهدى زمنا طويل. وفي أيام الدهلوي ضعفت دولة المغول واقتصرت سلطتهم على داخل مدينة دهلي، وبالأحرى نقول داخل القلعة الحمراء.

بعد أن تلقى مبادئ العلوم في موطنه فلت، انتقل الإمام ولي الله إلى مقر أبيه بدهلي، وتعلم فيها وعاش معظم أيامه هناك. وانتهى من دراسة العلوم وهو ابن 15 سنة، وبعد وفاة والده اشتغل بتدريس الكتب الدينية والعقيلة زهاء اثنتي عشرة سنة. واستطاع أن ينقح من العلوم ما قد درسها سابقا، كما استزاد منها مما تقتضيه مهمة التدريس، فتضلع في علوم ومعارف أخرى، وبعد دراسة المذاهب الأربعة وكتبها والأحاديث التي تستدل بها هذه المذاهب، عرف ببصيرته أن الطريقة الناجح هو طريق الفقهاء والمحدثين.

وبعد ذلك سافر إلى الحرمين، وحج مرتين. وفي أثناء إقامته في الحرمين أربعة عشر شهرا استفاد من معظم العلماء، وسمع منهم وروى الحديث عنهم. ومن أخص أساتذته الشيخ أبو طاهر المدني الذي أجازه إجازة شاملة. وذكر نشاطته العلمية بالحرمين في رسالة سماها "إنسان العين في مشائخ الحرمين"، . فقد قرأ الموطأ للإمام مالك بن أنس برواية يحيى بن الصمودي كاملا على الشيخ محمد وفد الله المالكي بكمة المكرمة، كما قرأ الحديث أيضا على

الشيخ تاج الدين القلعي الحنفي مفتي الحرم المكي، وتلقى عن الشيخ أبي طاهر محمد الكردي الشافعي أكثر مما تلقى عن غيره، فقرأ عليه صحيح الإمام البخاري كاملا وكتبا أخرى منها حزب البحر للإمام الشاذلى وقوت القلوب للإمام أبي طالب المكي. وهو لم يكن يدرسه فحسب، بل كان له المربي والمرشد الروحي.

رجع الإمام الدهلوي إلى الهند عام 1733 واستأنف التدريس في المدرسة الرحيمية، وظل يواصل تدريس الحديث مدة طويلة وكان التدريس شغله الشاغل وهمه الأكبر. وقد حظيت علوم الحديث بقسط وافر من مهمته التدريسية، فقد كان مفسرا ومحدثا وفقيها ومتكلما وصوفيا وفيلسوفا ومبدعا وشاعرا في العربية والفارسية مما جعله شخصية رائدة في القرن الثاني عشر الهجري لا في الهند فحسب، بل في العالم الإسلامي كله. ورأى أن التعاليم الإسلامية لن تبقى في صورتها الحصيحة ما لم يبق نظام الحكم الديني في الهند، كما بصّر المسلمين بإحياء التعليم الديني للمحافظة عل كيان الدين الإسلامي في هذه الديار. وأدرك الشاه ولي الله أهمية ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية ، لانها كانت وقتئذ لغة التفاهم والتأليف ولغ الدولة الرسمية، وأكمل ذلك ثم ألف عدة رسائل في أصول تفسير القرأن الكريم مستمدا أفكاره في ذلك من أمهات كتب التفسير السابقة.

أبناؤه وتلامذته:

ومن تلامذته الأعلام السيد محمد مرتضى الزبيدي البلكرامي صاحب تاج العروس شرح القاموس، وإتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين.وقد قضى الزبيدي مدة طويلة يأخذ عنه وتربى لديه تربية روحية. ومن أشهر تلميذه القاضي ثناء الله الباني بتي. والشيخ إبراهيم أفندي أمين الله النكرنوي، والشيخ بدر الحق الفلتي، والشاه جار الله بن عبد الرحيم اللاهوري، والسيد جمال الدين الرامفوري، والشاه أبو سعيد الحسني الراني بريلوي،

والشاه محمد نعمان الراني بريلوي والشيخ خير الدين السورتي، والميرزا رستم علي بيك، وغيرهم.

وقد خلف الإمام ولي الله الدهلوي أربعة أولاد كلهم نجباء ورثوا عنه علومه ومعارفه وهم: الشاه عبد العزيز الدهلوي والشاه عبد القادر الدهلوي والشاه رفيع الدين والشاه عبد الغني. وكان الشاه عبد العزيز الدهلوي أعظمهم شهرة وأغزرهم علما، وله مؤلفات كثيرة ، منها بستان المحدثين وتحفة الاثنا عشرية، والتفسير العزيزي، والعجالة النافعة والفتاوى العزيزة. وكان نابغة زمانه. والشاه عبد القادر هو الذي قام بترجمة القرآن إلى اللغة الأردية، اما الشاه عبد الغني فقد توفي في شرخ شبابه، ومن أسرته الشاه إسماعيل الشهيد الذي تزعم الحركة الإصلاحية الثورية، واستشهد في معركة بالاكوت وهو صاحب الكتاب المشهور " تقوية الإيمان في علم التوحيد".

ومن الجدير بالذكر أن جميع المدارس الفكرية الإسلامية والمعاهد الدينية في الهند، تم تأسيسها على أيدي تلامذة أبناء الإمام ولي الله الدهلوي، فإن الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم ديوبند، والشيخ محمود الحسن المعروف بشيخ الهند مؤسس الجامعة الملية الإسلامية. والشيخ مظهر نانوتوي الذي أسس جامعة مظاهر العلوم بسهار نفور والسير سيد أحمد خان مؤسس الجامعة الإسلامية بعليكره – كلهم تلقوا العلوم من أبنائه وتلميذه. كما أن العلامة السيد صديق حسن خان والشيخ أحمد علي السهار نفوري والعلامة شبلي النعماني. والشيخ يعقوب المجددي وغيرهم من المفكرين المؤلفين استقوا من المدرسة الفكرية التي أنشأها الإمام الدهلوي.

عاش الإمام الدهلوي في عصر شاع فيه الجهل وكثر المتعالمون والمتصوفون الجهل الذين يتبعون أهواءهم ويعجبون بأنفسهم. وهو يقول : إننا في زمان الجهل والعصبية واتباع

الهوى وإعجاب كل امرئ بآرائه الرديئة، وأن المعاصرة أصل المنافرة، وقال أيضا: ' وإني بزمان اندرس فيه معالم العلم، وشيد منابر الجهل'. ويقول عن الحكام: ' وما تراه من ملوك بلادك يغنيك عن حكايتهم' . ويقول كان التقاعد عن الجهاد في مثل هذا الزمان تفويتا لخير كثير.

وقد أدرك الإمام ولي الله الدهلوي بأن الدولة الإسلامية في الهند كادت تسقط تسوء سياسة حكامها. وعلم أن داء الأمة الخطير هو التعصب والتحزب، وأنذر المسلمين في شبه القارة الهندية بالمصائب العظام التي تحيط بهم، كما ذكرهم بأنهم آن الأوان لقيام نظام جديد مكان الأنظمة الفاسدة . والنظام الذي يقدمه الإمام فهو أقرب إلى النظام الديمقراطي، لا يقوم على الوراثة بل على الشورى والحفاظ على حقوق المواطنين. وقد أدت هذه الحالة الحرجة الفوضوية إلى غارات الملك نادرشاه الإيراني على دهلي فدمرتها وارتكبوا أعمالا بشعة.

وقد استدعى الإمام ولي الله الدهلوي الملك الأفغاني أحمد شاه أبدالي لقمع الثوار من الشيخ وقبائل الجاط والمراتها الذين أكثروا الفساد والنهب والدمار وفتك الأعرض، فاتسجاب الملك وقام بتسع غارات على هؤلاء المتمردين وهزمهم، سبع منها في أيام الإمام ولي الله الدهلوي. وبعد عودة أمحد شاه إلى أفغانستان ثاروا مرة ثانية وتحالفوا مع الإنجليز حتى قضوا على حكومة دهلي.

دوره في الإصلاح الفكري:

يقول الشيخ عبد الحي الحسني في كتابه نزهة الخواطر: ' إن الشيخ ولي الله مثله مثل شجرة طوبي، أصلها في بيته، وفرعها في كل بيت من بيوت المسلمين'. وهذا الكلام يوضح دور الإمام الدهلوي في إصلاح العقائد والعادات التي أفسادتها لبدع والمنكرات، وهو يقول: أريد أن أوصيكم بشدة ألا تضعوا أيديكم في أيدي مشائخ هذا الزمن الذين قد ابتلوا بشتى أنواع

البدع ولا تبايعوهم " وكان يقول عن دوره في الإصلاح: ' إنه أراد القيام في زمنه بالمهمة الموكولة إلى يوسف عليه السلام في عصره'.

بجانب جهودة لإصلاح الفساد في مجال الحكم السياسة، حاول لإزالة الفرق بين المذاهب والتقريب بينها. ومن أهم ما قام به إثبات عقائد أهل السنة بدلائل وحجج وتهيرها من شوائب أهل الكلام والمنطقيين المتأثرين بالفلاسفة اليونانيين، ونصح الأمة بأخذ الموقف المعتدل في المسائل المختلف فيها. وصنف في هذا الموضوع كتابه " الإنصاف في بنان سبب الاختلفة في الإسلام مبنية على التسامح والتفاهم والاحترام لأنمتها، إلا أنه كان يريد أن يقدم الإسلام في صورته الحقيقية الصافية النفية من جميع الشوائب. وكان فكره موضوعيا وجهد قويا في تبليغ الدين بالصدق والأمانة. وقد نفخ روحا جديدة في الفكر الدينى وثبت حجية الحديث وجاهد يقلمه في إصلاح الأمة فكريا وثقافيا.

وقد مضى الإمام بهذه الفكرة المستنيرة يفتش عن أسباب الخلافات العقدية بين مختلف طوائف المسلمين، ووجه جهوده إلى البحث عن أوجه التوافق بينهم، وحاول التقليل من فجوة الخلافات بين أصحاب المذاهب ورجال الطرق الصوفية. ووكان أصحاب المذهب الواحد أو المدرسة الفكرية الواحدة لا يدرسون كتب المذاهب والمدارس الأخرى إلا للرد عليهم والنيل من سأنهم. وجهود الشاه ولي الله للتقريب بين المذاهب المختلف- على الرغم من عدم فبولها لديهم- صارت سببا لتغيير الاتجاهات الفكرية بين العلماء.

إن وجهة نظره في قضية اختلاف أهل السنة مع الشيعة الإمامية كانت واقعية ومعتدلة. وقدّم برنامجه لإصلاح الأمة وإعادة النهضة الإسلامية. وبدأ حركة الاجتهاد الفكري والفقهي وتجنب التقليد الأعمى للمذاهب وأنشأ المدرسة الكبيرة لإعداد علماء يتميزون بالتوسع والتسامح في الفكر والتقديم. يقول الأستاذ المودودي رحمه الله: ' إن الإنسان يستغرب حين يقارن بين

البينة التي نشأ فيها الإمام الدهلوي وبين الأعمال العلمية الفذة التي قام بها بأن يسأل كيف ظهرت مثل هذه العبقرية وسط تلك الأوضاع الحرجة'.

توفي الإمام الدهلوي عام 1763 بالغا من العمر واحدة وستين سنة. وشيع جثمانه ودفن بقرب من قبر والده الشيخ عبد الرحيم في مقبرة مهديان بدهلي.

مؤلفاته: وقد ألف جميع كتبه على ثقة منه أنها سوف تفيد الناس وتنير طريقهم في العقيدة والعبادات وهو يقول ' وأظن أن علومي تبقى في الناس' وقد كتب ما يربو على مائتين كتاب بما فيه الرسائل الصغيرة، ثلاثون منه في العربية، ومن أبرز كتبه العربية:

1. **حجة الله البالغة:**وسنفصل الكلام عنه في باب خاص
2. **إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء:**

هذا الكتاب الفارسي الأصل حول الخلافة الإسلامية. ويبين خصائص النظام الاجتماعي والسياسيّ في الإسلام. ويتكل عن الخلافة التي تمثل الصورة التطبيقية لهذا النظام. ويثبتها بالأدلة العقيلة والنقلية.

كما يشتمل الكتاب على فوائد أخرى نفيسة وتحقيقات نادرة لا توجد في كتب التاريخ. منها تحديد القرون الثلاثة وبيان الفرق بين الخلافة والملوكية، وشرح الملك العضوض المشار إليه بداية الخلافة الزائغة منذ عهد عبد الملك بن مروان. وقد بسط الحديث في ذكر فقه الفاروق عمر رضي الله عنه وقضاياه الذي هو الآخر مرية لهذا الكتاب. ويعد الإمام الدهليوي مقتل عثمان رضى الله عنه الفتنة الأولى التي هزت أركان الخلافة الراشدة، كما أن شهادة الحسين رضي الله عنه تعد الفتنة الثانية. وكان يرى تحويل العاصمة الإسلامية من المدينة إلى دمشق خطرا أذهب مهابة الخلافة الراشدة من نفوس الناس.

3. **التفهيمات الإلهية:**

هذا الكتاب يحتوي على خطبه حول موضوعات مختلفة تتعلق بالدين والتصوف ينتقد فيه مزاعم الصوفية الباطلة. وقد أنكر الإمام التفاليد الوثنية والبدع والشعائر غير الإسلامية التي تسربت إلى المجتمع المسلم بسبب الاختلاط المستمر بالهنادك وعدم الاهتمام بالسنة وغفلة العلماء وتقصيرهم، وعدم شعور الحكومة المسلمة بمسؤوليتها، ومن تلك العادات بقاء المرأة المتوفى عنها زوجها بلا زوج ومغالاة المهور والإسراف في مناسباب الأفراح وتقاليد الأعياد والمآتم.

وله كتب أخرى في مختلف الفنون. منها " البدور البازغة" وهو عمل موسوعي يتناول شتى جوائب الدين والتصوف وفلسفته. وكتاب الفتح المنير في غريب القرآن، وفيوض الحرمين، والمسوّى في شرح الموطا ، والإنصاف في بيان سبب الاختلاف، وتأويل الأحاديث، وحسن العقيدة، والمقدمة السنية في انتصار الفرقة السنية.

بجانب هذا كان الإمام ولي الله الدهلوي شاعرا موهوبا، وشعره يماثل، بل يفوق صناعة الشعراء العرب المفلقين. وقد خلف ديوانا عربيا جمعه يعده ولده الشيخ عبد العزيز. ومنه قوله في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

سـلالة إسـمـاعيـل والـعـرق نـازع

وأشـرف بـيـت مـن لـؤي بـن غالـب

بـشـارة عيـسى والـذي عـنه عـبروا

بـشـدة بـأس بالـضـحـوك الـمحارب

ومـن أخبـروا عـنه بأن لـيس خلقـه

بفظ وفي الأسواق ليس بصاخب

ودعوة إبراهيم عند بنائه

بمكة بيتا فيه نيل الرغائب

جميل المحيا أبيض الوجه ربعة

جليل كراديس أزج الحواجب

صبيح مليح أدعج العين أشكل

فصيح له الإعجام ليس بشائب

وأحسن خلق الله خلقا وخلقه

وأنفعهم للناس عند النوائب

وأجود خلق الله صدرا ونائلا

وأبسطهم كفا على كل طالب

وأعظمهم حرا للمعالي نهوضه

إلى المجد سام للعظائم خاطب

ترى أشجع الفرسان لاذ بظهره

إذا احمر بأس في بئيس المواجب

وآذاه قوم من سفاهة عقلهم

ولم يذهبوا من دينه بمذاهب

فما زال يدعو ربه لهداهم

وإنكان قد قاسى أشد المتاعب

وما زالعفو قادرا عن مسينهم

كما كان منه عند جبذة جاذب

وما زال طول العمر الله معرضا

عن البسطفي الدنيا وعيش المرازب

بديع كمال في المعالي فلا امرؤ

يـكـون لــه مـثلا ولا بـــــمـقارب

أتانا مقيم الدين من بعد فـتـــرة

وتحر يفأديان وطول مـشـــاغـــب

فيا ويل قوم يشركون بـربـــــهم

وفيهم صنوف من وخيم المثـالــب

2) فضل الحق الخيـر ابادي:

هو أحد العلماء المشاهير في القرن الثالث عشر الهجري، ولد في قرية خير آباد بمديرية سيتابور في الإقليم اشمالي الهندي عام **1212هـ**. وكان والده فضل إمام موظفا في الدولة الإنجليزية، وكان على علاقة وثيقة مع الملك المغولي أورنك ريبعالمغير، وهو أحد المرشحين بتدوين الفتاوى اهندية المعروفة بالفتاوى العالمغيرية مما أكسب له شهرة بين العلماء والحكام. وقد درس فضل الحق المنطق والفلسفة مما كتبه والده، وأما علم الحديث فإنه تلقاه من الشيخ عبد القادر بن الشيخ ولي الله الدهلوي، وحفظ القرآن بأربعة شهور مما صار مضرب المثل في قوة الذاكرة وحسن السماع والفطنة. وقد أشاد بمقدرته العلمية العلامة عبد الحي اللكنهوى وهو يقول: ' إنه فاق أهل زمانه في الخلاف والجدل والميزان والحكمة واللغة وقرض الشعر'. ويقول الأمير صديق حسن خان: إنه إمام وقته في العلوم الحكمية والفلسفية بلا مدافع. وقد شغل هو أيضا منصبا في الولاية الإنجليزية في ديوان الإنشاء، إلا أنه خافهم منذ ثوره 1857 وانضم إلى القائد الأمير جوان بخت بن السلطان سراج الدين بهادر شاه، وأصدر فتوى الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية مما غضب عليه .

مساهمته العلمية:

وقد أوتي الشيخ فضل الحق قسطا وافرا من العلوم النقلية والعقلية بجانب ملكته في اللغة العربية، وقد كتب في الفلسفة كثيرا ومن أبرزها: الجنس الغالي شرح جواهر العالي، وروضة الموجود في تحقيق الوجود، وحاشية أفق المبين وحاشية شرح سلم القاضي. والذي خلد ذكره هو كتاب الهدية السعدية، جمعه من الدروس التي كان يمليها على ابنه عبد الحق، وأكب عليه طلاب العلم والأستذة مما صار له القبول الطيب، وتم إدراجه في المقررات الدراسية في الهند. وكتابه شرح سلم للقاضي مبارك هو الآخر شهرة بين المؤلفات العربية الهندية في الفلسفة. وحين نفاه الإنجليز إلى جزيرة أندمان سأله سائل: ما ذا تركت في الهند، فأجاب: تركت هناك عبد الحق- يعني ابنه – وشرح سلم للقاضى المبارك. كما كان مضطلعا في الفقه الحنفي، يدل عليه كتابه ' تحيقي الفتوى في إبطال الطغوى'. وقد خاض هو وغيره من العلماء غبار الجدال مع مولانا إسمعيل أحمد الشهيد في المسائل الفقهية، ويأتي تأليف هذا الكتاب ردا شافيا ودحضا لما عليه معارضوه. ونراه يلجأ إلى الثوابت المنطقية والفلسفية في إثبات دعواه.

وأما في مجال الشعر فإنه يعد رائد تاريخ النهضة الحديثة في الشعر العربي الهندي. وكان شعره مرآة لمشاعره النفسية وتجاربه العاطفية، يلمح فيه آمال شعبه وصوّر فيه مصاعب عصره أورع تصوير. ويبلغ أبياته أربعة آلاف مما يجعله في طليعة شعراء العربية في الهند. ومعظمها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. وله في الشعر ' مجموعة القصائد' وهي في المدح والرثاء. وقد ذاع صيته بقصيدته المعروفة بفتنة الثورة الهندية التي تحتوي على 186 بيتا. وهي تبلور الظروف القاسية التي يمر بها المسلمون أثناء الثورة. يصور فيها المعاناة والمضايقات التي كان يعاني منها الشعب، مما أرهف مشاعره وشحذ وجدانه وتفجرت كالسيل العرم ومنها:

إذ كنت في عيش رغيد رابــغ هجم الكروب وفاجــأت أرزاء
قد ضيقوا عيشي علي فعفــته ونسيت عيشا كان فيه رخـــاء
حجروا علي وأسكنوني حجرة لم يأتها غير السمـوم هـــواء
منعوا أشد المنع ان يلقانـــي الأحباب والإخوان والأبـــنـــاء
وسلبت أثوابي وبعد تجردي للبس أعطى ميزر وكســـــاء
لم يكتفوا بحبسي بل ربـــا فوق حبســـي غربة وجـــلاء

ثم يصور اعتداءات الإنجليز على المسلمين قائلا:

قد سلط الأنصار في أمصـــارنا أن صار أنصارا لهم سـفـــهاء
والأن إذ نصر النصاري أفرطوا في الظلم فاخترم الضعاف جفاء
غالوا بر اياهم بر ايا غيـــلـــة فجرت كما انفجر العيون دمـــاء
كم خـربوا بـــلدا ولم يذروا به بلدا فصـــار كأنـــه بـيـــداء
هدوا المساجد والقصور كأنها لم تبن لم يك ثم قـط بـــنـــاء

ومن قصائده في مدح الرسول:

حتى انصناديد مأوى الناس مفزعهم إذ يفزعون لأهوال الصـنـــاديد
هو الشهيد عليهم والشفيع لـــهم في هول يوم شديد الهم مشـهود
إن زاد آدم قدرا عـنـد مـولـده فكم أب يعتلي قدرا بـمـولـــده
فاق النبيين طرا في الكمال وفي ال جمال والعز والإجمال والسـود
أهدى إليك مديحا كله غـــرر ونيل نولك بالتقصيد مقصودي
عليك أزكى صلة الله ما مدحت في مورق البان ورقاء تغريـد

وقد بلغت أبياته مبلغها رقة وروعة في المراثي كما نرى فيما يلي:

علا زفيري ودمع العين ينحدر وبلني الدمع، والأحشاء تستعر
مالي أواري أواري وهو مستعر بين الحشا وهل النيران تستتر
مالي لا أرى الليل لا ينجاب ظلمته فما له دونه صبح ولا سـحـر

وقد تحمس للعلامة فضل حق للدفاع عن الوطن والذوذ عن حقوق الشعب الهندي، وكتب رسالته الشهيرة برسالة الثورة الهندية، فكانت بمثابة الوقود ي موقد الثورة. وما أن أخفقت الثورة حتى حكم عليه بالنفي إلى جزيرة أندمان عام 1959. ولما وصل إلى جزيرة أندمان وجد فيها جماعة من العلماء نفوا إليها من قبل. وأصبحت الجزيرة مقرا للعلماء الذين استهانوا مضايقات الحكام وأكبوا على العلم والمطالعة ما وسعهم. وفيهم المفتي عنايت أحمد كاكوري الذي كتب في حبسه كتاب علم الصيغة في النحو وهو المدرج في المقررات الدراسية النظامية في الهند. وكتب تواريخ حبيب إله. ولما علم الإنجليز عن ملكته في اللغة عهدوا إليه ترجمة كتاب تقويم البلدان، فأكمل ترجمته في سنتين مما صار سببا لإطلاقه من السجن. وأما العلامة فضل حق فإنه وافته منيته وهو في قيود السجن عام 1861.

3) أبو الحسن على الندوي:

إن شخصية العلامة أبي الحسن على الحسني الندوى لا تحتاج إلى تعريف. فهو رحمه الله من أبرز الشخصيات الإسلامية الذين يتمتعون بسمعة طبية على الصعيد الوطني والعالمي. وذلك بمقالاته ومحاضراته العلمية وتوجيهاته وتدخلاته الوقتية في شؤون الأمة وتبصيره إياهم بالأخطار المحدقة بهم. وقد كان خلفا رائعا لسلف صالح وابنا بارا لأب كريم، حافظ على التراث العلمي الذي ورثه عن والده واستزاد منه بما يخلب ألباب العرب والعجم. ولم يشهد العالم

المعاصر من أبناء الهند رجالا آخرين صنعوا مثل ما صنعه العلامة أبو الحسن علي الندوي بعلمه وثقافته وتجاربه.

نشأته ودراسته:

ولد العلامة أبو الحين علي الندوي عام 1333 هـ، الموافق 1914م بقرية تكيه كلان، برائي بريلي بولاية أوتر ابرديش الهندية. ووالده الشيخ عبد الحي اللكنهوي، صاحب التصانيف الجليلة الضخمة. ووالدته خير النساء ولها مجموعات شعرية في مناجاة الله ومدح الرسول. ويصل نسبه إل الحسن بن على رضي الله عنهما. جاء أجداده من الحجاز واستقروا في نصير آباد وعلى مر العصور قدمت هذه الأسرة أعلاما ورجالا أكفياء بارزين في العلوم والفنون من أمثال الإمام السيد أحمد شهيد رحمه الله رائد حركة الجهاد والإصلاح في أرض الهند.

وقد قضى أبو الحسن معظم أيام الطفولة في لكنهو، حيث كان والده يشتغل بإدارة دار العلوم ندوة العلماء. وبدأ دراساته الابتدائية بتعلم القرآن في بيته، وتعلم مع ذلك الأردية والفارسية. ولما توفي والده وهو ابن تسع سنين، رجع مع أمه إلى رائي بريلى وتربي في حجرها. ثم قدم إلى لكنهو حيث كان أخوه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني، الذي كفله بعد موت والده. وقد أتقن اللغة الفارسية وتوسع في آدابها، وتمكن من مطالعة كتب الطبقات والسير والتراجم والعلوم المكتوبة فيها. ودفعه حبه الفارسية إلى دراسة العربية ودرسها على الأديب الفاضل الشيخ خليل بن محمد اليماني وأتقنها من عمه الشيخ طلحة بن محمد، وكان أستاذا للعربية في الكلية الشرقية بلاهور. ودرس الإنجليزية بجهوده الخاصة. ثم التحق بجامعة لكهنو الحكومية عام 1927م في قسم الفضيلة في الأدب العربي، واجتاز الاختبارات النهائية بتقدير ممتاز، ونال المنحة والميدالية الذهبية من حكومة الإنجليز.

وبعد تخرجه في جامعة لكهنو الحكومية التحق بدار العلوم ندوة العلماء ليستكمل دراسة الحديث. وكان العلامة حيدر حسن خان شيخ الحديث وقتئذ هناك، فقرأ عليه صحيحي البخاري

ومسلم وسنن أبي داود والترمذي وشيئا من تفسير البيضاوي وبعض الدروس في المنطق. كما أنهى دراساته الأدبية العربية على الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي. ثم التحق بدار العلوم ديوبند، وتمعن في علوم الحديث على الشيخ الكبير مولانا حسين أحمد المدني مؤسس جمعية علماء الهند. وفي سنة 1932 التحق بمدرسة قاسم العلوم المخصصة لخريجي المدارس الدينية. وأكمل الدراسة واجتاز الاختبارات بتقدير عال. وقد أتم دراسته وهو في سن العشرين.

تدريسه ورحلاته:

انخرط في سلك التدريس منذ عام 1934، وهو يناهز العشرين. حيث عين مدرسا في دار العلوم لندوة العلماء. وعمل فيها يدرس التفسير والحديث والأدب العربي والتاريخ. واستمر في مهنة التدريس عشر سنوات. كما انتهز الفرصة للاستفادة من الصحف والمجلات العربية الواردة إلى الندوة. واستطاع بذلك تعرف أحوال العالم العربي والإسلامي والاطلاع على أفكار العلماء المعاصرين من الدعاة والعلماء، مما شخذ أفكاره ووسع عقليته. ويمكن القول إن هذه الفترة بالنسبة إلى الشيخ الندوي كانت فترة نضوج لأفكاره وبروز بواكيرها. وقد تدرج، وهو في سلك التعليم بدار العلوم، إلى مجال التأليف حيث ولك إليه مهمة وضع المقررات الدراسية لتعليم اللغة العربية، فألف قصص النبين للأطفال في خمسة أجزاء، والقراءة الراشدة في ثلاثة أجزاء، ومختارات من أدب العرب في قسمين لدراسة النصوص الأدبية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث.

وقام برحلة استطلاعية عام 1939 في أرجاء الهند ، حيث طاف معظم أنحاء البلاد. وزار المراكز الدينية وعرف مناهجها وأسلوب أدائها وفي عام 1947 سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج وأقام بالحجاز ستة أشهر قضاها مشغولا بالأعمال الدعوية. كما رحل إلى مصر والشرق العربي عام 1952 حيث لقي قادة الفكر الإسلامي والأعلام الكبار من الأدباء والعلماء والمؤلفين. وألقى محاضرات علمية هناك، وكان حضوره في مصر ربيعا لطلاب العلم في

كليات الأزهر. والتقى بمصر بالمشايخ من أمثال عبد المجيد سليم ، محمود شلتوت، أحمد محمد شاكر، حسنين محمد مخلوف، وأحمد حسن الزيات، وأحمد أمين وعباس محمود العقاد وغيرهم. وقد طبعت مذكراته حول هذه الرحلات باسم ' مذكرات سائح في الشرق العربي' ثم رحل إلى دمشق عام 1965، وذلك بناء على دعوة من كلية الشريعة بجامعة دمشق. وقد قدم محاضراته العلمية حول موضوع ' التجديد والمجددون في تاريخ الفكر الإسلامي'. وجمعت هذه المحاضرات فيما بعد في كتابه رجال الفكر والدعوة في الإسلام. وفي عام 1960 سافر إلى بورما ومكث فيها أكثر من شهر، وألقى عشرات المحاضرات. وفي 1962 سافر إلى الكويت للتعريف بندوة العلماء. وقدم إلى المدينة سنة 1963 بناء على دعوة من نائب رئيس الجامعة الإسلامية فيها لإلقاء المحاضرات، وألقى على مسامع طلابها ثماني محاضرات حول ' النبوة والأنبياء في ضوء القرآن' وفي العام نفسه أتيحت له الفرصة للرحلة إلى البلاد الأوروبية فزار أكثر مدن أوروبا وأسبانيا وقابل عددا من المفكرين الغرب والمستشرقين، ثم تتابعت الرحلات إلى أوروبا وأمريكا والبلاد العربية والمغرب الأقصى والخليج العربي، مما قويت العلاقات بينه وبين الشخصيات البارزة في تلك البلاد. وتجسد هذه العلاقات ذلك المهرجان التعليمي الذي أقيم عام 1985 في رحاب دار العلوم ندوة العلماء بمناسبة مرور خمسة وثمانين عاما على تأسيسها، حيث حضره زمرة من رجال العلم والفكر والدعوة من أنحاء العالم المختلفة تقديرا منهم بمكانة العلامة الندوي ومساندة لنشاطاته الدينية.

دوره في الصحافة:

إلى بجانب مهاراته التدريسية والتأليفية كان له قدم سبق في الصحافة العربية منها والأردية. وكان رئيس التحرير لمجلة الندوة، وهي لسان حال ندوة العلماء، كما ترأس تحرير مجلتي تعمير حيات ونداء ملة. وكان يكتب باستمرار في مجلة الضياء التي ترأس تحريرها العلامة مسعود عالم الندوي. ولما توقفت عن الصدور ترأس الشيخ الندوى مجلة البعث الإسلامي ومجلة الرائد. كما يعمل محررا مراسلا لمجلة المسلمون الصادرة من جنيف.

مواهبه ومكانته العلمية:

كان الشيخ العلامة الندوي تعويضا عادلا عن قرن واحد مضى بعد الأمير صديق حسن خان القنوجي من حيث المساهمات العلمية. وقد أشرب منذ صغر سنه حبه للعلم وشغفه بالعربية، ونهل من مناهلهما الصافية النقية، فصار من أعلام العربية خبيرا بقواعدها بصيرا بأسار الكلام فيها، وظهرت أول مقالته وهو في السادس عشر، حين ترجم سيرة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد من الأردية إلى العربية، وأرسلها أستاذه الدكتور تقي الدين الهلالي إلى العلامة السيد رشيد رضا لنسرها في مجلة المنار.

ونبغ في اللغات الخمس: العربية والأردية والفارسية والهندية والإنجليزية، واستطاع بذلك أن يوسع نطاق علمه وتجاربة ومواهبه، وكان لمعايشته للأحوال القاسية التي شهدتها الأمة الإسلامية أثر بالغ في شحذ ذهنه. كما أن تصريفة للأمور وتقلبه في البلاد واختلاطه بألوان الناس واتصاله برجالات العالم وتمرسه في الصحافة فتقت قريحته وسهات أسلوبه وذللت له المعاني والأفكار. وقد تكوّنت لديه نظرة خاصة إلى مسيرة الأعمال الدعوية والإصلاحية، وهو يقول: ' يدل التاريخ على أن الظلم كان في بعض الإحيان السبب الرئيس لانهيار المجتمعات ولاندثار الإمبراطوريات والنطفاء نورها والقضاء على ما تكون فيها من حضارة وثقافة وما نشأ فيها من ثروة علمية وأدبية'.

وعندما صدر عمله الرائع ' ماذا خسر العالم بانحاطاط المسلمين' واطلع عليه الشيخ على الطنطاوي قضى منه العجب وقال: ' لما رأيت هذا الكتاب لم أكن أعرف مؤلفه فقلت من هذا الباحث الهندي الذي يكتب بمثل هذا الأسلوب العربي النقي، ويحيط بأحوال المسلمين هذه الإحاطة؟ ثم علمت أنه هندي المولد وعربي الأرومة'.

قيادته الفكرية والعلمية:

جمع الله في شخصية الندوي عدة مؤهلات ومواهب. وهو صاحب عقل نير وفيه مشرق متوقد وعاطفة قوية واطلاع واسع. وهو رجل ذو قلب فياض قلم سيال وروح ناضرة ولسان ذرب مرهف بليغ. ومع هذا كان سمته البارزة في الحياة الزهد والقناعة والهمة العالية. وهذه الصفات والمواهب جعلته أهلا قيادة فكرية وعلمية بهدف الإصلاح الديني والاجتماعي.

والناظر في نشاطه الديني والثقافي سوف يرى أنه قاد حركتين رئيستين: حركة وقاية المسمين وحمايتهم من الانحرافات الدينية والاجتماعية واستعادة الهوية الإسلامية إليهم. واستخدم لهذا كل محاضراته وخطبه في المناسبات المختلفة، وكان أسلوبه بهذا الصدد مجلجلا حينا وهادئا حينا آخر، وقد اتخذ لنفسه منهجا سديدا تحقيقا لهاذا الغرض، وهو الاعتماد على الأسوة الحسنة التي تتمثل في سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

والحركة الثانية التي قادها الندوي تتمثل في جهوده لرعاية جميع المواطنين، بوصفهم أبناء وطن واحد، جذورهم من أصل واحد، من أبوة وأمومة واحدة ، وهذه الفكرة تجسد مفهوم الإنسانية العليا التي ينشدها الدين الحنيف وقوامها التسامح والتعايش والتفاعل. وقد أنشأ لهذا الغرض ' الرسالة الإنسانية' بهدف إيجاد التعارف والتفاهم بين أهل الأديان المختلفة ونشر المودة والسلام فيما بينهم. وقد وفق بهذا لنشر مبادئ الدين الإسلامي والإنسانية وتحبيبها إلى الشعوب وتصحيح مفاهيمهم عن الإسلام.

وإلى جانب هاتين الحركتين اهتم العلامة الندوي بالثورة الفكرية عن طريق نشر التربية الإسلامية، التي هي العمود الفقري لغرش الثقافة والاحتفاظ بالهوية، وقد رأي هذه التربية بديلا مفيدا عن تلك التربية العامة السائدة في المجتمع الهندي. وتتمثل هذه النشاطات التي تزعمها الندوى في عشرات المعاهد الدينية المنتشرة في البلاد وفى مقدمتها دار العلوم ندوة العلماء التي

كان هو رئيسها منذ عام 1962، وانتثق منها بجهوده، ومعه زملاوه، بعد ذلك عدد من المؤسسات، حذا حذوها في التربية والتعليم. كما أنه نهض بإعداد المقررات الدراسية لهذه المعاهد بحيث تلبي حاجات الأمة المسلمة وتثقف الشباب وتؤهلهم لمواكبة ركب الحضارة الحديثة بدون أن بفقدوا هويتهم الدينية.

وقد حظيت دار العلوم ندوة العلماء تحت رعايته بتطور ملحوظ في نطاقها التعليمي والإداري، حتى أصبحت الآن صرحا علميا شامخا بتراثها العريق الذي مضى عيه أكثر من قرن واحد. وقد آل إليه إشرافها عقب وفاة أخيه عام 1962. ومنذ ذلك امتزجت ندوة العلماء ودار العلوم بدمائه. وذاع صيتها وسمعتها في العالم، ولفت إليها أنظار المحسنين والمهتمين بها. والعبارات الآتية تجسد رؤاه في قيادة ندوة العلماء والمؤسسات التابعة لها:

’ تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير والإصلاح في نظام التعليم الديني وفي منهاج الدرس العربي، فحذفت وزادت وغيرت وأصلحت في منهاج التعليم، حذفت المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية التي ضعفة الحاجة إليها في هذا العصر، وأعطت القرآن حقة من العناية فقررت دراسة متنه الشريف حرفا حرفا، لغة ونحوا وأدبا واجتماعا وفقها وكلاما، هذا ما عدا التفاسير المقررة في الصفوف العالية، وأزمت تدريس القرآن والحديث بالتدريج في سنيها التعليمية،.

ويأتي تأسيس المجمع الإسلامي العلمي بلكهنو في إطار الجهود والنشاطات القيادية التي تزعمها العلامة الندوي. وهذا المجمع قبس من نور ندوة العلماء، يدعمها في تحقيق أهدافها وينشطها بمزيد من الجهود المستقلة التي تتمثل في إنتاج الأدب الإسلامي القوي وتأليف الكتب الإسلامية ذات الطابع العلمي والأسلوب العصري في اللغات العربية والإنجليزية ولأردية والهندية. وإلى هذا المجمع يرجع الفضل في نشر كثير من مؤلفاته.

في مجال التأليف:

ترسم العلامة الندوي خطوات والده في التأليف، كما أنه ازداد حماسة بفضل تشجيع شقيقه الدكتور السيد عبد العلي الحسني. ونراه يشير إلى فضل أخيه بصدد تأليف كتابه المرتضى الذي هو سيرة كاملة لعلي بن أبي طالب. وهو يقول: ذات يوم (في الخمسينات الأخيرة من القرن الميلادي). قال لى أخى الأكبر وصاحب الفضل في تثقيفي وتربيتي، الدكتور السيد عبد الحي لحسنى بصوت شجي: عليك يا علي بتأليف كتاب في سيرة سيدنا علي، وأنت جدير بذلك قدير عليه، قال لي ذلك وقد ألفت عدة كتب في سيرة الرجال العظماء والدعاة إلى الله والمصلحين والمجاهدين، ومنها ما يزيد مجموع صفحاته على ألف صفحة، قال لي ذلك ، وقوسي موترة وفرسي مسرجة في ميدان النأليف والكتابة ولكني تهيبت هذا الموضوع تهيبا ما تهيبته لموضوع آخر، لأن فيه مواقف وبحوثا هي أحد من الشفرة وأدق من الشعرة، لا يمر بها المؤلف سليما إلا إذا اتسع صدره وقوي بصره واتزن فكره، وبالأصح إذا حالفه التوفيق الإلهي.

وأبرز الملامح في معظم مؤلفاته حول التاريخ والدعوة والثقافة هو الاعتزاز بأمجاد الماضين، إذ يري في سيرتهم متعة عقلية ولذة نفسية تروي غليل الجيل المعاصر ويزودهم بزاد التقوى والصلاح.

أهم مؤلفاته:

خلف العلامة الندوي للمكتبة الإسلامية والعربية ذخيرة علمية هائلة بمؤلفاته التي تربو على مائتين، وهي تتناول الدراسات والتحقيق والنقد والتعليق والمقارنة، متوزعة في العربية والأردية ومنقولة منهما وإليهما. وقد تم ترجمة معظمها منها إلى اللغات الهندية المختلفة، كما تم نقل بعضها إلى اللغات العالمية كالفرنسية والإنجليزية والتركية. وأبرز أعماله:

أولا- في دراسات القرآن والحديث:

1. الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة.
2. تأملات في القرآن الكريم.
3. الصراع بين الإيمان والمادية.
4. العقيدة والعبادة والسلوك.
5. المدخل إلى دراسات الحديث.
6. النبوة والأنبياء في ضوء القرآن.
7. تأملات في القرآن الكريم.
8. المدخل إلى الدراسات القرآنية.
9. دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي.
10. رسالة التوحيد.
11. نظرات على الجامع الصحيح للإمام البخاري

ثانايا – في الدراسات الثقافية والاجتماعية

12. الطريق إلى المدينة.

13. العرب والإسلام.

14. التربية الإسلامية الحرة.

15. أحاديث صريحة في أمريكا

16. المسلمون تجاه الحضارة الغربية.

17. واقع العالم الإسلامي وما هو الطريق لمواجهته وإصلاحه.

ثالثا – في الدراسات الإسلاميةالمقارنة

18. الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية.

19. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية.

20. الطريق إلى السعادة والقياد للدول والمجتمعاتا الإسلامية الحرة.

21. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

22. المد والجزر في تاريخ الإسلام.

23. إلى الإسلام من جديد.

24. نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان.

25. القرن الخامس عشر الهجري في ضوء التاريخ والواقع.

26. الإسلام والمستشرقون.

27. عاصفة يواجهها العالم الإسلامي

28. بين الجباية والهداية .

29. الإسلام والغرب.

30. بين الصورة والحقيقة.

31. بين نظرتين.

<u>رابعا: في أدب الدعوة:</u>

32. ردة ولا أبا بكر لها

33. حكمة الدعوة وصفة الدعاة.

34. إلى شاطئ النجاة

35. أزمة إيمان وأخلاق.

36. إل الإسلام من جديد

37. روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة.

38. أريد أن أتحدث إلى الإخوان

39. ترشيد الصحوة الإسلامية.

40. حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي.

41. فضل البعثة المحمدية على الإنسانية.

42. موقف المسلم إزاء أسلافه الجاهليين.

43. محمد رسول الله صاحب المنة الكبرى على العالم.

44. الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها.

45. الدعوة والدعاة

46. مسؤوليةوتاريخ دور الإسلام الإصلاحى.

47. دور الجامعات الإسلامية في تربية العلماء وتكوين الدعاة.

خامسا ـ في الدراسات الأدبية:

48. روائع إقبال

49. مختارات من أدب العرب

50. الإسلام والحكم.

51. نظرات في الأدب

52. القراءة الراشدة

سادسا ـ في السييرة والتاريخ:

53. السيرة النبوية.

54. المسلمون في الهند

55. رجال الفكر والدعوة في الإسلام

56. إذا هبت ريح الإيمان.

57. الداعية محمد إلياس الكاندهلوي.

58. المرتضى ـ سيرة علي بن أبي طالب.

59. أضواء علىالحركات والدعوات الدينية والإصلاحية.

60. دراسة للسرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية.

61. شخصيات وكتب أثرت حياتي.

62. أحمد بن عرفان الشهيد.

63. صلاح الدين الأيوبي.

64. قصص من التاريخ الإسلامي.

سابعا ـ في القضايا الإسلامية:

65. حديث مع الغرب. المسلمون وقضية فلسطين.
66. قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم. المسلمون ودورهم.
67. الإسلام فوق القوميات والعصبيات.
68. الأمة الإسلامية.
69. وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل.

ثامنا في النقد:

70. التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي وسيد قطب.
71. ربائية لا رهبانية.
72. القادياني والقاديانية.
73. الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل.
74. صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية.

تاسعا ـ في أدب الرحلة:

75. أسبو عان في المغرب الأقصى
76. مذكرات سائح في الشرق العربي.
77. من نهر كابل إلى نهر اليرموك.

استعراض بعد المؤلفات:

رجال الفكر والدعوة في الإسلام:

هذا الكتاب من أبرز مؤلفات الشيخ أبي الحسن علي الندوي، يتناول سير الأعلام الذين قادوا حركة الدعوة الإسلامية الإصلاحية والنهضة العلمية بيضاء ناصعة. وهوعمل موسوعي يرسم في خلاله الطريقة المثلى للدعوة والثقافة والتربية وصياغة العقلية الواعية. والكتاب جمع

لمحاضراته القيمة التى ألقيت على مسامع الطلبة في جامعة دمشق بناء على دعوة من القائمين عليها عام 1375هـ، وعددها عشر محاضرات، ثم أضيفت إليها خمس مقالات. ولاكتاب يتوزع في أجزاء وفصول كما يلى:

الجزء الأول:

يبحث فيه عن سيرة الحسن البصرى وخلفائه، كما يتكلم على حركة التدوين في الإسلام وتنظيم الحياة على الأسس الدينية. ثم يتطرق إلى حياة الإمام أحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري، ويليه بحث ع انحطاط علم الكلام وازدهار الفلسفة الباطينة. وقد خصص في هذاالجزء دراسة مستفيضة لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ودوره في نقد الفلسفة ودحض أباطيل الدهريين والماديين، بجانب دراسة وافية عن دوره مصلحا اجتماعيا. ويتناول الكتاب كذلك شخصية الشيخ عد القادر الجيلاني والخدمات التي كرسها لتجديد معالم الدين والدعوة إلى الإسلام. ويليه دراسة عن مولانا جلال الدين الرومي الذي كان يمثل بجهوده مفكرا ومبتكرا ومؤسسا لعلم كلام جديد. وهو الذي تغنى بعاطفة الحب التي تصل بين أفراد الإنسانية.

وأما الجزء الثاني فإنه يتناول شخصية الشيخ أحمد بن تيمية وتلاميذة ابن قيم الجوزية وابن عبد الهادي والحافظ بن رجب. والجزء الثالث خاص بالإمام السر هندي مجدد الألف الثاني. كما أن الجزء الرابع خاص بشخصية الإمام شاه ولي الله الدهلوي.

والكتاب بأجزائه عرض مقطعي لمسيرة التطور الفكري والثقافي التي يمثل كل واحد من هؤلاء الأعلام جزاءا منها بدء من القرن الأول وانتهاء بالقرن الرابع عشر الهجري. ومؤخرا صدر عن المجمع الإسلامي العلمي بلكنهو الجزء الخامس من هذه السلسلة وموضوعه الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، قام بتأليفه الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي مواصلة للخدمات العلميلة التي بدأها العلامة الندوي ووفاء لصنيعه الجميل فى مسيرة التأليف.

وقد أكبر جهود العلامة الندوي في هذا الصدد عدد من من العلماء الكبار وفي طليعتهم الدكتور مصطفى السباعي، عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق السابق، الذي كتب في مقدمة محاضرات الجزء الأول ما يأتي:

' وهذا الكتاب الذى نقدمه لقراء العربية صورة واضحة لأفكار الأستاذ الندوي وميوله الإصلاحية، ولفهمه العميق للتاريخ الإسلامي ولروح الإسلام الصافية المشرقة، وما علق بها في العصورالأخيرة من غبار، وما أصابها من انحراف، وبذلك يسد هيذا الكتاب ثغرة في دراسة التاريخ الإسلامي، كنا وما نزال نشعر بالحاجة إليها، إذ يتحدث عن تاريخ الإصلاح فى حياة المسلمين السياسية والدينية والاجتماعية في فترات من تاريخ الإسلام في الماضي، كما يعرض لنا صورا واضحة لأبرز زعماء الإصلاح الإسلامي منذ العصر الأموي'

وقد أشادت بعمله هذا السيدة مريم جميلة الكاتبة الممتازة حيث تقول:

' وأما كتابكم فهو كامل ومحتو على الموضوع مع رشاقة القلم وامتاع الأسلوب، وخاصة بحثكم حول الهجوم التترى على العالم الإسلامي شيق وممتع جدا'.

والكتاب بكل أجزائه ينطق بالذوق التاريخي الرفيع الذي اكتسبه المؤلف وقدرته الكتابية الواضحة للسير والتراجم بعيدا عن المحاباة والانحياز.

2 ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين:

يعد هذا الكتاب من أعماله الرائعة، فهو يعج بالأفكار البناءة والاتجاهات الوهاجة والعواطف الجياشة عن واقع العالم والمسلمين. وكان صدوره في مستهل في حياته الفكرية، إلا أنه يضم بين دفتيه أفكارا ناضجة قطوفها دائية، وهي أفكار عالم اطلع على أحوال العالم من شرقة إلى غربه وعرف شعوبه ومزايا حياتهم، كما اطلع على صفحات التاريخ التي سجلت فيها قصص البطولات. وكان صدور هذا الكتاب حدثا كبيرا في الأوساط الدينية والثقافية في العالم

العربي والإسلامي. وصار حديث المحافل والمجالس، لأنه رج القراء رجا، وكأنه ينفخ في الصور، فأحيا نفوسا واشعل أرواحا، وأخذ الناس يقرؤونه مبهورين يخافون أن تنفد صفحات الكتاب. والمحور الأساسي لهذا الكتاب يلمح في النصالآتي:

' لم يكن انحطاط المسلمين أولا، وفشلهم وانعزالهم عن قيادة الأمم بعدها وانسحابهم من ميدان الحياة والعمل أخيرا، حادثا من نوع ما وقع وتكرر في التاريخ من انحطاط الشعوب والأمم، وانقراض الحكومات والدول وانكسار الملوك والفاتحين وانهزام الغواة المنتصرين، وتقلص المدنيات والجزر السياسي بعد المد، فما أكثر ما وقع مثل هذا في تاريخ كل أمة، وما أكثر أمثاله في تاريخ الإنسان العام، ولكن هذا الحادث كان غريبا لا مثيل له في التاريخ مع أن في التاريخ مثلا وأمثلة في كل حادث غريب'.

والكتاب من أوله إلى آخره نداء إلى المسلمين في العالم كله لاستعادة روحهم وثقتهم بأنفسهم والاستمساك بالقيم الدينية والحضارية والثقافية التي كان عليها الرعيل الأول من الأمة . وقد أنهى تأليفه عام 1945م، وهي فترة زمنية شهدت تغيرات جذرية في مجال الفكر من جراء الانقلابات السياسية والدينية التى حدثت آنذاك، مما كان له أثر في اتجاهات الكاتب.

ويكفي هذا الكتاب فضلا أن أثنى عليه العلماء المعاصرون مثل الدكتور محمد يوسف موسى أحد أساتذة الأزهر حيث يقول: أشهد لقد قرأت الكتاب حين ظهرت طبعته الأولى في أقل من يوم وأغرمت به غراما شديدا، حتى لقد كتبت في آخر صفحة وقد فرغت منه: ' إن قراءة هذا الكتاب فرض على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام'.

بدأ الكتاب نقاشه مشيرا إلى الداهية الكبرى التي عمت العالم حين انحدر المسلمون، وهذه الداهية لم تحدث عشية وضحاها، وإنما تمت بالتدريج بحيث لم يفطن إلى خطورتها أحد، لأن المسلمين كانوا الروح للجسم البشري بما كانوا ورثة رسالة الأنبياء بصفة عامة والرسالة

المحمدية بصفة خاصة. والمحرك الرئيس لهم لدفع عجلةالثقافة والإنسانية إلى الأمام، هو الإيمان بالله الذي لا يضاهيه أي عقيدة أخرى. ثم يسرد أسماء الأبطال الذين كرسوا حياتهم لخدمة هذه الرسالة، وفي هذا الصدد نراه يقول:

' لقد صنع النبي صلى الله عليه وسلم من هؤلاء كتلة لم يشاهد التاريخ البشري أفضل منها، وهم كالحلقة المفرغة، لا يدري أين طرفاها، وسر نجاحهم أنهم لم يكونوا قادة وحكاما بغير أصول خلقية، ولم يكونوا خدمة جنس وشعب يسعون لرفاهيته وحده كمستعمري الغرب، وقد علموا أن الإنسان جسم وروح، وعقل وقلب، وعواطف وجوارح، ولا بد أن تنمو هذه القوى على نحو مناسب'.

وقد خصص الكاتب فصلا للمقارنة بين الحضارة الإسلامية ولاحضارة الغربية الحديثة. ويقول فيه إن حضارة الغرب ذات جذور، وهي منبثقة من حضارة الإغريق والرومان، وطابعها المادية التي هدفها الابتزاز والاستعمار وجلب خيرات الآخرين، ولا يقيمون للقيم والأخلاق وزنا، مما نتج عنه النعرات القومية في كل دولة، زعما منهم أنهم أفضل من غيرهم. وكلمات الأستاذ الدكتور شكري فيصل ثناء عليه دليل على سعة نظره وعمق موضوعه، وهو يقول: شيء آخر يمتاز به المؤلف ويرتفع به إلى مصاف كبار المفكرين المسلمين، وذلك هو نظرته الشاملة التعالية إلى تطور الحياة الإنسانية ، فإن الأبواب الخمسة التى كسر عليها الكتاب لتدل على هذا الأفق العالي الذى يجتذب التاريخ الإسلامي والتاريخ العام'.

وقد طبع الكتاب عدة طبعات، نفدت كلها إثر إصداره مباشرة، كما ترجم إلى عدد من اللغات العالمية مثل الإنجليزية والألمانية والفارسية. ومما لا شك فيه أن نداء الأستاذ أبي الحسن على الندوي صادف آذانا صاغية وقلوبا واعية وفعل فى النفوس فعل السحر.

3 – السيرة النبوية:

هذا الكتاب من أجود أعمال الندوي، وهو يعد كتابا مرجعيا في السيرة النبوية. وقد كان للبيئة التي عاشها الندوي منذ نعومة أظفاره أثر كبير في غرس بذور الحب النبوي في نفسه، فقد قرأ أفضل وأحسن ما كتب في السيرة حين كان سابا. وبدأ يكتب المقالات الأدبية والتاريخية مستوحيا ومستلهما ما قرأه، كما هو الشأن في كتابه ' الطريق إلى المدينة'. والسيرة النبوية أحب الفنون إليه وهي على حد تعبيره غنية بجمالها وروعتها وسحرها لدى النفوس والعقول ووقعها منها موقع القبول. وجل ما يحتاج إليه المؤلف هو جمال العرض وحسن الترتيب وجودة التلخيص'. ومرة سأله الأستاذ الدكتور محمد إجتباء الندوي: أي مؤلفاتكم أحب إلى جنابكم، فقال: السيرة النبوية ، والنبوة والأنبياء، والطريق إلى المدينة، والأركان الأربعة، وماذا خسر العالم. وكل واحد من هذه الكتب فيه مسحة من السيرة العاطرة.

وجعل مواصفات خاصة لانتقاء مادة السيرة. وتتمثل هذه المواصفات فى اعتماده على المصادر الأولى من كتب السيرة النبوية لابن كثير. كما أنه يحاول التوفيق بين النصوص والإشارات القرآنية وبين ما جاء فى السيرة. ومن ناحية أخرى نراه يرد على المستشرقين مزاعمهم الباطلة، متماشيا مع المقررات الدينية. ومن الجدير بالذكر أن السيرة النبوية ما تركت صغيرا ولا كبيرا حدث فى حياة الرسول إلا حوته وذكرته. وفي هذا المجال جعل الندوي الحوادث والأحداث تنطق بلسانها كما هي مما زاد عمله هذا اصالة وطرافة. وقد استفاد المؤلف في تأليف هذا الكتاب من مؤلفات العصور المختلفة، فجاء الكتاب جامعا لما قدمته المصادر القديمة بأصالتها، ولما ولدته الدراسات الحديثة بطرافتها. وقد رجع الكاتب أجل هذا العمل إلى أكثر من مائة وعشرين كتابا في تفسير القرآن وفي الحديث والسيرة وكتب التاريخ والتراجم والأخبار وتاريخ البلاد والأمم وكتب الشريعة الإسلامية والأديان والمذاهب وكتب الأدب والمحاضرات والموسوعات، إلى جانب المراجع فى اللغات الإنجليزية والفرنسية البالغ عددها عشرين، مما يدل على وفرة المادة العلمية لدي بتعمقه فى الموضوع.

وأما الأسلوب فيمكن القول إنه راعى فيه مسايرة روح العصر الذى كان يعيشه، وركز اهتمامه على عرض وقائع السيرة بلغة سهلة واضحة وبأسلوب رشيق مؤثر فى النفوس، والتزم بتوثيق المعلومات فيما يتصل بالمصادر والمراجع. وراعى كذلك الترتيب الزمني للأحداث بحيث يشعر القارئ أنه يعايشها مع صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد اهتم كثيرا بتصوير وتمثيل الظروف التى لها صلة بوقائع السيرة، وأشار إلى أرضيتها وأعرافها الشائعة.

ومما يلفت النظر في هذا الكتاب أن الشيخ الندوى نجح في الجمع بين الجانب العلمي والتربوي والبلاغي مما جعل تأليفه ينبض بالحيوية. كما جمع بين العقل والعاطفة، مما يلمح فيه مشاركته الوجدانية والانفعالية كلما مر بالأحداث.

كما أن أسلوبه يتميز بمخاطبته الناس كافة، والرسول مرسل من ربه رحمة للعالمين، وهناك تتجلى عالمية السيرة والرسالة المحمدية. وهو يشير إلى هذه الحقيقة فيقول: ' ليس حق غير المسلمين على هذه السيرة وحظهم فيها أقل من حق المسلمين الذين نشأوا في ظلال الإيمان والإسلام، والدواء حاجة المريض أكثر من حاجة السليم، والقنظرة يحتاج إليها من يعيش وراء النهر أكثر مما يحتاج إليها من يعيش دونه'.

وقد طبع الكتاب أول مرة عام 1977م، ثم أعيد طبعه مرات. وترجم إلى اللغة الأوردية والإنجليزية وغيرهما من اللغات، ونال قبولا حسنا في الأوساط العلمية والأكاديمية

انطباعات العلماء عن مؤلفاته:

ويكفي أعماله شرفا وفضلا أن أشاد بها العلماء الكبار من البلاد العربية مثل سيد قطب، يقول عن كتابه قصص النبيين: ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال – بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم السلام – وشاركت في تأليف مجموعة من القصص الديني للأطفال في مصر مأخوذة كذلك من القرآن الكريم، ولكني أشهد في غير مجاملة، أن السيد أبا الحسن في هذه القصة التي بين يدى – يريد بها قصة موسى في الجزء الثالث من الكتاب – جاء أكمل من هذا

كله، وذلك بما احتوى عمله من توجيهات دقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها وموقفها. وقد ألفه الندوي لتعليم الأطفال عقائد الإسلام الأساسية وغرس مكارم الأخلاق في نفوسهم وتحميس ميولهم إلى الأسوة الحسنة.

وقد أثنى الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي على كتابه ' مختارات من أدب العرب' قائلا: ' إن كان الدليل على ذوق الأدب اختياره، فحسب القراء أن يعلموا أنذا عرضنا من أمد قريب كتب المختارات الأدبية لنتخير واحدا منها نضعه بين أيدى تلاميذ الثانويات الشرعية في الشام وذهب كل واحد من أعضاء اللجنة، وكلهم من الأدباء، يبحث ويفتش، فعدنا جميعا وقد وجدنا أن أجود كتب المختارات المدرسية، وأجمعها لفنون القول وألوان البيان ' مختارات أبي الحسن'.

ويقول الدكتور مصطفى السباعي ، عميد كلية الشريعة السابق بجامعة دمشق عن كتابه رجال الفكر والدعوة في الإسلام:

' وهذا الكتاب الذى نقدمه لقراء العربية صورة واضحة لأفكار الأستاذ الندوي وميوله الإصلاحية، ولفهمه العميق للتاريخ الإسلامي ولروح الإسلام الصافية المشرقة، وما علق بها في العصور الأخيرة من غبار، وما أصابها من انحراف، وبذلك يسد هذا الكتاب ثغرة في دراسة التاريخ الإسلامي، كنا وما نزال نشعر بالحاجة إليها، إذ يتحدث عن تاريخ الإصلاح في حياة المسلمين السياسية ولادينية والاجتماعية في فترات من تاريخ الإسلام في الماضي، كما يعرض لنا صورا واضحة لأبرز زعماء الإصلاح الإسلامي منذ العصر الأموي'

وتقول السيدة مريم جميلة الكاتبة المشهورة عن هذا الكتاب: وأما كتابكم فهو كامل ومحتو على الموضوع مع رشاقة القلم وامتاع الأسلوب، وخاصة بحثكم حول الهجوم التترى على العالم الإسلامي شيق وممتع جدا.'

وهذا الكتاب عمل موسوعي يتناول سير الأعلام الذين قادوا حركة الدعوة الإسلامية والإصلاجية والنهضة العلمية في العالم الإسلامي.

ومن أعماله الرائعة كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، وفي فضله يقول الدكتور محمد يوسف موسى أحد أساتذة الأزهر حيث يقول: أشهد لقد قرأت الكتاب حين ظهرت طبعته الأولى في أقل من يوم وأغرمت به غراما شديدا، حتى لقد كتبت في آخر صفحة وقد فرغت منه: ' إن قراءة هذا الكتاب فرض على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام'.

بدأ الكتاب نقاشه مشيرا إلى الداهية الكبرى التي عمت العالم حين انحدر المسلمون، وهذه الداهية لم تحدث في عشية وضحاها، وإنما تمت بالتدريج بحيث لم يفطن إلى خطورتها أحد، لأن المسلمين كانوا الروح للجسم البشري بما كانوا يحملون رسالة الأنبياء بصفة عامة والرسالة المحمدية بصفة خاصة. والمحرك الرئيس لهم لدفع عجلة الثقافة والإنسانية إلى الأمام، هو الإيمان بالله، وهو يقول:

' لقد صنع النبي صلى الله عليه وسلم من هؤلاء كتلة لم يشاهد التاريخ البشري أفضل منها، وهن كالحلقة المفرغة، لا يدرى أين طرفاها، وسر نجاحهم أنهم لم يكونوا قادة وحكاما بغير أصول خلقية، ولم يكونوا خدمة جنس وشعب يسعون لرفاهيته وحده كمستعمري الغرب، وقد علموا أن الإنسان جسم وروح، وعقل وقلب، وعواطف وجوارح، ولا بد أن تنمو هذه القوى على نحو مناسب'.

وقد خصص الكتاب فصلا للمقارئة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية الحديثة. ويقول فيه إن حضارة الغرب ذات جذور، وهي منبثقة من حضارة الإغريق والرومان،

وطابعها المادية التي هدفها الابتزاز والاستعمار وجلب خيرات الآخرين، ولا يقيمون للقيم والأخلاق وزنا، مما نتج عنه النعرات القومية في كل دولة، زعما منهم أنهم أفضل من غيرهم.

واليسيرة النبوية أحب الفنون إليه وهي على حد تعبيره عنية بجمالها وروعتها وسحرها لدى النفوس والعقول ووقعها منها موقع القبول. وجل ما يحتاج إليه المؤلف هو جمال العرض وحسن الترتيب وجودة التلخيص، . ومرة سأله الأستاذ الدكتور محمد إجتباء الندوي: أي مؤلفاتكم أحب إلى جنابكم، فقال: السيرة النبوية، والنبوة والأنبياء، والطريق إلى المدينة، والأركان الأربعة، وماذا خسر العالم. ولك واحد من هذه الكتب فيه مسحة من السيرة العاطرة..

المناصب التي تولاها:

تقلد الشيخ الندوي عدة مناصب، وظل يتدرج فيها حتى أخر حياته. وكان هو الأمين العام لندوة العلماء ورئيس دار العلوم، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضو المجلس الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس المجمع الإسلامي العلمي في لكنهو، ورئيس أكاديمية شبلي النعماني في أعظم كره، ورئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، ورئيس دار مجمع المصنفين بأعظم كره الهند، ورئيس مركز أكسفودر للدراسات الإسلامية في بريطانيا، وعضو رابطة الجامعات الإسلامية بالرباط، وعضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية العالمية بإسلاماباد، وعضو مجمع اللغة العربية ي دمشق والقاهرة والأردن، وعضو المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية ' مؤسسة آل البيت ' بالأردن.

ونال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1980م وفى عام 1999 وجائزة الشخصية الإسلامية الأولى لعام 1419هـ في دبي. وفي عام 1420 هـ نال جائزة سلطان برونائي من مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية.

وأثمن من هذا ما عبر عنه المفكرون الكبار من انطباعاتهم عن شخصيته ومدى تأثرهم بأفكاره، ومن ذلك ما يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

" هو شخصية ثرية متعددة المواهب، متنوعة العطاء، فهو إمام من أئمة الدعوة وعلم من أعلام الإصلاح، ونجم من نجوم الهداية، وجبل من جبال العلم، ورائد من رواد الربانية، وقائد من قادة الإسلام. كان أحد الرجال الربانيين الذين يدلك على الله منطقهم ويذكرك بالآخرة سلوكهم ويزهدك في الدنيا حالهم، وهو بطبيعته رجل معتدل في تفكيره، وفي سلوكه وفي حياته كلها، فهو قديم جديد وهو تراثي وعصري وهو سلفي وصوفي في لين الحرير وصلابة الحديد"

ويقول الدكتور محمد رجب البيومي: ' كان أشد ما يلفتني في سيرة أي الحسن أنه أشرق في محيط العالم الإسلامي بدرا متكاملا، فعهدنا بصاحب الفكرة وعاشق البحث أن يتتبع سنة التطور فيبدو ناشئا صغيرا ثم تمر به الأعوام حتى يكتمل نضوجه، كما يبدو البدر في أول الشهر هلالا، ثم يسير نحو الكمال، حتى يكتمل إشراقه في الليلة الرابعة عشرة، ولكن أبا الحسن أصدر كتابه باللغة العربية ' ما ذا خسر العالم' في مطلع حياته.

4. عبد الحي الحسني (1286 – 1341هـ)

هو الشريف العلامة عبد الحي فخر الدين . ينتمي نسبه إلى علي بن أبي طالب ولد براي بريلى (لكهنؤو) سنة 1246 هـ. كان أبوه فاضلا عارفا ذا مسكنة وتواضع فنشأ على الخير والصلاح وتربي فى حجر الدين والعلم. قرأ الكتب من الصرف والنحو والفقه والأصول والتفسير والمعقولات على أشهر علماء لكهنؤو مثل الشيخ محمد نعيم، ثم سافر إلى بهوبال وهي إذ ذاك محط العلماء والطلبة فقرأ الكتب الدرسية على الشيخ القاضي عبد الحق وغيره، والحديث والأدب والطب على الطبيب الشهير عبد المعلي. ثم رجع سنة 1311 إلى لكنؤو فقرأ من كتب القانون وأخذ يحصل الطب العملي. ثم سافر إلى دهلي وبائي بت وسرهند وديوبند واجتمع بالعلماء والمشايخ ومنهم الشيخ عبد الرحمن الباني بتي وغيره.

كان رحمه الله حريصا على اصلاح المسلمين ونفعهم وناصحا لهم، وكان يتألم كثيرا مما يرى من اضطراب حبل المسلمين وتفرق كلمتهم وانشقاق عصاهم وذهاب ريحهم وانحطاطهم، ولما نهضت جماعة لتأسيس جمعية سموها ' ندوة العلماء' – وهي اليوم شهيزة فى العالم الإسلامي – فرغ الشيخ لخدمة ' ندوة العلماء' وخدمة الإسلام والمسلمين بواسطتها مع ضيق ذات يده. ثم رتب له أعضاء الندوة معاشا سنة 1314 هـ، ثم اعتزل الوظيفة والشتغل بالطب.

كان رحمه الله هو المعتمد فى أمور الندوة من أول الأمر، وأصبح ناظمها فى سنة 1333هـ. فاستقام على هذا العمل إلى آخر عمره باجتهاد وإخلاص ونصح للمسلمين ، ولما أسس أعضاء الجعمية مدرسة سموها دار العلوم فاعتنى بأمورها اعتناء تاما حتى تخرجت منها جماعات من العلماء. كان الشيخ محمود الصورة صاحب عقل وسكينة وتواضع مع عزة نفس ووقار وقلة كلام وحياء وصبر وحلم وتوكل وتورع، معروفا بصلة الرحم والإحسان حريصا على اتباع السنة نفورا على التفاخر والرياء. توفي فى سنة 1941 ودفن خارج بلده رأي بريلي.

أعقب رحمه الله ابنين وبنتين. ومن أبناءه الشيخان المشهور ان عبد العلي وأبوا الحسن على الندوي. كان متضلعا من العلوم راسخ القدم فى آداب اللغة العربية والفارسية والأردوية. وكان شاعرا مجيدا بارعا فى الفقه والأدب والحديث والتفسير والسير والتاريخ، لم يكن له نظير فى العلم. وجل أوقاته كانت تمضي فى مطالعة الكتب والتصنيف. ومن مصنفاته: 1) نزهة الخواطر، 2) كتاب معارف العوارف، 3) جنة المشرق ومطلع النور المشرق، 4) شرح المعلقت السبع، 5) طبيب العائلة، 6) تذكرة الأبرار بالفارسية.

5. الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي (985 – 1052هـ) -

الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث الفقية شيخ الإسلام وأعلم العلماء وحامل راية العلم والعمل عبد الحق بن سيف الدين أول من نشر علم الحديث بأرض الهند تصنيفا وتدريبا. ولد بمدينة دهلي سنة 958 هـ وقرأ القرآن على والده، ثم تعلم الكتابة والإنشاء فى شهر واحد وقرأ ديوان الحافظ وميزان الصرف على والده وقرأ أجزاء من شرح العقائد وله اثنا عشر عاما. وكان دائم الاشتغالت مكبا على المطالعة فى ظلمات الليالي.

ولما قرأ فاتحة الفراغ حفظ القرآن فى سنة واحدة. ثم سافر للحج والزيارة سنة 996هـ وأقام بمكة عشرة اشهر، وسافر إلى المدينة المنورة ثم رجع إلى مكة ورحل إلى الطائف، ثم رجع إلى مكة وأقام بها زمنا قليلا ورجع إلى الهند.

أخذ الحديث بمكة عن الشيخ عبد الوهاب وبالمدينة عن الشيخ محمد بن أحمد. وقرأ على الشيخ عبد الوهاب ' مشكاة المصابيح' ولازمه واستفاد منه فوائد كثيرة. وكان الشيخ يحبه ويثنى عليه. فاق الأقران وصار عجبا في سرعة الاستحضار. أقام بدلهي 52 سنة ونشر العلوم لا سيما الحديث الشريف.قال القنوجي: ان الهند لم يكن بها علم الحديث منذ فتحها أهل الاسلام، بل كان غريبا كالكبريت الأحمر حتى من الله تالى على الهند بإفاضة هذاالعلم على بعض علمائها كالشيخ عبد الحق، وهو أول من جاء به فى هذا الاقليم. وبالجملة فإنه درّس وأفتى وصنف، وشرح الكتب ونقل معانيها من العربية إلى الفارسية. وتصانيفه من الصغار والكبار كثيرة، منها:

1) لمعات التنقيح فى شرح مشكاة المصابيح، 2) أشعة اللمعات، 3) مدارج النبوة، 4) زبدة الآثار، 5) شرح فتوح الغيب للجيلاني، 6) الأفكار الصافية، 7) زاد المتقين، 8) أخبار الأخيار، 9) جمع الأحاديث الأربعين، 10) شرح أسماء الله الحسنى، 11) مرج البحرين، 12) شرح الصدور(تفسير نور)، 13) الدر الفريد (تجويد)

6. السيد غلام علي آزاد البلكرامي

ولد السيد سنة 1116 بقرية بلكرام. أخذ اللغة والحديث والسير عن مير عبد الجليل البلكرامي، كما تلقى مختلف العلوم من الشيخ مير طفيل محمد، وكان ابن خاله محمد يوسف هو الآخر ممن تلقى منه العلوم. والعادةالمتبعة في المدارس وقتئذ كفيلة بإيجاد علاقة متينة بين المجتمع الطلابى، صغيرهم وكبيرهم، الذي كان من شأنه تخفيف أعباء التدريس عن الأساتذةوتبصيرة الطلبة بواجبهم تجاه العلم الذي يكتسبونه. وكان غلام علي ممن مارس التدريس بهذه الطريقة. وفى نفس الوقت تلقى هو دروسا في البلاغة وعلم العروض من خاله الشيخ محمد بن عبد الجلال.

وقام بثلاث رحلات كان لها أكبر أثر في تسديد اتجاهاته وإثراء وؤاه. الأولى منها عام 1134، إلى دهلي حيث كان هناك جد والدته الذي ولاه سلطان محمود شاه مهام الحكم، وأقام غلام علي هناك مدة سنتين درس في خلالها علوم الحديث والتفسير وعلوم المعاجم وصناعة الشعر. أما رحلته الثانية فهي إلى سوستان بالسيد حيث كان يعمل خال والدته مير محمد الذي عاد في أثناء وظيفته إلى أهله. فقام مقامه بضع سنين. وفى الطريق إلى السند حدث أن لقي الشاعر الكبير فقير الله عفرين. وقد أكسبه هذا اللقاء بعض التجارب الشعربية مما جعله بعد وصوله إلى سوستان يكتب أنساب الشعراء الفرس بعنوان(يد بييضاء) وقد أكمله غلام على وهو في إله آباد.

والرحلة الثالثة كانت لأداء الحج سنة 1150هـ ولم يخبر بها أحدا من أقربائه. ووصل إلى مكة مرورا بمالواه، وأماكن أخرى حيث لقي عددا من الأمراء والعلماء الذين أحسنوا ضيافته حتى وصل الأراضى المقدسة في شهر محرم 1151هـ . واتصل بالمشائخ هناك، وقرأ صحيح البخاري في المدينة على الشيخ محمد حياة السندي ونال منه الإجازة، ثم لازم الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري لمدة خمس سنوات. وقد أعجبه شغفه العلمي وأضاف إلى

اسمه لقب (آزاد) قائلا له : أنت من عتقاء الله تعالى. وعاد إلى الهند سنة 1186هـ. وقد عرض عليه السلطان ناصرجنك بن آصف منصب الإمارة وهو في حيدرآباد، ولكنه أبي وقال: هذه الدنيا مثلها مثل نهر طالوت، غرفة منه حلال، والزيادة عليها حرام. وفي خلال إقامته بحيدرآباد نظم قصيدته المشهروة في وصف أعضاء جسم المعشوقة من الرأس إلى القدم، وسماها مرآة الجمال وشرحها شرح لطيفا، كما نظم هناك ديوانا عربيا آخر. ثم غادر حيجرآباد إلى أورنغاباد، وألقى عصا الترحال هناك. وشرح في نظم ديوان مردف على طريقة شعراء الفرس، وهو مشتمل على بعض القصائد غير المردفة ايضا. والرديف عبارة عن كلمة مستقلة أو أكثر تكرر بعد الروي، والشعر الذي يشتمل عليه يسمى رديفا، وهو فن يزيد الأشعار جمالا. ولا رديف في الشعر العربي الخالص إلا القليل. وفيما يلي ما نظمه غلام على آزاد:

قدر القلوب من الصـــفاء يلوح ثمن الجواهر بالجلاء يلــوح
يتمخض العشاق في نار الهوى لب السبيكة في العــلاء يلوح
أخذ الفراش عن السراح ضياءه نور البقاء مـــن الغناء يلوح
قصدت ظباء النجد أن يقتلنـــنا أسلوبهن من الهـــواء يلوح
الخوف من طرز الخرائد واجب شنآنهن مـــــن الولاء يلوح
لا يطمئن من الكواعب خاطري إخفاءهن مــن الــوفاء يلوح
ظلمت سعاد ولا غياث يغيـــثنا إنصافنا صبح الجـزاء يلوح
غـــدارة تبكي على مقـــتولها أثر السرور من البكاء يلوح
آزاد عبد يا أميـــــمية فائــق ونقاؤه بعـــد الشراء يلوح

شهرته في المدائح:

اشتهر السيد غلام علي آزاد بلقبه "حستان الهند" ، وذلك لكثرة مدائحه النبوية. وكانت صناعته في المدح أكثر رونقا وأغزر مادة وأشمل بيان. وفي أول الدفتر الرابع لكتابه" مظهر

البركات " نراه يقول : ' الدفتر الرابع من مظهر البركات لحسّان الهند مولانا السيد غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكر امي نظمه سنة 1195هـ' ويعتقد أن ناصر جنك هو الذي لقبه بهذا اللقب لبلوغه درجة التفوق في المدح. ومما لا شك فيه أن شعره في مدح النبيّ قد بلغ مبلغا في سلاسة النظم، لأنه كان يراعي في المدح جميع المحسنات الشعرية التي تعتبر من أسس البلاغة والفصاحة، مما جعله أهل للقب حسان الهند. وهو يقول في كتابه سبحة المرجان.

عليك سلام الله يا أشرف الورى لقد سال دمعي في وداعك فانيا

وما أنا إلا كالذي جاء منهلا فذاق ولكن عاد ظمــآن باكـــيا

ومن شعره في مدح النبي ما ورد في مظهر البركات:

رب سلم على ضحى إضـــــم قمر السائرين في الظلـــــــم

صاحب الاصطناع بالعفــراء مودع النطق مقول العجمـــاء

زاد آزاد سيد النســـــــــم في المنام المـــبارك القـــدم

فتحنى عليه مبتسمـــــــــا وابتغى شرح صدره كرمـــا

أشكر الله حيث شرفنـــــــى بالنبي الكريم في الوســـــن

ومن أجمل قصائده في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ما يلي:

لله مائسة كغصن الصـــندل أرجت برياها حواشي المحفل

إضمية نشرت روائح مسكها فشفت من الخفقان قلب مؤمـل

سمراء معتدل القــوام كأنها قصب وسكره حلى تدلـــــل

إن أبصر الطاووس زينة نومها يخفض لحضرتها جناح تذلـل

يا حبذا أن حمني لهب الهوى إن السعير لجنة لسمنـــــــدل

أين النسيم متى يجيء عناية حتى تعطرني بنفحة سنبـــل

وعندما أرسلت قصائد آزاد المدحية إلى علماء المدينة أعجبوا بها وقدروها كل التقدير. ولم يكن من طبع الشاعر العربي أن يكثر في شعره معاني التصوير والخيال، فكان آزاد في شعره كالمتنبي، مولعا في شعره بالبديع وابتكر منه الكثير. ويرجع إليه الفضل في إدخال

بديعات اللغة السنكريتية إلى الشعر العربي، ويمكن القول أن الهند لم تنجب قبله شاعرا مثله، وخصوصا في الشعر المردف، المقتبس من الشعر الفارسي.

خصائص شعر آزاد:

حاول آزاد إدخال الأفكار والأساليب الفارسية في الشعر العربي ذكرنا، وحاول كذلك التجديد في فنون الشعر وصناعة البديعيات، وفى سبيل التجديد في الشعر العربي في الهند قام آزاد بنظم قصائد في قالب الغزل وهو غالب في الشعر الفارسى والأردى، ومن رواده ميرزا غالب، وله صفات فنية خاصة، فلا يزيد عدد الأبيات على أحد عشر بيتا متحدة في الوزن الرديف والفاقية. وقد نظم آزاد غزليات عديدة ومن أبرزها:

مرآة الجمال:

وهي قصيدة نونية في وصف أعضاء المعشوقة من الرأس إلى القدم. فيها خمسة ومائة بيت. ونسختها موجودة في مكتبة سالار جنك بحيدرآباد. وفي هذه القصيدة يصف آزاد كل عصو من أعضاء الحسناء. وخصص لك عضو بيتين. ويقول العلامة صديق حسن خان عنها في كتابه نشوة السكران: ' ومثل هذه القصيدة الحسنية مثل القصائد البديعيات حيث شرع فيها صفي الدين الحلي، ثم جاء جمع من الفرسان وأطلقوا أعنة الأقلام في هذاالميدان ، وقد قال آزاد: " لقد شرعة في البنيان وأسست قواعد العمران، فمن يجيء بعدي يزيد على هذا البناء ويرفعه إلى سابعة السماء إن شاء الله. وهذا مرجو ولكن لم أقف إلى الآن على من زاد عليه بعد"

وفيما يلي بعض أبيات هذه المنظومة:

مطلق الحسن:

بي ظبية من أبرق الحنـــان من مثلهـا في عالم الإمكان
شمس تباهي بالسنا أمة لهـا وكواكب أخرى من الغلمان

الضفيرة:

أضفيرتان على بياض خدودها أوفى كتاب الحسن سلسلتان

أو ليلة العيدين أقبلتا معـــا أو من قصائدهم معلقتـــــان

الجبهة:

لله جبهته المضيئة في الدجى وهب الإله له علو مكـــــان

في نصف بدر كامل لكنهـــا تربي على القمرين في اللمعان

سبحة المرجان في آثار هندوستان، السبعة السيارة، مظهر البركات، ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري، تسلية الفؤاد في قصائد آزاد، شفاء الغليل، الشجرة الطيبة في أنساب السادة من أهل بلكرام، سند السعادات في حسن خاتمة السادات، أوج الصفا في مدح المصطفى – وهي قصيدته في مدح النبي، الدر الثمين في محاسن التضمين، لامية المشرق.

7. فيض الحسن السهارنفوري

هو فيض الحسن بن علي بخش بن خدا بخش القرشي الحنفي المولود عام 1816 يصل نسبه إلى بني أمية. غادر بعض اجداده جزيرة العرب إلى الهند واستقروا في سهار نفور. وكانت أسرته ذات ثراء واسع من المال والعقارات، إلا أنهم آثروا العلم.

ويقلول عنه صاحب نزهر الخواطر: " كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، لم يكن في عصره أعلم منه في النحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها متوفرا على العلوم الحكمية، وكان مطبوعا على حدة الذهن والذكاء المفرط، فمال في عهد طفولته إلى مباراة الطيارات ومسباتقتها، ولما بلغ عنفوان سبابه رغب في المصارعة، ولكنه لم يلبث أن اتجه إلى تلقي العلوم والانكباب على الدراسة ، فتعلم الكتب الفارسية والعربية على والده الجليل كما قرأ المخصرات عليه، ثم ارتحل إلى رامفور حيث لقي العلامة فضل الحق الخير آبادي وأخذ منه المعقولات والأدب والفلسفة. وخاض في المنطق حتى لقب بالمنطقي. ثم تحول إلى الأدب وسبر أغواره حتى صار لقبه "الأديب"، وتلمذ على عدد من علماء لكهنو وحذق في

الطب على الحكيم إمام الدين. وعقب ثورة 1857 ترك العلامة مدينة دهلي ورجع إلى قريته، ولكن لم يلبث أن دعاه السير سيد لتعليم ولده سيد محمود كما طلب منه ترجمة بعض الكتب للمؤسسة العلمية التي أسسها، وتم توظيفه في المؤسسة على راتب شهريقدره خمسون روبية. وبعد أن عمل هناك قليلا قصد لاهور والنخرط في سلك البتعليم في الكلية الشرقية بها. وانقتل الشيخ إلى رحمة الله بالموت المفاجئ مسموما إثر لذ حية عام 1887، ودفن في سهار نفور حسب وصية منه.

وكان على تواضع بالغ مع وفرة علمه وكفاءته، يدل لعيه رده حين عرضت عليه جامعة البنجاب تكريمه بلقب شمس العلماء حيث قال: إن تلامذتي يتشرفون بلقب شمس العلماء".وقد عاصر العلماء الأجلاء وحظي بالاتصال بهم ومن أبرزهم: الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس مدرسة دار العلوم بديوبند، والمحدث الشيخ أحمد على العليكرى، والمحدث الخليل أحمد على السهار نفوري صاحب بذل المجهود، والمحدث الكبير خليل أحمد الأنبهتوى، والشيخ لطف الله للعليكرى، والنواب صديق حسن خان القنوجي وغيرهم.

واستقى من ينابيع علومه خلق كثير، بجدر بالذكر منهم ممن ذاع صيتهم في الآفاق: السير سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكره الإسلامية ، والعلامة شبلي النعماني أحد المؤسسين لدار العلوم ندوة العلماء وصاحب السيرة النبوية، والشاعر الأردي المعروف ألطاف حسين حالي، والعلامة حميد الدين الفراهي الذي يعتدر واضعا لفلسفة نظام القرآن.

مؤلفاته العربية:

1. شرح ديوان الحماسة: قام العلامة فيض الحسن السهار نفوري بشرح ديوان الحماسة مفصتلا مع الإشارة إلى أخطاء لشارحين قبله، والكتاب في ثمانمائة صفحة، أعده العلامة السهار نفوري بعد مراجعة شرح العلامة التبريزي للحماسة، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب ابن خلكان ، ومقدمة ابن خلدون، والكامل للمبرد، والإصابة في تمييز الصحابة للامام ابن حجر

العسقلاني، وغيرها من الكتب وعرف الشعراء الذين ورد ذكرهم وأشعارهم في ديوان الحماسة مع تحديد عصورهم، كما قام بشرح المفردات الصعبة مع ذكر أنساب الشعراء.

2. رياض الفيض: هو شرح المعلقات السبع، طبع في مطبعة أنجمن بلاهور، ويمتاز هذا الشرح المستفيض بتأليفه في ثلاث لغات: الأردية والفارسية والعربية. ويقول في مقدمته: ' لما كانت السبع المعلقات كالسبع الشداد ولم يسلك شارح من شراحها مسلك السداد، وقد تناولها الراغبون بفنون الأدب وتداولها المغرمون بلسان العرب، أردت أن أشرحها شرحا وافيا وأكشف عنها كشفا كافيا، ثم يقول:

له همم لو كان في الدهر مثلهـــا لكن لنا خـيرا وقد كان اصلحـا
أتيناه من أرض بعيد نياطهـــــا قلو لاه ما سرنا وما كن رزحـا

3. تحفة صديقية: هذا الكتاب شرح لحديث أم زرع، وأهداه إلى صديقه الحميم السيد صديق حسن خان القنوجي.

4. حاشة على مشاكة المصابيح وهو شرح لتوضيح معضلات المشكاة.

5. حاشية على البيضاوي وهو شرح لتفسير الإمام البيضاوي ، وأصبح فيما بعد من المقررات الدراسية في مدارس الهند الإسلامية.

6. تعليقات الجلالين: فهو شرح في معضلات تفسير الجلالين، حيث يوضح غموضه، ولم يكمله بل مضى فيه حتى سورة بني إسرائيل.

7. قصائد قاسمي : وهو مجموع قصائد يحتوي على خمس قصائد، قرضها بعض الشعراء. وفيض الحسن نفسه شاعر. وله قصيدة فيما جرى بين السلطان عبد الحميد من سلاطين الدولة العثمانية وبين روسيا حين نشبت الحرب سنة 1294هـ يمدح فيها السلطان ويعد مناقبه ومطلعه:

مالي بذي الأرض من وال ولا واق ولا طـبيـب ولا آس ولا راق
ولا حميم ولا جار ولا سـكـــــن ولا نديم ولا كأس ولا سـنــاق
أبكي عليّ بكاء خير منقطـــــــع فلينظر الناس أجفانــي وأماقي

حولي كثير من الأعداد همهـــــم قتلي ومالي دون الله من واقي
قوم غلاظ شداد شيظ من دمهـــم شراسة وعتوا في سوء أخلاق
جفت نفـــوسهم قست قـــــلوبهم فلا تميل بشيء من تـــملاقي
إني أخـــــاف على نفسي تألبــهم عليّ أشفق منهم كل إشفـــاق
عاد إلى قتل قتل غير مكـــتــرث إذ تكشف الحرب للأبطال عن ساق
شاكي السلاح إلى الرايات مبتدرا صدق المقام إلى الغايات سباق
عن آل عثمان سامي الطرف مبتسم إلى الطعان شديد البأس مشتاق
قوم إذا ما غزوا فازوا ببغيتــهم ولا يعودون في شيء بإخـــفاق
فتيان صدق أولو بأس ذوو كرم لا يجلسون لدى قوم بإطــراق

وبالإضافة إلى هذان قام الشيخ فيض الحسن بإصدار المجلات العربية. وكان له دوره الرائد في إصدار صحيفة " النفغ العظيم لأهل هذا الإقليم" التي هي الأولي بين الصحف العربية في الهند. وقد باشر مهامه فيها حين كانمقيما في عليكره، وكانت مقالاته المنشورة فيها دعما للسيد أحمد خان للسير بخدماته في جمع التبرعات لكلية محمدن الشرقية التي كانت هي نواة جامعة عليكره الإسلامية. كما تولى إصدار صحيفة شفاء الصدور، وهو في لاهور. وجاء في مقالة له النفع العظيم:

’ إني لا أذكر شيئا من الأمور في هذه الأخبار إلا ما رأيت بعيني أو سمعت بأذني على توثق، أو سيتفاد من الإخبارات الجارية في البلاد والأمصار إذا كان مما يجوزه العقل السليم والطبع المستقيم، فمن ذلك ما رأيته وما سمتعه من تعظيم السيد أحمد خان في البنجاب حيث عظمه وبجله أهل البنجاب بما أنهماستقبلوه ورحبوا به وقدموا إليه النذور وتلوا عليه ما كتبه له وإليه، وأيدوا مدرسته بالأنفس والأموال، ولم يكن ذلك إلا لاعتقادهم فيه وتصديقهم إياه فيما قال أو يقول، والله لو ادعى الولاية والإمامة، بل النبوة بل الألوهية لصدقوه بالقلب واللسا، ولآمنوا به وأذعنوا له غاية الإذغان، ولكنه لم يدع الولاية لما أنه لا بعد الولاية شيئا، ولا النبوة لما أنه يعد تصديق النبي صررويا في الإسلام، ولا الألوهية لتنافي الظاهر بين البشرية والألوهية،

وهؤلاء المعتقدون رجال إذا جاءهم دجال من الدجالين الذين يأتون قبل القيامة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم صدقوه باللسان والجنان. إن رغبتهم في منافع الدنيا شيء يعتقد به لا غير ، ليسوا سواء فمنهم من آمن به ومنه من كفر به، ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

8. ديوان الفيض: هذا اروع ما خلفه العلامةمن الآثار الأدبية، فهو يشمل 1549 بيتا، وقد قام تلميذه النابغ الإمام عبد الحميد الفراهي بطبعه بحيدرآباد، ونشره على نفقته الخاصة. ويبدو من مطالعة هذا الديوان أنه كان مطبوعا على الشعر العربي، لأنه عربي الأرومة. فهذا الديوان خير دليل على أرومته العربية وهو من روائع أعماله، فيقول مثلا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

فديتك أن تعاتبنـــي فتنعـم علـــيّ فكل خير في عتـــابي
فدى لك أن تعاقبني فتحسبن إلى فأي شر في عقـــابـــي
أتيتك مستغيـثا مستغيثـــا بقلب فارغ يحكـــي جوابـــي
إليك المستغاث فإن تغثني وإلا فالتباب على التبـــــاب
رســـول أبطـــي هاشمـــي شفيع مـستـجيب مستجـــاب
خلقت مباركا وبعثت سحما فأحسن بي على شري وعابي
تربت وطال ما تربت يميني فخذ بيدي بآل أبـــي تـــراب

وقال يرثي أمه التي ماتت في غيبته:

أصابتنى هنات في هنـــات فمت قبيل أن يأتـــي ممـــاتي
وذلك أن أتاني أن أمـــــتي مضت لسبيلـــها في الماضيات
أبت إلا المضنيّ إلى بـــلاذ تضم قـبائل الـقـوم الشـــتات
فسارت زادها زهد وتقوى فكان بتاتـــها خيـــر البتـــاء

ويذكر أيام شبابه:

كان لي في الشباب عيش لذيد عاتق فاتـــق ولحـــم حنيـــذ

وجـــوار وعلـــمة وقـــيان مطربـــات يلهو بهـــن النبيذ

ثم شاعذ اللسان مني فصـــيح لا يباريه شاعـــر خنذيـــــذ

وبالإضافة إلى هذا له مؤلفات ومقدمات أخرى قيمة في اللغة العربية والفارسية منها: روضة الفييض، كلزار فيض، شفاء الصدور، مثنوى صبح أسيد، فيض القاموس، رياض الفيض، جشمه فيض، فيضة النفع العظيم والتعليق المنعوت على سنن أبي داود، وكنز الدقائق وفتح البيان في مقاصد القرآن ، وحواشى المناظرة الرشيدية.

8. الشيخ محمد أنور شاه الكشكيري

ولد الشيخ أنور شاه بقرية ودوان بكشمير في السادس والعشرين من نوفمبر سنة 1875م. وكانت أسرته اشتهرت بالورع والزهد والعبادة، وبدأ تعليمه بقراءة القرآن. ثم درس العلوم المتداولة في زمنه من الفقه والأصول والمنطق والصرف والنحو. وتوجه إلى دار العلوم ديوبند قاصصدا الالتحاق بها عام 1893م. وكان وقتئذ في السابعة والعشرين من عمره. وتعلم هناك على كبار عصره من أمثال محمود حسن ديوبندي ورشيد أحمد جنجوهي وغيرهم. وقد سبق له أن درس الفارسية ومبادئ العلوم العربية من والده.

وبعد التحصيل من دار العلوم ديوبند سافر إلى دهلي ، وعين هناك مدراسا في إحدى مدارسها، ثم افتتح هناك مدرسة عربية باسم المدرسة الأمينية ، حيث قام بالتدريس سنة واحدة حتى احترق قلبه حنينا للقاء أهله وذويهن وقفل عائدا إلى كشمير. وقد أسس في قريته مدرسة اشتهرت باسم مدرسة " فيض عام" ، وأقام بها ثلاث سنوات.

شغفه العلمـــي

كان الشيخ أنور شاه شديد الاستحضار قوي الحافظة والذاكرة، دفعه حب الاستطلاع إلى قراءة الكتب العلمية. وكان من عادته أن يطالع أي كتاب وقع عليه عينة سواء كان مطبوعا أم مخطوطا، ويمتص بذهنه ما يحتوي عليه. ويقال إنه أول عالم هندي طالع مسند الإمام أحمد المطبوع في مصر.

واستطاع بكثرة المطالعة والمذاكرة أن يزيد مخزونه العلمي الذي صاغ به شخصيته، والذى بفصله تخطى إلى معظم العلوم النقلية خطوات موفقة ناجحة. وكان إمام في علوم القرآن والحديث وملما بكتب أهل الكتاب من العهد القديم والجديد بلغتها الأصلية في العبرية. وجمع من البشارات المسيحية مائة علقها برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

رحلا ته العلمية

بعد قيامه بممارسة التدريس لمدة سنوات، نوى زيارة الحرمين الشريفين، فحج وزار ، وسمع الحديث من الشيخ حسين بن محمد الجسر الطرابلسي، ثم رجع إلى الهند وهبط ديوبند مرة أخرى، وظل يدرس بدار العلوم حيث صار خلفا صالحا لشيخه العلامة محمود الحسن الديوبندي لماسافر إلى الحجاز، فاشتغل بتدريس سنن الترمذي وصحيح البخاري وكتب الأحاديث الأخرى حتى عام 1345 هـــ، مما آلت إليه زعامة ورئاسة تدريس الحديث في الهند.

وفي أثناء إقامته في دار العلوم ظل يشتغل في تحقيق آراء المذاهب، واطلع على دواوين السنة وكتب المتقدمين، حتى أصبح مرجعا لسائر الأساتذة، وكانت أوقاته هناك متوزعة بين درس وتدريس وتحقيق وإفادة.

إلا أن العلاقات بينه وبين المسؤولين في دار العلوم بدأت تضعف من جراء الاتهامات والشائعات مما أدى إلى استقالته منها. وصادف أن تلقى وقتئذ من الجامعة الإسلامية بدابيل دعوة للانضمام إليها للتدريس. فغادر ديوبند إلى دابيل بولاية كجرات. وقد علا شأن هذه الجامعة بحضوره الفعلى في أحضانها، كما بذل جهوده الطيبة في تأسيس المجلس العلمي فيها لممارسة التأليف والعناية بالقضايا العلمية التي تهدف إلى تنمية مواهب الطلبة واستثمار مهاراتهم. وما زال بها الشيخ يخدم العلوم ويدرس طلبتها ويفيد الأساتذة ويستفيد منه العوام حتى تردت صحته بسبب الأمراض، فرجع غلى ديوبند حيث وافته المنية في شهر صفر عام 1352هـ.

أعماله التأليفية:

1. فيض الباري:

هو من أجل مؤلفاته، كتبه شرحا لصحيح البخاري. وهو في الواقع مجموعة محاضرات ألقاها على مسامع طلبة دار العلوم في خلاله تدريسه صحيح البخاري. ألفه في اربعة مجلدات. وينفرد هذا الكتاب بأنه جمع أقوال العلماء، واستوعب أدلة المذاهب الأربعة، واستعرض المؤلف في الراجح والمرجوح من بين الآراء والمسائل، وفي معظم الأحيان كان يرجح ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة، كما اعتنى الشيخ أنور شاه بذكر ما لم يذكره شراح البخاري في شرح الحديث قبله مع موجز من كلامهم، إلى جانب بيانه لنواحي البلاغة العربة والكلام وأصول الفقه، وينبه على زلات الشارحين. رتب هذا الكتاب الشيخ بدر عالم الميرتهي بعد أن علق عليه تعليقات نافعة وضمنه بحوثا مفيدة.

خصائص كتاب فيض الباري:

صار هذا الكتاب مركز اهتمام العلماء داخل الهند وخارجها لمافيه من فوائد كثيرةوهو يغنى عن سائر كتب الشروح في معرفة معظم المسائل الفقهية. وقد توج المؤلف عمله هذا بلماحظاته القيمة المبنية على سداد الفكر المستمد من روح الشريعة مع الاهتمام بملاحظات العلماء المتقدمين. وكان همه الأكبر من سرد المسائل التي وقع الاختلاف فيها، الوقوف على ما يوافق روح الشريعة. وإذا تعددت طرق الحديث فلم يكن يدير الكلام على طريقة واحدة، بل كان يجمعها إن أمكن الجمع، وإلا فيتوخى ما هوموافق لغرض الشارع. وإذا وجد الأحاديث تتضارب في المفهوم، ولم يتعين غرض الشارع بوضوح، كان الكل سائغا فلا أفضليلة لرأي على آخر، أما إذا تعين غرض الشارع فكان هو المحمل الصحيح عنده. وإذا اختلفت الروايات عن صاحب الشريعة واختلفت الرواية من الإمام أبي حنيفة كان يحمل كل راوية على كل حديث وكان يقبل الكل.

2. مشكلات القرآن:

يبحث هذا الكتاب في مشكلات القرآن ، وهو في 319 صفحة، بالإضافة إلى مقدمة ضافية وقيمة أعدها تلميذه النجيب الوفي مولانامحمد يوسف البنورى. ويعالج الكتاب نحو مائة وستين آية من القرآن الكريم موزعة في ثمان وأربعين سورة. ثم فسرها تفسرا واقعيا دقيقا بعد تحليلها علميا. وهذا موضوع مستقل قد اعتنى بالتأليف فيه أفراد قديما وحديثا. وأول من صنف فيه أبو عثمان الجاحظ صاحب كتاب نظم القرآن الذي نال به فضل السبق.وتبعه أبو عبد الله الواسطى المعتزلى المتوفي سنة 306هـ. ثم أبو الحسن على بن عيسى الرماني الذي صنف رسالة صغيرة في الموضوع. وجاء بعده الإمام القاضي أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة 403هـ ووضع كتابه المعروف بإعجاز القرآن.

ويمثل تأليف الإمام السيوطي كتابه الإتقان خطوة جادة في هذا الفن. كما ألف فيه أيض الإمام أحمد بن محمد الخطابي وابن سراقة والإمام الرازي والشيخ الزملكاني. وفي العصر الحديث تصدى للتأليف فيه رجال من أمثال الأديب الفاضل مصطفى صادق الرافعي، وله كتاب إعجاز القرآن.

ويأتي تأليف الشيخ أنور شاه الكشميرى مستوحيا لما سبق من الأعمال ومتحمسا لاستكمال ما فاتهم. وهو بعمله هذا يشبه المتقدمين في دراستهم علوم القرآن واستخراج جواهر÷. وكان يقول: إعجاز القرآن عندي أبين من طلوع ذكاء من مشرقها، ولا ريب في أنه متقدم في علوم البلاغة متمكن من ناصيتها. وكان يشكر هذه المنة التي أنعم الله بها عليه وهو يقول: قد أودع الله في قلبي معيارا لمعرفة البلاغة، فلست فيها لأحد مقلدا، وأعطاني بصيرة أدرك بها مراتبها. وكان يبذل غاية جهوده في حل مشكلات القرآن. وتفسير القرآن على حد تعبيره الصدع بغرضه بما تقتضيه جزالة شأنه وروعة نظمه المعجز على سذاجة فطرية ويستغني عن تكلفات وتقديرات تنافي بليغ نظمه المعجز.

وله مؤلفات أخري منها

3. **بسط اليدين لنيل الفرقدين:**

4. عقيدة الإسلام:

5. مرقات المطارم لحدوث العالم:

6. فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب:

7. كشف الستر عن صلاة الوتر:

8. الفار الملحدين في ضروريات الدين:

9. التصريح مما تواتر في نزول المسيح:

10. العرف الشذي على جامع الترمذي:

11. أنوار المحمود في شرح سنن الكتاب:

شعــره:

للعلامة أنور شاه الكشميرى قصيدة فى المدح النبوي والمراثي والمديح، وقد رزق ذوقا سليما للشعر. وكان قد حفظ من قصائد الشعراء العرب ما يربو على خمسين ألف بيت،وكان ذوقة الشعري فى طبيعته غير العادية. ويبلغ عدد أبيات قصيدته ألفا ومائة وخمسة وخمسين بيتا. وأسلوبه فى الشعر أسلوب فحول الشعراء في العصر الجاهلي والإسلامي. ومن قصيدته فى محد الرسول صلى الله عليه وسلم.

برق تألــق موهـــنا بالــوادي فاعتاد قلبي طائف الأمجاد

أسفا على عهد الحمى وعهاده تولى على الإبراق والأعاد

هب النسيم على الربي فتضاحكت بشرى العميد عرارها والجادي

لعبت صباها والشمال وتارة لعب الغصون بعطفها المياد

وله قصيده أخرى في المديح النبوي وهي تمتاز باشتمالها على أسماء الرسول ومنها

شفيع مطاع نبي كريـــــــم قسيم جسيـــم نســيـم وسيم

صبيح مليح مطـيب التميم مفاض الجبين كبدر مبـــيــن
غياث الورى مستغاث الهضيم أحيد وحيد مجيد حـــمـــيــد
وخير البرايا بفضل جسـيـم وهز عزيز حباة قـــويـــــم
وأسرى به ربـــه فى السماء كـــنور تجلى بليل بـهـيـــم

التعريف بالمؤلفات العربية لعلماء الهند

1. سبحة المرجان في آثار هندوستات:

هذا أشهر مؤلفات السيد غلام على آزاد البلكرامي. ألفه سنة 1177 هـن وهو كتاب يدور حول الهند وما في الهند، ويتناول فيه مزاياها وفضائلها، ويثبت وجهة نظره بالآيات والحاديث النبوية. ويقول في فضيلة الهند إن آدم هبط من اجنة إلى سيلان التي تعد إذ ذاك في أرض الهند. ويقسم هذا الكتاب إلى أربعة فصول. وفى الفصل الأول بيحث الكاتب عن ذكر الهند فيما جاء في التفسير والحديثز والفصل الثاني في تراجم علماء الهند وتصانيفهم في النثر والشعر ويذكر فيه ما يختصون به من العلوم والفنون، حيث سيتعرض دراسة ثلاث وأربعين شخصية من الأعلام الهنود البارزين الذين فاقوا ونغوا في الفنون المختلفة. والفصل الثالث في محسنات الكلام وتعريب ما نقل عن الهنود من الآدات والحكم والأشعار، وفيه خمس مقالات. المقالةالأولى في المحسنات التي نقلها عن الهندية إلى العربية.

ويرى غلام علي أن جميع الأمم أخذت عن الهند كثيرا من الفنون، ولكن الموسيقا لم يأخذها عنهم أحد. ويبرهن على ذلك بتجربته الواسعة في اللغة العربية والفارسية والألسنة الأخرى من ألسنة الهند. ويقول إن للهنود لغة اسمها سنسكرت وهي التي فيها دونوا علومهم. ولهم أربعة كتب سماوية على زعمهم، وهي مشتملة على المواعظ والأحكام والأخبار التي مضى على نزولها مائة ألف(لكوك) سنة. ونظموا في علم التنجيم أربعمائة ألف أشلوك. والأشلوك في السيسكريتية يشبه المنظومة في العربية.. والبحور العربية والفارسية والهندية

يختلف بعضها عن بعض. والقليل منها متشابه، كالمتقارب وركض الخيل والسريع، فإنها جاءت في الألسنة الثلاثة. وفى الهندية بناء كل مصراع في المتقارب على ثمانية أجزاء.

ويقول عن مهارة أهل الهند في الفنون: ثم إن قدماءهم الذين كانوا قبل زمان الإسلام استخرجوا من الكلام بدائع وافية، منها مشتركة بينهم وبين العرب، كالتورية وحسن التعليل وتجاهل العارف ولامراجعة والاستعارة والتشبيه والجناس والسجع وغيرها. وأنا قصدت أن أنقل القسم الأخير عن الهندية إلى العربية فرأيت بعضها لا يقبل النقل لخصوصيته بلسان الهند، وبعضها يقبل النقل فنقلت عنها نبذة وجدتها فائقة وألحقة بفن الأدب جملةرائقة، وأرجو من العرب العرباء أن يستحسنوا مخترعات الأهاند، كما استحسنوا الأسياف الهندية بين الفراند. ولما شمرت ذيل الجهد في هذه الميادين وعمدت على استخراج الأمثل عن المجاميع والدواوين سنحت لي نبذة من الأنواع وظفرت بأقراط ثمينة للأسماع فاخترت من الأنواع اهندية ثلاثا وعشرين وسميتها في العربية بأسماء مناسبة. ثم يقول: وأوردت نوعا من مستخرجات الأمير خسرو الدهلوي.

2. نزهة الخواطر:

صاحب هذا الكتاب العلامة السيد عبد الحي الحسني والد السيد أبواالحسن على الندوي. يعدّ هذا الكتاب سجلا تاريخيا مرجعيا، يسلط الضوء على تاريخ الأعلام وما طرأ في أيامهم من الحوادث السياسية والدينية والاجتماعية في القارة الهندية. ويحتوي الكتاب على تراجم الأعلام من القرن الأول إلى القرن الربع عشر الهجري.

ومن المعروف أن بلادنا الهندية قد أشرقت بنور الإسلام منذ فجر الإسلام وهبت عليها نسائم في وقت متكر. وظل هذا الدين ينمو ويزدهر في رحاب الديار الهندية، وخصوصا بعد اضمحلال قوى المسلمين في الشرق العربي، حيث توافد المسلمون إلى الهند واستقروا في ربوعها التي احتفت بهم وبتراثهم، وفيهم العلماء والأدباء مما جعل الثقافةوالحضارة الإسلامية تتطور، وارتقت معها العلوم الدينية والآداب العربية دراسة وتدريسا وبحثا وتحقيقا وتأليفا. غير أن العلماء ما كادوا يعتنون بتدوين تاريخ العلم والعلماء الأعيان في البلاد. اللهم إلا الكتب

النادرة في الفارسية التي لا تغنى من جوع، وهذه هي الظروف التي ساعدة الشيخ عبد الحي على تأليف كتابه الرائع " نزهة الخواطر" واختار العربية لباسا له . وقد أدرك أن الفارسية تكاد تنتقضي أيامها وتأفل نجومها، وأن الأردية ما زالت في طور النشوء والتطور ولم تنضج ثمارها، وهكذا صارت العربية ناطقة بأجل عمل تاريخي وموسوعي يلقى الضوء على تراجم القرون والأجيال.

والكتاب ليس مجرد بيان لتراجم الأعيان، بل هو أكثر من ذلك يشتمل على جميع نواحي الثقافة الإسلامية التي كانت الهند تمر بها طيلة ثمانية قرون ونصف قرن – مماجعل الكتاب موسوعة علمية تاريخية في أسلوب رصين ومنهج علمي أصيل. ويقول الدكتور السيد قدرة الله الباقوي في خصائص هذا الكتاب:

1. أنه يمتاز بتقييد تعض الأعلام بضبط الحركات، وتعريف الأمكنة والأشخاص، مما يحتاج إليه طالب التاريخ لكي يقرأ الأسماء بسهولة. مثلا يقول عن نجرام: بفتح النون قرية جامعة من أعمال لكنهو.
2. أنه اعتنى باستنساخ التراجم القديمة، ووازن وصحح وبذل جهوده في تحقيق الأحوال الصحيحة، واذا وجد روايات متضاربة تناولها بالتحليل العلمي حتى استخلص النتيجة وليس عليه غبار.
3. أنه ترك كثيرا من الروايات التي ذكرهاالمؤرخون في كتبهم لعدم ثبوتها ليده.
4. أنه ميز بين أسماء المترجمين المتشابهة، وفصل بينهم بذكر الأوصاف المميزة.
5. استخرج العبر من الحوادث والنكباب لكي يعتبر بهاأولو الأبصار.
6. أنه لم يبادر إلى طبع الكتاب، بل ظل ينقحه ويعيد النظر فيه ويراجع مصادره طوال حياته.
7. لم يجعل الكتاب وسيلة للتقرب إلى ملك أو حكومة، إنما بذل جهده خالصا لوجه الله. يقول وإني لم أقصد بجمعه خدمةذي جاه كبير أو طاعة أمير ووزير، لم أداهن فيه أحدا بنفاق

أو مدح أو ذم مباين للأخلاق. ثم يقول: إني سميته نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر.

8. إنه كتب أسماء الأشخاص والأمكنة بالحروف الأردية لكي لا يلتبس التلفظ على القارئ.
9. أنه صرح في التراجم بسني المواليد والوفيات حسب التقويم الهجري.
10. اختار طريقة معروفة في كتابة التراجم، رتبها حسب الأسماء والأنساب وتاريخ الولادة واسم الوطن ثم وثف التعليم والخصائص المميزة، ثم أخلاق المترجم وآثاره، ثم يذكر وفاته.

3. حجة الله البالغة:

هذا الكتاب من الأعمال الرائعة التى قام به الشيخ الدهلوى.

وهو كتابب فريد في بابه وقد ذاع صيته في الآفاق وسار به الركبان. وتأتي تسميته من قول الله: "فلله الحجة البالغة"، وقد استقى المعاني التي يشتمل عليهاالكتاب من القرآن والحديث وأقوال ألصحابة والتابعين وكتب المتقدمين، ثم من فهمه وابتكاراته والفيوضات التي ألهمه الله إياها. والكتاب يشتمل على قسمين، ففي القسم الأول بين الإمام الدهلوي الأصول التي توارد عليها الأمم، وهي تنقسم إلى سبعة مباحث وفي كل مبحث عدة أبواب، وقد تناول الإمام الدهلوي كل مسألة بإيضاح وبيان.

وفي القسم الثاني بين في ضوء تلك الأصول أسرار الأحاديث واستدل بالآيات وأقوال الصحابة وتحقيقات قدمها المتقدمون من أبواب الإيمان والعلم والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والإحسان والمعاملات وتدبير المنازل وسياسة المدن وآداب المعيشة وغيرها، ومنهجه في هذا الكتاب هو البحث عن الحكمة العملية والعلمية في الأحكام. يقول عن أهمية هذا الجانب في كتابه.

" الجزء اللطيف" إن إصلاح هذه الدورة يعني العصر – يكمن في استخدام الحكمة العملية والحكمة العملية هو علم يبحث عن حقائق الأشياء الموجودة في الأعيان على ما هي

عليه في نفس الأمر من حيث أنه يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد وهو على ثلاثة أقسام، إماعلم بمصاحل شخص بانفراده ويسمى تهذيب الأخلاق، وإما علم بمصالح جماعة مشاركة في المنزل ويسمى تدبير المنزل وإما علم بمصالح جماعة مشتركة في المدينة ويسمى السياسة المدنية.

ولم يتطرق إى هذا العلم أحد قبله بهذا التبحر والحدقة، هو الذي سبر أغواره والتقط كنوزه وقد قام من قبله الإمام الغزالي في إحياء والإمام عز الدين بن عبد السلام في القواعد الكبرى بقدر ما توفرت لهما من الإمكانات وما حصلا من العلوم والتجارب، ولكنهما لم ينجحا تماما وكانت نسبه نجاحهما أقل من القليل، لأن الإمام الغزالي لجا إلى الفلسفة اليونانية لابتكال حقائق الدين وأسرار الشريعة، وقد أوضح خطأه في هذا المجال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ويتضح لنا أن الله اختص لهذا العمل الجليل الإمام ولي الله الدهولي، وأودع فيه مؤهلات هائلة وكفايات كثيرة لتحقيقه وكشف أسرار الدين وإدراك كنه الحديث واستجلاء روحه.

قيمته العلمية:

كتاب "حجة الله البالغة" من الأعمال الرائعة للإمام ولي الله الدهلوي، وهو العمدة في جميع ما صنف في علم أسرار الشريعة قبله وبعده. وهناك كتب قليلة ألفت بعد الإمام ولي الله الدهلوين وكلها عالة على حجة الله البالغة. منها كتاب " الدين الخالص" للأمير السيد صديق حسن خان البوفالي وكتاب" الأركان الأربعة " للعلامة الشيخ أبي الحسن على الندوي. ومما يمتاز به هذا الكتاب عن غيره طبيعة معالجة الموضوع، فموضوعاته مبتكرة وأسلوبه شيق وعباراته واضحة في عربية ناصعة، برغم أنه لم يكن من العرب، والعربية لم تكن لغة رسمية في الهند في أي عهد من العهود. وقد عاصر الإمام أيام اضمحلالها حتى إن البلاد العربية لم تنجب أصحاب القرائح والمبدعين في هذا العصر.ونهوض الإمام الدهلوي يدل على عبقريته وموهبته التي من الله بها عليه والفيوضات التي ألهمه إياها. ولقد شهد التاريخ على نبوغه ونبله

في كل مؤلفاته بحيث يبقى رمزا لتغيير مجرى التاريخ وتوجيه الشعوب والأمم إلى ما يصلح به شأنها، مما جعله علما للدعوة الإسلامية في الهند في الألف الثاني للهجرة.

4.تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين:

وهو أول كتاب ألف في تاريخ كيرالا بيد واحد من أبنائها، كتاب اشتهر به المؤلف وذاع صيته في الآفاق. وقد عاش المؤلف ومليبار ترزح تحت وطأة الاحتلال البرتغالي. وكان شاهد عين لتلك الأحداث الأليمة التي عناها أهل مليبار من ظلم وجور وتشريد وعتك أعراض وإتلاف أموال وما إلى ذلك من المعاناة النفسية والمالية. فسجلها في كتاب تحفة المجاهدين بكل دقة وأمانة حتى صار الكتاب مرجعا رئيسا موثوقا به لتلك الحقبة الزمنية في تاريخ كيرالا بصفة خاصة وتاريخ الهند بصفة عامة.

وهذه الأحداث التي ظلت تؤرق المجتمع الإسلامي بديار مليبار زهاء تسعين سية زادت من حمية الشيخ زين الدين وحماسته، صمد أمامها صمود البطل الغيور، مقاوما الاستعمار البرتغالي. وبذل كل ما في وسعه لطردهم من وطنه، وتأليف هذا الكتاب يأتي تحقيقا لهذه الأغراض ونداء إلى الأمة، يحثهم على الانتفاضة الشعبية ضد الطغاة. وقد اتصل في هذا الصدد بالسلاطين المسلمين في الهند وخارجها وراسلهم ليساندوا المسلمين المضطهدين في مليبار ولينصروا حاكمهم الساموتري، وأشعل مجامر القلوب بالشعلة الإيمانية وأبي التسليم والهوان أمام العدو الغاشم، بل ظل صامدا صمود الجبال، وشمر عن ساق الجد والجهاد ضد الاستعمار الأجنبى. وذكر المسلمين بما أعد الله لهم من الجزاء المقيم، وحذرهم من المآل المهين إذا لم يقوموا بواجبهم ويتحركوا ضد الطغاة، جهادا في سبيل الله وإنقاذا للمستضعفين من الرجال والولدان.

وقد قدم الشيخ زين الدين هذا الكتاب تحقة رائعة للسلطان علي عادل شاه حاكم مملكة بيجافور في جنوبي الهند **(1580 – 1558م)**، طلبا منه أن سياعد المسلمين في دفاعهم عن الأرض والعرض، ويدفع عنهم ما حل بهم من الذل والهوان. ويقول في مقدمة كتابه: ’ وسميته

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين... وجعلتها تحفة لحصرة أفخر السلاطين وأكرم الخواقين الذي جعل جهاد الكفرة قرة عينيه وإعلاء كلمة الله بالغزو قرط أذنيه، وأرصد نفسه الشريفة لنصر أهل الله ، وهمته العلية لتدمير أعداء الله، محيي دين اله ماحي الكفر والضلال عن بلاد الله الذي صيّر محبة العلماء والصلحاء نصب عينيه، وإغاثة الكرباء والضعفاء سطح نظره، مالك أزمة المعالي حسنة الأيام والليالي، الفائز مع حداثة سنه بالسعادة الأبدية، والحائز مع كثرة حساده على المفاخر السرمدية، الذي طبق أرجاء الوجود مسير مكارم أياديه وعبق نواحيه، شذا نفحات ذكر محاسنه، ودانت لهيبته رقاب الأعاظم، وذلت لعزيز صولته كرام الأعارب والأعاجم، والكريم الذي أمطرت سحائب كفه على فضلاء البلاد البعيدة، الكريم الذي اسنى حلمه حلم الحكماء المتقدمة، صاحب النصر والفتوح، والعمل الخالص النصوح، ذي الغزوات التي تليت آيات فتحها في المحافل والأمصار، والمكرمات التي شاعت آثارها في الأقطار، الساعي في قطع دابر الكافرين واستيصال المبطلين، ناشر رايتا العدل والإحسان باسط أكف الفضل والامتنان، السلطان الأعظم والمظفر الأوّاه، السلطان علي عادل شاه، رفع الله ب قواعد الدين وشيدها وقمع بأسه أولياء الطغيان وأباد فرقتهم وفرقها وملكه بساط الأرض شرقا وغربا، وسلطه برأ وبحرا وعجما وعربا، وهو الإمام الذي شهد بمكارمه الخافقان، ورغب في خدمته الثقلان. خلد الله على العالمين إحسانه وعدله، وصب عليهم كرمه وفضله بحق النبي صلى الله عليه وسلم'.

هكذا أطنب المؤلف في المدح والإطراء للسلطان علي عادل شاه، وذلك تغرض الحث على نصرة المسلمين في مليبار وإنقاذهم من الويلات والتكبات التي تعرضوا لها من المستعمرين.

والمؤلف يسجل في كتابه هذا تكل الأحداث التي جرت على مسمع منه بدءا 904 حتى سنة 991هـ، وهذه الفترة المزمنية صاخبة بالأحداث الجسام . وكتاب ' تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان، للشيخ زين الدين المخدوم الكبير جد صاحبنا، كان هو الآخر سيجل أهوال هذه الفترة، ولنقتبس هنا نماذج من تحفة المجاهدين للاطلاع على نفاقم الأحداث

والويلات التي قام بها البرتغال في ديار كيرالا، يقول: فطلمواهم وأفسدوا فيهم وفعلوا فعائل قبيحة شنيعة لا تحصى، من ضربهم والاستهزاء بهم والضحك عليهم إذا مروا بهم استخفاقا، وجعلهم مراكبهم في مجال الماء والوحل، والبصق في وجوههم وأبدانهم وتطيل أسفارهم، خصوصا سفر الحج ونهب أموالهم وإحراق بلادهم ومساجدهم وأخذ مراكبهم ووطء المصاحف والكتب بأرجلهم وإحراقها بالنار،وهتك حرمات المساجد، وتحريضهم على قبول الردة والسجود لصليبهم وعرض الأموال على ذلك، وتزيين نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة لتفتين نسوان المسلمين وقتل الحاج وسائر المسلمين وساموهم أنواع العذاب، وسب رسول الله جهارا، وأسرهم وتقييد أسراهم بالقيود الثقيلة، وترديدهم في السوق لبيعهم كما يباع العبيد وتعذيبهم بأنواع العذاب لزيادة العوض، وجمعهم في بيت منتن وضربهم بالنعل إذا استنجوا بالماء وتذيبهم بالنار... ثم إن بغيتهم العظمى وهمتهم الكبرى قديما وحديثا تغيير دين المسلمين وإدخالهم في النصرانية.

وصفوة القول إن كتاب تحفة المجاهدينكما يتبين من محتواه كتاب ديني وتاريخي، بل وأكثر من ذلك هو أول وثيقة تاريخية في أحوال كيرالا القديمة وتاريخ الإسلام والمسلمين.

نشرت لهذا الكتاب عدة نسخ خطية في جميع أرجاء البلاد رغم أن السلطات الاستعمارية حكمت بمصادرتها. طبع أولا باللغة العربية في لسبونة عام 1892م بعناية جميعة لشبونة الجغرافية بمناسبة احتفال السنة الأربعمائة لاكتشاف بلاد الهند، وقد نقله إلى اللغة الإنجليزية المستشرق الإنجليزي Rowlandson ، وطبعه مع ترجمة إنجليزية ليدنعام 1832م.

ونشره المستشرق البرتغالي David Copes ، (1867 -1942م) ، متنا وترجمة في الأسبانية مع مقدمة وحاشية في 331 صفحة، كما نقله إلى الإنجليزية الأستاذ محمد حسين نينار رئيس قسم اللغة العربية بجامعة مدراس، الهند سابقا. ويشتمل ' تاريخ فرشته' على خلاصة تحفة المجاهدين، ونقله إلى الأرديةشمس الله القادري وظهر له عدة ترجمات في اللغات الهندية والعالمية مثل اللاتينية والشيكية والبرتغالية والفارسية والغجراتية والهندية والتاملية. وأما في لغة ملیالم فله أربع ترجمات.

كما اعتنى به الباحث السوري محمد سعيد الطريحي الذي صدر له ذخائر علية هندية كثيرة عن المركز الثقافي العربي الهندي ومقره مومباي الذي أسسه هو لإحياء التراث العربي. وجاء هذا الكتاب في سلسلة دائرة المعارف الهندية، وجعل له مقدمة ضافية. وقد زار لأجل زيادة خبطه قرية فناني واتصل بمن عى قيد الحياة من السلالة المخدومية وهو يقول في مقدمته: ولما زرت مليبار سية 1981 وأقمت فيها عدة أشهر، عرفت أهمية هذا الكتاب. وشاء الحظ أن أحصل على نسخة خطية قديمة له كانت في حوزة أسرة المؤلف نفسه، فعكفت على مقابلتها بالنسخ المذكورة، وقدمت بما يناسب موضوعها وعلقت عليها بالتعاليق اللازمة، ومن فضل الله تعالى أن قد تم ذلك في فترة وجيزة مع أن المراجع الخاصة بالموضوع غير متيسرة المنال.

اللغة العربية فى كيرالا

علاقة كيرالا مع العرب:

تقع كيرالا فى جنوب الهند وسكانها الهنادكة الأغلبية والمسلمون والمسيحيون وغيرهم الأقلية. فأعضاء جميع هذه الديانات المختلفة يختلطون فيما بينهم فى حياتهم الإجتماعية حتى فى بعض تقاليدهم الدينية، ويعيشون مع الود والإخاء. ظهر الإسلام فى جزيرة العرب ووصل نوره فى مليبار بواسطة التجارة البحرية، ومن أيدى الصحابة مثل مالك بن دينار وأصحابه. ومكثوا متمثلين الأخلاق الفاضلة ينشرون الإسلام. وبنى مالك بن دينار وأصحابه نحو أحد عشر مسجدا فى مختلف أنحاء البلد وبدأو فيه الصلاة ودراسة القرآن وتعاليم الإسلام الإبتدائية والعالمية. وتولدت فى كيرالا ثقافة جديدة وحياه سليمة من العيوب الإجتماعية والعقائد الفاسدة. وهكذا جاء كثير من الوفود الخارجية لأغراض تجارية ودينية ووقعت الإختلاط والإمتزاج فى الثقافة المحلية وفى اللغة أيضا. الآن كثير من أهالي كيرالا يرحتحلون إلى البلاد العربية كي يكتسبوا قوتهم نظرا إلى الوسعة المالية.

انتشار اللغة العربية فى كيرالا:

انتشر اللغة العربية من ناحيتي التجارية والدينية. وبدأت العلاقة التجارية منذ القرون قبل الميلاد. جاء كثير من تجار العرب إلى الأسواق التجارية الهندية، واختلطت اللغات بالعربية. كان العوام يتكلمون اللغة المحلية المخلوطة بالكلمات العربية، والتجار يهتمون باللغة العربية للتقرب إلى التجار الأغنياء العرب. وقد تسبت مخالطة العرب مع أهل كيرالا فى استعارة كثير من الكلمات العربية إلى لغة مليالم التي تدل على قوة اللغة العربية فى إيقاع تأثيرها فى سائر اللغات، وكانوا لا يستعملون لبعض البضائع إلا الأسماء العربية مثل الصندل والتمر الهندي (sandal and tamarind).

انتشارها بالناحية الدينية يرجع إلى انستار الإسلام وإنتشار القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين والأحاديث النبوية. والمسلم مرتبط باللغة العربية منذ ولادته حتى آخر لحطات حياته. وجميع عبادة المسلم مرتبطة بالعربية ويضطر على أدانها فى حياتها.

دور المساجد والمدارس الدينية:

وقد يدأت الدروس الإسلامية فى المساجد منذ إنتشار الإسلام فى كيرالا. أشرف العلماء علىتعليم شعائر الله وإدامة الفرائض الدينية وقاموا بتدريس أولاد المسلمين بين أهالي البلاد. وبعض المؤرخين يرون أن أسرة المخدوم فى فنان هم الذين بدأو نظام الدروس المساجدية فى كيرالا. ولكن يكتب ابن تطوطة أن نظام الدروس بدأت قبل ذلك فى المساجد المختصة. وأصبحت هذه المساجد مراكز التعليم حتى اليوم. وأخرجت منها العلماء والنبغاء فى مختلف الموضوعات. ينالون العلوم المختلفة من التاريخ وجغرافيا وعلم الحكمة والمنطق والحساب والهندسة وعلم المعاني والبيان والتفسر والحديث والفقه وغيرها باللغة العربية. وكانت المساجد التي تجري فيها الحلقات ادراسية تملك مكتبة غنية فى اللغة العربية للمطالعة.

الحكومة فى تدريس اللغة العربية:

كان المسلمون يهتمون فى دراسة اللغة العربية من قديم. وكانوا متأخرين فى مجال التعليم العصري، والمشاركة فى الوظائف الحكومية الدوائر الرسمية. وتفكرت الحكومات فى تغير هذه الحالة المسيئة وعينت الحكومة بعض المدرسين فى المدارس الرسمية لتعليم العربية تجذيبا للمسلمين إلى المدارس وهذه كانت سببا لانتشار تعليم اللغة العربية فى نوحي كيرالا.

يتدرج تعليم اللغة العربية من المدارس الإبتدائية والثانوية إلى الكليات والجامعات. نجد هنا إمكانيات متعدده لتعليم العربية كما نجد فى سائر المواد الجامعية. الجامعات تجري عدة دورات مخصوصة ومحاضرات وندوات ومناقشات حول مختلف الموضوعات العربية. ويقدمون دورات دبلوماسية فى اللغة العربية الحديثة. ويقدم لها كثير من العلماء خدماتهم الجلية فى مختلف المجالات، يعلمون فى الموضوعات المتنوعة باللغة العربية. والآن بلغت شهرة هذه اللغة فى الفن والأدب والتعليم إلى قمتها.

الشيخ زين الدين المخدوم الكبير

كانت أسرة المخاديم ممن نزل في ديار كيرالا في القرن الخامس عشر الميلادي قادمة من بلاد اليمن، مرورا بمناطق تامل نادو ومنها إلى كوشن حتى استقروا في قرية فوناني. وكان والده الشيخ بن أحمد المعبري فاضيا على كوشن، وتعنم مبادئ العلوم الدينية والعربية من عمه زين الدين بن إبراهيم المعبري العالم المشهور وقتئذ، وكان يتربي في كفالته. ولما ولي هو قضاء بلدة فناني رافقه صاحبنا إليها. وهناك حفظ القرآن وقرأ على عمه علوم الصرف والنحو والفقه وغيرها من العلوم.

ثم ارتحل إلى مدينة كالكوت حيث تلقى العلوم الدينية والعربية من الفقيه والمحقق والشاعرة فخر الدين أبو بكر بن رمضان الشالياتي صاحب مخمس قصيدة البردة وقصيدة بانت سعاد، كما تلقى العلوم من أكابر علماء زمأنة من أمثال الإمام العلامة أحمد شهاب الدين بن عثمان اليمني وتبحر في علم الفقه والفرائض.

ثم توجه إلى مصر لتلقي العلوم من مناهلها وتتتلمذ على جهابذة علمائها، من أمثال الشيخ عبد الرحمن آدم المصري وقضى عنده خمس سنوات،وقد أجاز له الشيخ رواية الحديث والتفسير والفقه وأصوله، ورواية سلسلة الفقه عنه بسيده المتصل إلى رسول الله صلى عليه وسلم. كما أخذ العلوم عن الشيخ شمس الدين الجرجري والشيخ زكريا الأنصاري والشيخ كمال الدين محمد بن شريف. ومن مصر قدم إلى مكة مع بعض رفقائه وحج واعتمر وزار الأراضي المقدسة. ثم رجع إلى موطنه الهند.

ومن مآثره أنه نهض ببناء المسجد الجامع الكبير في فوناني. وقد ساعده على ذلك المسلمو المواطنون. ولما أتم بناءه بدأ يلقي الدروس الدينية هناك، وذاع صيته وبدأ الناس يشدون إليه الرحال من مختلف المناطق يستفتونه، كما قصده طلبة العلم، ليس فقط من داخل البلاد، بل من بلاد مليا وجاوا وأندونيسيا وغيرها. وكان من العلماء العاملين والأئمة المحققين جامعا لأصناف العلوم حاويا لمكارم الأخلاق رؤوفا بالفقراء والمحتاجين. وإليه يرجع الفضل في نشر العلوم الإسلامية وتطور الدروس التي تعقد في مساجد كيرالا، إذ يقال إنه ورد الحافظ ابن حجر الهيتمي إلى فناني أيام حفيده زين الدين المخدوم الثاني ومكث هناك حقبة من الزمن يدرس العلوم الدينية.

وكان للشيخ زين الدين الكبير إلمام بعدة لغات منها العربية والفارسية ولغات الهند الأخرى، وله كتب في مختلف الفنون العربية والإسلامية. وقد هيأت له إقامته بمصر الاتصال بالعلماء الأجلاء من أمثال الإمام السيوطي والإمام السيد محمد السمهودي والإمام الأكبر أبو بكر الحضرمي والإمام سيد أبو بكر العيدروسي والإمام حافظ السخاوي والإمام عفيف الدين عبد الله بن أحمد بامخرمة العدني والقاضي جمال الدين محمد بن عمر الحضرمي، وناقش معهم القضايا العلمية واستفاد من علومهم ومعارفهم. يقال إنه أول من درس في الجامع الأزهر من ديار مليبار، بل يمكن أن يكون أول هندي درس فيه. وبن رجوعه إلى الهند ظل يخدم العلم ويقود الأمة امسلمة بتوجيهاته القيادية حتى وافته المنية عام 1521م ودفن أمام الجامع المشهور في فوناني.

مؤلفات العربية:

1. مرشد الطلاب: هو كتاب مفيد التصوف المنتقى من القرآن والأحاديث الصحيحة.
2. كفاية الفرائض : وهو كتاب في أحكام الفرائض على مذهب الإمام الشافعي وهو مختصر كتاب الكافي في الفرائض للإمام الصردفي.
3. سراج القلوب وعلاج الذنوب: وهو أيضا كتاب مفيد في العلوم الباطنية وهو مطبوع على هامش كتاب قوت القلوب للإمام أبي طالب المكي.
4. تحفة الأحياء وحرفة الألباء في الأذكار والدعوات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم.
5. تسهيل الكافية في شرح الكافية لابن حاجب.
6. حاشية وافية على الإرشاد لابن المقرئ في الفقه من الطهارة إلى الحيضز
7. حاشيتان على التحفة لابن الوردي.
8. حاشية على الألفية لابن مالك، ولكنه لم يكملها وإنما كمله بعده ابنه عيد العزيز.
9. شعب الإيمان، معرّب من شعب الإيمان للشيخ نور الدين الإيجي في الفارسية، طبع في فوناني.
10. شمس الهدى، كتاب في المواعظ.
11. الصفاء من الشفاء : مختصر الشفاء للقاضي عياض في سيرة المصطفى ، وصل فيه إلى الفصل الخامس.
12. كفاية الطالب في حل كافية ابن الحاجب.
13. قصيدة فيما يورث البركية وينفي الفقر ماخوذه من كتاب البركة للوصابي.
14. قصص الأنبياء، وهذه مجموعة سير للأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن ولكنه وافته المنية لما وصل فيها إلى تاريخ داود عليه السلام.
15. المسعد في ذكر المـوت.

16. هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء:

وهي منظومة في الأخلاق والنصائح وفيها 189 بيتا. ومطلعها:

الحمد للـــه الموفـق للـــــعـــلا حمدا يوافي برّه المتكامـــــــــلا

ثم الصلاة على الرسول المصطفى والآل مع صحب وتبـــــاع ولى

إن الطريق شـــريعة وطـريقـــة وحـــقيقة فاسـمع لـــها ما مثـــلا

واعتمد في تأليف هذه المنظومة على كتب الإمام الغزالي وكتاب عوارف المعارف للشيخ شهاب الدين السهروردي، والتبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي، والرسالة القدسية للشيخ زين الدين الخوافي، والكبريت الأحمر للشيخ عبد الله العيدروسي الحسني. والقصيدة مشهورة ومتناولة في الهند وخارجها، وقد ذاع صيتها في ملايا وجاوا ولها عدة شروح، أشهرها شرح ابن المؤلف القاضي عبد العزيز المسمى: مسلك الأتقياء ومنهج الأصفياء. وقد شرح السيد أبو بكر البكري المكي بن السيد محمد شطا الدمياطي هداية الأذكياء باسم كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، وطبع شرحه في مصر سنة 1303هـ، كما شرحها العلامة محمد نووي باسم سلالم الفضلاء لخاتمة النبلاء ، وطبع شرحه في القاهرة سنة 1301هـ، وقد أصبح الكتاب من كتب الأخلاق المهمة ولا يزال يدرس في مدارس كيرالا ، وقد نال الإعجاب والقبول البالغين في الأوساط الشافعية حتى في خارج الهند.

وفيه مواعظ ونصائح نفيسة تحث الناس على الالتزام بتعاليم الدين والأخلاق الرفيعة. وهاك وصفه لدواء أمراض القلوب:

ودواء قلب خمســـة فتلاوة بتدبر المعنـــى وللبطـــن خلا

وقيـــام ليل والتضرع بالسحر ومجالسات الصاحين الفضلا

كما يذكر علامات علماء الآخرة ويصف علماء السوء، علماء الدنيا الذين يقصدون بعلمهم التنعم بملذات الدينا ويحاولون به تكسب المال والجاء، بينما علماء الدين يريدون بعلمهم وجه الله والدار الآخرة. وهو يقول:

ولعالم الأخرى علامات ترى لا يطلب يخالف قوله ما يفعـــلا

ولذاك آيات تكون كثيـــــرة أن لا يخالف قوله ما يفعـــــلا
ويكون بالمأمور أول آمـــر وعن الذي ينهى تجـــنب أولا
ويكون معتنيـــأ يعلم راغبـــا في طاعة ناه عن الدنيا اجتـــلا

ثم يأمر المرء بتقوى الله واجتناب الهوى لينال السعادة ويتجنب الشقاوة وهو يقول:

تقوى الإلـــه مدار كل ســـعادة وتباع أهوى رأس كل حبائـــلا

وكذلك يوصى الشاعر بحفظ الأوقات، فإنها جواهر تيستن إذا ضاعت فلا تعود إلى صاحبها أبدا. وصرف الأوقات في طاعة الله يكون أكثر نفعا وأوسع فائدة. وهو القائل.

واصرف إلى الطاعات وقتك كلـــه لا تتركن وقتا ســـدى متساهـــلا
وزّع بعون اللـــه وقتـــك واصرفن كـــلا بـــما هـــو لائـــق متبتـــلا

وهو في هذه المنظومة يشرح معنى الزهد شرحا واضحا، إذ كان يصوره بعض المتصوفين بأنه العكوف على العبادات وصرف الهمة إليها قاطعا جميع العلاقات الدنيوية وملذاتها. وهذا مما يناقي روح الدين . والزهد ليس شيئا إا الكسب الطيب وقصر الآمال. وهو يقول:

فازهد وذا فقد علاقـــة قلبـكا بالمـــال لا تـــرك له تـــك أعقـــلا
والزهد أحسن منصب بعد التقى وبه ينال مقـــأم أربـــأب العـــلا

تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبـان:

هذه المنظومة من أروع الأعمال التي قام بها صاحبها من حيث المبنى والمسلمين. ويأتي نظمه إياها من خلفية تاريخية خاصة. وذلك أن العرب المسلمين كان لهم النفوذ الكامل في مجال التجارات البحرية التي مقرها سواحل مليبار، كيرالا، عبر القرون. ولما سقطت الأندلس على أيدي الإفرنج بدأت القوات الاستعمارية تنشر نفوذها في السواحل الشرقية حرصا منها على امتلاك خيرات هذه المناطق وجلبها إلى بلادها وفرض حكمها على أهلها. وكان أول من وطئ

أرضها منهم هو فاسكودي غاما عام 1498 ميلادية حيث نزل في قرية ' كاباد' بالسواحل المليبارية. وتبعه رجالهم ووفودهم بهدف توسيع نطاق النشاط التجاري. ولكنهم قد أضمروا في نفوسهم مطاردة التجار العرب حتى تصبح التجارة البحرية حكراعليهم. وكان ملوك مليبار، بسذاجتهم وصفاء قلوبهم، لم يفطنوا في بادئ الأمر إلى هذا الأخطبوط القاتل، حيث تسامحوا وتصالحوا معهم. ولكن القاطنين المسلمين، والعلماء في طليعتهم، تنبؤوا بالأحوال وحذروا المواطنين من العاقبة الوخيمة التي تحلق بهم إذا مضوا في مخططاتهم ومؤامراتهم في هذه الديار. ولم تخطئ تنبؤاتهم. وفعلا قام الإفرنج في ديار مليبار باستثمار أهدافهم، وضرب ملوكها بعضهم ببعض. واتخذوا النتافر القائم بين ملك ساموتري بكالكوت وملك كوشن فرصة لترسيخ أقدامهم في نواحي مليبار، حتى دارت بينهم وبين المواطنين رحى الحرب مرات وكرات ، راح ضحيتها مئات من المسلمين، ولم تنته وحشيتهم عند هذا الحد، بل ارتتبوا أشنع الجرائم لتدمير ممتلكات المسلمين وإهراق دمائهم وهتك إعراض نسائهم وقد أغرقوا سفينة للمسلمين كانت في عودتها من مكة تقل الحجاج إلى أوطانهم. وهم ثلاثمائة رجالا ونساء ، قتلوهم شر قتلة، إلا بعض الشباب، أخذوهم ليحملوا إلى فرنسة ويصيّروهم قساوسة الكنائس. وأكرهوا المسلمين البائسين على اعتناق النصرانية.

كان المسلمون ، ومعهم إخوانهم الهنادكة، يدا واحدة ضد الإفرنج. وقد قام العلماء المسلمون بدورهم القيادي في هذه المحنة. وكان لهم مواقف حاسمة وبطولات تكتب بماء الذهب في صفحات التاريخ ضد هؤلاء المعتدين، وكان العلماء من الأسرة المخدومية في طليعة المقاومة، ولم يكونوا بمعزل عن النضال. بل نفخوا روح التضحية والتفانى في نفوس المسلمين وأعدوم للصطفاف ضد اطغيان الغاشم. وذلك تكتاباتهم نثرا وشعر. وتأتي هذه المنظومة تجسيدا لحركة المقاومة التي أبلى المسلمون فيها بلاء حسنا. وقد نجح الناظم زين الدين بن على بن أحمد المعبري في تصوير الأحوال والأهوال التي عاشها المجتمع وقتئذ. وهذه القصيدة تائية ذات مائة وخمسة وثلاثين بيتا، ومطلعها:

لك الحمد يا اللـــــه في كل حالة وأنت عليم بالكروب وحاجـــــة

صلاة وتسليم على خير خلقكـــا محمد الداعـي إلى خير مـلـــة

ثم يرفع الشاعر قضية المسلمين المصيرية إلى الحكام والسلاطين المسلمين لينظروا إليهم بعين الرحمة والحنان وضرورة مد المعونة إليهم لإنقاذهم من براثن الأعداء. وهو يقول:

فأمـــا كربنا بارتكاب شـدائـد بإفرنج عبّاد الصليب وصـــورة
طغوا في بلاد الله من كل ممكن وقد أكثروا فيها الفساد بشهـــرة
بغوا في مليبار بأصناف بغيهم وأنواع شدات وأجناس فتنـــــة
من الأسرو النهبيى وإحراق مسجد وحرق كتاب ثم هتك لحرمـــــة
وتحريق أموال وتخنيق مسلم وتعويق أسفار وتعطيل عيشـــة
وتخريب بلدان وتبيد مؤمـــن وتزيين نسوان لتفتين نســـــوة
وفك عرى البلدان والثغر كلها ودك ذرى الأمصار مع كل قرية
وملك بلاد واتخاذ لـبيعـــة وظلم عباد ثم قطع طريـــــقة
وصدّ عن الحج المعظم قدره بتعطيل أسفار إلى خير بلـــإة
وقتل لحجاج وسائر مؤمـــن بأنواع تعذيب وأصناف مثلـــة
وجلد وقطع من يقول محمد وسب رسول الله غير حفيـــة
وتقييد أسرى بالقيود الثقيلة وتذيبهم بالنار من غير رأفـــة
وجلد بنعل للأسارى وبينهم خصوصا لو استنجوا لآذوا بجلدة
وقود وسوق للأسارى وجمعهم بضيق بـيت مثل شـاء حقـيـرة

وكانت أعمالهم الفتاكة فوق الوصف والإحصاء، ولا يصبر عليها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وهو يقول:

بكل لسان المرء عن ذكر وصفها فيا رب خذهم أهلكنهم بسـطوة
جهادهم فرض على كل مسلـــم قوي بنفس ثم زاد وعـــــدة
حتى على عبد بلا إذن ســـيـــد وولد بلا إذن وزوج قويـــة

وفي الأبيات التالية نراه يستنجد الحكام والأمراء المسلمين ويقول إننا غزوناهم بما في أيدينا من العدة القليلة ولكننا لم يتحقق لنا النجاح:

وإنا على ضعف وقلـــة عـــدة غزوناهم الأعوام قدر الإطـــلة
ووافقهم في ذاك بعض رعاتنا فلم يحصل الفتح المزيل لنكبـــة
فيا أيها السادات، أنتم رجاؤنـا بفضل إلـــه العرش في كل شدة
ونحن عطاش أنتم السحب تمطر فيا ليت شعري هل نفوز بزيـــة
فأن أنتم أنقذتمـــونا من الكـــرب وجدتم ثوابا ليس يحصى بكثرة

هذا إلى جانب أعماله الجليلة ومؤلفاته التي تحث المسلمين على الجهاد ضد البرتقال الطغاة وتنتشر في مليبار عرضها وطولها، فقد وجه الدعوة إلى حكام وسلاطين المسلمين في العالم الإسلامي بما فيهم سلطان تركيا لنصرة الملك ساموتري ملك مليبار في نضاله مع البرتقاليين الذين أحرقوا ذخائرة التراث الإسلامي من المؤلفات المخطوطة كما سرقوا بعضها في خلال هذه الغارات. وقد أسدل ستار حياة العلامة الشيخ زين الدين الكبير الحافلة بالنضال والكفاح في شعبان عام 928هـــ.

الشيخ زين الدين المخدوم الصغير:

يعتقد أن أسرة المخدومية المعروفة بخدماتها الدينية، قد انحدرت في اليمن إلى المناطق الساحلية الشرقية لولاية تاملناد، فاشتهرت هذه المنطقة أيضا بمعبر، ومن ثم بدأت تعرف هذه الأسرةبالمعبريين. ومن هناك نظحت الأسرة إلى كوتشن بولاية كيرالا وتولت قضاءها، ثم قد الشيخ زين الدين إبراهيم بن أحمد المعبري إلى فناني، ثم الشيخ زين الدين الكبير صاحب كتاب الأذكياء وتحريض أهل الإيمان، حيث استقر هناك.

وزين الدين المخدوم الصغير هو ابن الشيخ محمد الغزالي بن الشيخ زين الدين على ابن أحمد المعبري المعروف بامخدوم الكبير. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ولادته ووفاته. ففي قول المؤرخ المليباري الشيخ محمد المسليار " إنه ولد عام 1931 وتوفي عام 1028 هـــتربي الشيخ زين الدين المخدوم في حضائة عمه الشيخ عبد العزيز المعبري، وتلقى مبادئ

العلوم الدينية والعربية من أبويه، وبعد وفاة والده التحق بدرس عمه عبد العزيز في فناني وتلمذ على الشيخ العلامة إسماعيل السكري البهتكلي وحفظ القرآن في وقت مبكر. ثم ارتحل إلى مكة المكرمة وقرأ العلوم على العلامة الحافظ شهاب الدين بن حجر الهيتمي. وكان الشيخ ابن حجر معجبا بتلميذه لفرط ذكاءه وحرصه على طلب العلوم. وتلقى العلوم من الشيخ عز الدين بن عبد العزيز الزمزمي والشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن زياد، والشيخ عبد الرحمن الصفوي. وزار مدينة الرسول وحج إلى بيت الله الحرام وقضى عشر سنوات في الأراضي المقدسة وهو يصاحب العلماء وينهل من ينابيعهم، ثم رجع إلى فناني وتولى الزعامة الدينية بالديار المليبارية عامة، وزعامة قرية فناني على وجه الخصوص.

كان الشيخ زين الدين المخدوم متضلعا في التفسير والحديث والفقه والتاريخ واللغة، وقد توسعت دائرة فكره العلمية لاتصاله بالعلماء البارعين داخل البلاد وخارجها. اشتغل مدرسا في المسجد الجامع الكبير بفنائي وقضى عناك مدة 36 سنة، وهو في هذه الفترة لم يكن عالما منزويا في زوايا المسجد معرضا عن هموم الناس وقضايا حياتهم المصيرية، بل كان سياسيا محنا تزعم الأمة الإسلامية في هذه الديار في جميع نواحي حياتهم، كما تصدى لمواجهة الاحتلال البرتغالي الغاشم، وبذل كل ما في وسعه لطرد هؤلاء الطغاة المعتدين من وطنه الجبيب. كما بدأ يفكر بكل جدية في إصلاح التعليم الدينى وضرورة إعادة النظر في المنهاج الدراسية، وكان يشارك في أفكاره العلماء والأعيان الآخرين.

وإلمامه باللغة الهندية والفارسية بالإضافة إلى العربية، وتحره العلمي، مهدا له الطريق لإيجاد علاقات مع سلاطين مملكة بيجافور أمثال علي عادل شاه، ومحمد على شاه، وقام لهما مكان الناصح الأمين. وكان الملك الساموتري ملك مليبار كلفه مسؤولية المرسلات إلى ملوك العرب وأكرمه غاية الإكرام.

مؤلفاته: له عدة مؤلفات بالعربية ما بين الصغير والكبير: منها:

1. قرة العين بمهمات الدين: هو مختصر في المسائل الفقهية على مذهب الإمام الشافعي.
2. إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد.
3. إحكام أحكام النكاح
4. شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور.
5. الفتاوى الهندية.
6. الجواهر في عقوبة أهل الكبائر.
7. الأجوبة العجيبة عن الأسئلة الغريبة. هذا الكتاب في الواقع مسائل فقهية وجهها إلى العلماء الأعلام في زمانة من أمثال الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي.

فتح المعين:

اسمه الكامل "فتح المعينبشرح قرة العين". وهذا الكتاب شرح لكتاب "قرة العين بمهمات الدين". لما شعر المؤلف أن هذا الكتاب يحتاد إلى شيء من البسط والإيضاح حتى يعم نفعه، نهض بشرحه حيث يحل رموزه الغامضة ويفصل ما قال مجملا، فأصبح الكتاب في صور مقبولة متوسطا في الفقه الشافعي، حيث انتفع ولا يزال ينتفع به خلق كثير.

ولهذا الكتاب منزلة بين الكتب الفقهية على مذهب الإمام الشافعي ورواج حسن لما فيه من فوائد جليلة. وأبوابه مرتبة ترتيبا علميا، ومسائله مبينة لا غموض فيها. وقد بين الراجح في المذاهب واختيار قول شيخه شهاب الدين بن حجر الهيثمي. ونظر في جميع المشاكل الفقهية بعين التحقيق،وأماإذا وقع الاختلاف في المسائل فغنه يرجحه ما رجحه الإمامان محي الدين النووي والشيخ عبد الكريم والرافعي. وإذا وقع الخلاف بينهما في مسألة اختار ما رجحه الإمام النووي.والكتاب يحمل في صفحاته مسائل هامة في الفقه.

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين:

وهو أول كتاب ألف في تاريخ كيرالا بيد واحد من أبناءها، وكتاب اشتهر به المؤلف وذاع صيته في الآفاق.

القاضي أبو بكر بن رمضان الشالياتي (1430 – 1480م)

هو القاضي الشيخ فخر الدين أبو بكر بن رمضان بن موسى بن إبراهيم بن محمد، كان من الشعراء الأوائل في كيرالا. وكان من نسل الصحابي الجليل حبيب بن مالك الذي قدم إلى مليبار وترأس الدعوة الإسلامية وشيّد المساجد في أماكن مختلفة في كيرالا.

ولد القاضي في شاليات (Chaliyam) سنة 834هـ/1430م وترعرع فيها في أحضان العلم والمعرفة. وقد ولى القضاء في كاليكوت حوالى 800هـ. وقضى أيامه في شاليات لأنها كانت المقر الأول لقضاء كاليكوت. تعلم الشاعر المبادئ الإسلامية من ابيه القاضي رمضان بن موسى ثم سافر إلى الحجاز وتلمذ على العلماء الجهابذة مثل العلامة جلال الدين المحلي المتوفيى سنة 824هـ وغيره. وبعد أيام قليلة رجع إلى وطنه واعتكف على التدريس والإفادة في الجامع الكبير بكاليكوت الذي يعرف اليوم بجامع كوتيشيرا (Kuttichira).

وكان الشالياتي عالما كبيرا ومدسا مشهورا، قد أنار الآفاق بالأنوار العلمية والقدسية حتى اجتمع إليه كثير من الطلبة من البلاد البعيدة واقتطفوا منه لآلي المعارف الدينية والعلوم الإسلامية، ومنهم العالم الكبير الشيخ زين الدين بن على المعبري المخدومي. وكان يعتمد في تدريسه على مناهج محددة ومرتبة تسمى بسلسلة الفخرية. وهي من المناهج العامة للدروس المساجدية في كيرالا. ومع ذلك كان الشالياتي شاعرا كبيرا وماهرا في اللغة العربية وبارعا في علوم الشعر وفنونه مع كونه نابغا في الأدب والإنشاء.

قصائد في المدائح النبوية

وللشالياتي بعض القصائد في المدائح النبوية. ومن أشهرها 1) الوردة الذكية في تخميس قصيدة البردية. 2) راحة الفؤاد في تخميس بانت سعاد.

1) الوردة الذكية في تخميس قصيدة البردة

وهذه القصيد مخمسة كما بدل عليه اسمها لقصيدة البردة للإمام البوصيري ﷺ المتوفى سنة 704هـ. وقد قرضها الشالياتي سنة 875هـ/ 1470م. ومطلعها.

رفقا بنفسك يا من بات ذا ألم كم ذا التأوه في بحلولك الظلم
ما لي أرى حمزة في الخد كالعنم أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم فح طيب عهود ثم جازمة أم ناح ورق بأشان ملازمة
أم لاح أنوار ليلى في منادمة أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إظم

ويقول في مدح النبي ﷺ

الله أكبر ما أحلى شمائله بالحلم جمله بالعلم كمّله
من ذا الذي في الورى يحصى فضائله فإن فضل رسول الله ليس له
حدّ فيعرب عنه ناطق بفم

ويقول في وصف القرآن الكريم:

إن القران كلام الله انزله طوبي لمن قام بالأسحار رتله

آياتـــه الحقـــد والألحـــان فضله قرّت بهـــا عـــين قاريهـــا فقلت لـه

لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

2) راحة الفؤاد في تخميس بانت سعاد

وهذه القصيدة مخمسة لقصيدة كعب زهير رضى الله عنه في المديح النبوي. وفي بداية هذه القصيدة يصف الشاعر الحبيبة الظاعنه قائلا:

كيف الســبيل إلى نيـل الوثوق بهـا فـي كـل آن لـهـا شـــان بصـيها

الله أكبـــر حرنـــان فـــي تقلبـــها فمـــا تـــدوم عـــلى حال تدوم بـــها

كما تلون في أثوبها الغول

يمينهـــا وأمـــان قط ما النـظمـــت وبالوصية والميثاق مـــا اعتصـمـت

فما لها لا تفي فضـــلا بمـــا التزمـت ولا تمســك بالعهـد الـــذي زعمـــت

إلا كما يمسلك الماء الغرابيل

يقول الشاعر في مدح النبي ﷺ أصابه:

النـور بـاق وقـد غابـــت شموسهم فقي رضـى الخالق ارتاضت نفوسهم

هـم الهـــداة فـلا يشـقى جليســهم شـــم الغرانين أبطـــــال لبوســـــهم

من نسج داود في الهيجا سرابيل

والمخمسات من أشق الأشعار قرضا وتركيبا، لأن الشاعر فيها مقيد يقيود الملائمة في المعاني والأسلوب والقافية للأبيات الأصلية، ولكن لا يوجد في تخميس الشالياتي أي شيئ من التصنع أو التكلف. وقد توفي هذا الشاعر المفلق سنة 885هـ/1480م.

أبو ليلى محمد بن ميران

هو محمد بن ميران المشهور بأبي ليلى، أشهر شعراء التي شهدت ديار كيرالا بدون منارع. وكل من يقرأون قصائده سيتعروفن بفضله وعلو كعبه في الشاعرية التي تتميز بالعاطفة الصادقة والخيال البديع والتصوير الرائع، وهي تنبض بالحيوية، تنبع من صميم قلبه لتمس ضمير القارئين، فتبقى فيه لمسة من اللين ونفحة من العطف.

ولد بقرية بولكلPulikkal من محافظة ملابرم سنة 1913م، وتلقى مبادئ العلوم الدينية من جده الذي كان فقيها مشهورا. ثم التحق بالمدرسة الابتدائية بمسقط رأسه، وواصل دراسته في المدرسة المحمدية العالية التي كانت الأولى من نوعها في ديار مليبار، حيث اتم دراسته الثانوية سنة 1922م، والتحق بعد ذلك أن يلتحق بكلية تربية المعلمين بكالكوت، وفي أثناء دراسته هناك انخرط في في سلك التعليم بمدرسة المنار بشاليم ثم بالمدرسة المحمدية بكالكوت. وانتقل منها إلى عدة مدارس في مختلف المناطق داخل كيرالا، كما اشتغل في مدرسة مي علوية بماهي، وألقى عصا الترحال في مدرسة المنار التي بدأ منها وظيفة التدريس.

ولم يرض الشاعر بأعماله التدريسية، لأنه كان رجلا موهوبا، اجتمع فيه الكفاؤات والمؤهلات العديدة. وكان يتقن عدة لغات كما كان خطيبا مصقعا ومترجما قديرا وكاتبا ألمعيا ومصلحا غيورا، مما جعله يترك المجال التدريسي وآثر العمل الاجتماعي. واشترك في النشاطات السياسية. وهو ممن تزعم لتأصيل حذور الرابطة المسلمة(Muslim League)في ربوع مليبار، وصار أمينها المساعد. ولما بدأت جريدة تشندركا (Chandrika) تصدر كلسان حال الرابطة عين صاحبنا رئيس التحرير المساعد لها، وإليه يرجع الفضل الأكبر في تطورها وتحولها إلى جريدة يومية. وهو في أثناء عمله كصحافي فيها حاز على شهادة البكالوريا من كلية برنان بتلشيري، فعاد مرة أخرى إلى مجال التدريس حيث التحق بمدرسة نور الإسلام بتروتنغادي. وكان في خلال تدريسه هناك شارك في إصدار جلة المرشد وساهم بمقالاته القيمة وبأشاعره الرائعة.

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية سنة 1941م وانقلبت الأوضاع السياسية في العالم رأسا على عقب وتحلت موازين القوى العظمى، والحكومة الريطانية التي كانت تحكم الهند قد تعهدت بالاستقلال المطلق بشرط تأييد الهنود القوى المتحالفة، فوجد الهنود هذه الفرصة للتخلص من نير الاحتلال الأجنبي، انضم الشاعر أبو ليلى في المعسكر الهندي، وعين وكيلا للدعاية الحرية بالمعسكر الهندي بمدراس. ثم تولى منصب مراقب المطبوعات العسكرية عناك. ولما وضعت الحرب أوزارها وظفرت قوات الحلف، تراجعت بريطانيا عن وعدها بالاستقلال المطلق. فاستقال أبو ليليى من الخدمة العسكرية احتجاجا على موقف الحكومة البريطانية ورجع إلى كيرالا سنة 1945م. وانضم ثانيا إلى أسرة تحرير مجلة المرشد التي وقتئذ كانت لسان حال الحركة الإصلاحية.

وسافر إلى مدراس لإنجاز بعض المهام المتعلقة بالمجلة سنة 1947م واستقر هناك، واشتدت عليه وطأة مرض داء السل الذي كان يعاني منه منذ مدة، وأدخل بعض مستشفياتها، ولما استشفى عقد عزمه على السفر إلى باكستان، وكتب بذلك إلى زوجته يدعوها لمرافقته ولكنها ما وافقت وآثرت هي المقام في الهند مع أهلها، ولم يلبث أن يغادر إلى باكستان واستقر هناك توظف في السفارة السعودية بكراتشي كمترجم، كما أنه قام بدوره كالأمين العام لجماعة مسلمي مليبار بكراتشي.

ولما اشتد حنينه إلى الوطن والشوق إلى لقاء الأهل والأهصدقاء استقال من الوظيفة، وأراد الخيال، ولم يترك نوعا من أغراض الشعر العربي إلا وتطرق بها من المدح والهجاء والوصف والتهاني ولوعة الفراق والابتهال وما إلى ذلك مما يدل على أنه قدارتوى من معين الشعر العربي القديم والحديث على حد سواء.

وأما من الناحية التاريخية فإن قصائدة مرآة صادقة تنعكس فيها الوقائع التي حدثت على المسارح الدينية في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين، وكان متحمسا للحركة الإصلاحية ومخلصا لها، وفند العادات والتقاليد المغايرة للعقائد الإسلامية السمحة، كما انتقد أولئك العلماء الذين يؤيدونها باجلتهم الباطلة.

ومن قصيدته "بصيص من الرحمن"

وفي الأحبة هذا ركبـهـــم فينا أضحى التداني بديلا من تنائينا

يا مقتلي أقلعي كم بت ساهرة كفي وكـــم عبرات كنت تهمينا

الدكتور محي الدين الآلواني

ولد الدكتور محي الدين الآلواني عام 1925م بقرية بالقرب من مدينة ألوائي (Always) في ولاية كيرالا، وكان والده عالما ووعاظا دينيا. وكان ثاني أبنائه. بدأت حياته العلمية في قريته إذ تلقى الدراسات الابتدائية من والده. ثم درس العلوم الدينية من بعض الحلقات الدينية في المساجد كعادة تلك الأيام. والتحق بدار العلوم وزكاد في أوائل الأربعينات من القرن الماضي. وكانت دار الممعلوم الكلية العربية الأولى، أسستها الحاج أحمد الشالياتي، رائد الإصلاح التعليمي بكيرالا في القرن التاسع عشر الميلادي. وكان الأدباء والمصلحون الأوائل متخرجين فيها. ومن زملائه الشيخ أحمد بن كونهي أحمد المدني، والشيخ محي الدين مولوي وكلاهما من أبرز شعراء العربية بكيرالا.

ولما اضطرت إدارة الكلية لإغلاق أبوابها عام 1946م ارتحل الأستاذ الآلوائي إلى ويلور للدراسةفي أكبر المعاهد الدينية في جنوبي الهند آنذاك. وهي مدرسة الباقيات الصالحات بولاية تاملناد حيث نال شهادة المولوي الفاضل. وقد أعد نفسه وقت الإقامة فيها لاختيار شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس وحصل عليها سنة 1949م. ثم انخرط في سلك التدريس بكلية روضة العلوم العربية بفروق، التي أسسها الشيخ أبو الصباح أحمد علي أحد رواد التعليم والتربية في ديار كيرالا.

وفي عام 1950 توجه الدكتور محي الدين الآلوائي إلى القاهرة ليدرس جامعة الأزهر، فالتحق بقسم التخصص في كلية أصول الدين، ونال في عام 1952 شهادة العالمية بتفوق. وفي أثناء أقامته بمصر مارس نشاطه العلمي والأدبي، حيث كانت الصحف والمجلات تنشر له مقالات كثيرة في شتى الموضوعات، كما ألف في هذه الفترة بعض الكتب باللغة العربية. وكان

يتولى حينذاك منصب رئيس التحرير لمجلة " البعوث" وهي لسان حال البعثات العلمية في القاهرة.

وفي عام 1955م عاد إلى الهند ، وعين مذيعا في القسم العربي بالهيئة الإذاعية الهندية في دلهي حيث مهد له الطريق للتعرف على أشخاص بارزين في المجالات الثقافية والاجتماعية والأدبية والسياسية. وكان يواصل في نفس الوقت النشاط العلمي والأدبي في المجلس الهندي للروابط الثقافية وأكاديميات الآداب الهندية ووضع مؤلفات في اللغات الهندية والعربية. وترجم بعض الكتب العربية إلى اللغات الهندية مثل كتاب الهد للبيروني إلى لغة مليالم، كما ترجم بعض كتبها إلى العربية **مثل ترجمة رواية "تشمين" لتكازي إلى العربية.**

وفي عام 1963، سافر ثانيا إلى القاهرةعائلته جديد رغبة في استكمال دراساته العليا.وتحملت الحكومة نفقات سفره إلى القاهرة تقديرا لخدماته العليمة ونشاطه الأدبي. ثم التحق الآلوائي بالدراسات العليا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ونجح في امتحان التخصص عام 1965 بتقدير ممتاز. وفي العالم نفسه عين مدرسا في كلية الطب بجامعة الأزهر لتدريس المواد الإسلامية باللغة الإنجليزية. وألف بعض الكتب في اللغة الإنجليزية لإدراجه في المقررات الدراسية الإسلامية. وفي عام 1967، انتدب عضوا في لجنة الامتحانات لاختيار مبعوثي الأزهر إلى غرب آسيا. وأثناء ذلك كان يكتب في المجلات المشهورة في مصر آنذاك، مثل مجلة الأزهر، ومنبر الإسلام، والرسالة، صوت الشرقن مجلة منار الإسلام. وفي عام 1970عين رئيسا لهيئة تحرير مجلة صوت الهند الصادرة عن سفارة الهند بالقهرة. خلال أعماله الصحافية، سجل الآلوائي في قسم أصول الدين بجامعة الأزهر لإعداد بحث لنيل شهادة الدكتوراه حول موضوع الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية ونال الدكتوراه في عام1971م. وقد كشفت هذه الرسالة النقاب عن كثير من الحقائق التاريخية التي لها صلة بمسيرة المسلمين الثقافية والعلمية في الهند.

وفي عام 1977م غادر الدكتور الآلوائي مصر للملكة العربية السعودية حيث التحق بالجامعة اللإسلامية بالمدينة المنورة أستاذا للدراسات الإسلامية وللغة العربية. واستمر في هذا

المنصب إلى عام 1974م، مواصلا جهوده العلمية والثقافية هناك. وبعد خدمات جليلة دامت نحو ثلاثة عقود، مدرسا وباحثاوكاتبا ومؤلفا ومحررا في مختلف المجلات والدوريات احيل إلى المعاش من لجامعة الإسلامية بالمدينة عام 1984. ثم تقلد منصب رئيس مستشاري الشؤون الدينية بجريدة خليج اليوم الصادرة عن دار الوطن للطباعة والنشر في دولة قطر. واستمر في عمله هذا حتى عام 1989من كما استغل هذه الفترة لكتابة المقالات في مختلف الدوريات والجرائد، وشارك في عدد من الندوات التي أقيمت في البلاد المختلفة من قارات أوروبا وأفريقيا وآسيا.

ثم عاد الدكتور محي الدين الآلوائي إلى مسقط رأسه ليقضي هناك بقية عمره في خدمة الأمة والثقافة الإسلامية. وهناك التحق بكلية الدعوة وأصول الدين بمدينة كالكوت عميدا لها . كما تولى ترجمة تفسير " في ظلال الرآن". وبينما كان في علمه فيها قام بتأسيس كلية أزهر العلوم في مدينة آلوائي، وانهمك في تطوير الكلية بكل ما يملك من المقدرات والكفاءات. ومما يدل على عنايته باللغة العربية في ديار كيرالا أنه قام بتخصيص جائوة باسمه تشجيعا لدراسة العربية منذ عام 1985م وتوزع هذه الجائزة على المتفوقين في امتحان الماجستير في الأدب العربي والدراسات الإسلامية من خريجي كلية روضة العلوم بفاروق. وأسدل الستار على حياه الحافلة في شهر يوليو عام 1996م بالغا من العمر واحد وسبعين عاما.

مؤلفاته:

ألف الدكتور محي الدين الآلوائي ثمانية عشر كتابا في العربية، وخمسة كتب في الإنجليزية، وثلاثة في مليالم، وكتابا واحدا في العربية. ومن أهم مؤلفاته:

الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية:

هذا الكتاب رسالته التي أعدها لدرجة الدكتوراه في جامعة الأزهر. وهو يتناول تاريخ دخولا لإسلام إلى الهند وانتشار الدعوة الإسلامية وعوامل انتشارها وتطور العلوم والثقافة الإسلامية واللغة العربية في ربوعها.

والكتاب ينقسم إلى أربعة أبواب: الباب الأول بيحث عن علاقة العرب والهنود الإسلام، والجاليات العربية التي استقرت في الهند، كما اشار إلى الجاليات الهندية التي استوطنت في مختلف أنحاء الجزيرة العربية. وفي الباب الثاني يتناول الباحث بدء الدعوة الإسلامية في جزيرة العرب ووصولها إلى الهند، بيحثفيه حال البلاد العربية أيام البعثة النبوية، وتقاليد العربي وعاداتهم ولغاتهم وقت البعثة، وأحوالهم السياسية والاجتماعية والدينية.

أما الباب الثالث فهو يبحث عن تطور الدعوة الإسلامية في الهند، مع الإشارةإلى أبرز الدعاة الأوائل والأديان الموجودة فيها. والباب الرابع يتنال إسهام الهند في نهضة العلوم والأدبية والتاريخ والعلوم العقلية التي تشمل الفلسفة والرياضيات والمنطق وعلم الطب.

الأدب الهندي المعاصر:

هذا أول كتاب عربي يتناول الأدب الهندي المعاصر بالبحث والتحليل. وفيه بحث مستفيض عن أربع عشرة لغة من اللغات الهندية املعرتف بها لدى الحكومة. فيتناول الكاتب في هذا الكتاب الأدب السنسكريتي أولا ويذكر أن اللغة السنسكريتية لها تاريخ قديم إلى ما قبل أربعة آلاف سنة، ويتحدث عن المؤلفات المشهورة الأدبية والعلمية فيها. ثم يتناول بالدراسة اللغة الهندية، وهي اللغة الرسمية للهند، ويذكر تاريخها وتطوراتها وآدابها وأهم مؤلفاتها ويتحدث عن رواد الأدب الهندي. ومن ثم يتحدث عن الأردية ويذكر أنها مزيج من الغات الأربع. السنسكريتية، والفارسية، والعربية، والتركية. واللغات التاملية والكاشميرية أيضا لغات ذات جذور تاريخية وثقافية عميقة، وحافلة بتراث أدبي عتيد من النثر والشعر والرواية والمسرحية. ويتحدث بعد ذلك عن الرقص الهندي واهتمام الحكومة الهندية بالآداب والفنون الشعبية القديمة لتطويرها وتجديد معامها، وقد جعلت لها معاهد خاصة مثل أكاديمية العلوم والآداب، وأكاديمية الموسيقى والرقص والآداب.

ومن مؤلفاته الأخري:

1. منهاج الدعوة
2. أعلام الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية

3. تحقيقه حول أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في الهند.
4. الإسلام وتطورات العالم.
5. الإسلام وقضايا الإيسانية
6. النبوة المحمدية ونقديات المستشرقين
7. الثقافة العربية في شبه القارة الهندية
8. المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين
9. مكانة فلسطين في العالم العربي
10. كيف انتشر الإسلام في الهنيد
11. حاضر الإسلام والمسلمين
12. تشمين (ترجمة)
13. من خصائص الدعوة الإسلامية
14. عنصر الخلود في الدعوة الإسلامية
15. منهاج المعلمين لتعليم العربية.

القاضي محمد بن عبد العزيز الكاليكوتي

هو من رواد شعراء العربية في كيرالا، ولد سنة 1577م بكاليكوت في اسرة القضاة الذين كان لهم كلام مطاع بين الواطنين بمل يقومون به من القضاء الديني وراثيا. وهو ابن القاضي عبد العزيز.تلقى العلوم الدينية الابتادئية من والدته كما تتلمذ على الئيخ عثمان لبا القايلي والشيخ عبد العزيز المعبري. تولى منصب القضاء بعم موت أخيه واستمر فيه حتى وفاته.

وتضلع في العلوم العربية والدينية والفنون العلية من النحو والحساب والفلك والفقه وغيرها وقرأ معظمها على القاضي عبد العزيز والشيخ عبد العزيز المخدوم. وكان القاضي

بصدر الفتاوى في المسائل الهامة التي تهم المسلمين، وبجانب هذا كان مشهورا بمهاراته في الشعر العربي. وقد برع في علوم اللغة العربية ولد قصائد كثيرة فيها.

وقد وقع المؤرخون في خطأ حين نسبوه إلى اسرة المخدوم وقالوا إنه شقيق زين الدين المخدوم الصغير صاحب تحفة المجاهدين.وهو في الحقيقة القاضي محمد بن عبد العزيز الكاليكوتي، وذلك هو أحمد زين الدين بن محمد الغزالي بن زين الدين بن علي. وقد نال القاضي محمد قبولا واسعا في أوساط السلمين والهنادك على حد سواء. وذلك بفضل موقفه الحاسم من الطغاة البرتغاليين الذي حاولوا تدمير الكيان الثقافي والتسامح الديني العريق ونهب الثروات من ديار مليبار.

وقد كان القاضي يطمع كثيرا ويهتم برقي المسلمين ويجعلهم مستعدين لمواجهة تحديات العصر روحيا وماديا وكان في طليعة المكافحين ضد الاستعمار الأجنبي مثل أسلافه. للقاضي نحو خمسة عشر كتابا، وأكثرها منظومة في العلوم الإسلامية والعربية والتاريخ. ومن مؤلفاته المشهورة:

إلى كم أيها الإنسان: وهي قصيدة رائعة في نصيحة للمسلمين الذين ينهمكون في الحياة المادية الفانية بلا مبالاة بالحياة الباقية بعد الموت. منها:

إلى كم أيها الإنسان على التسويف والنسيان
وترجوا العفو والغفران وتعصي ربك الرحمن

قصيدة "فتح المبين":

هذه القصيدة من أهم المراجع التاريخية التي تسلط الضوء على تاريخ المقاومة وحركة التحرير الوطني الذي تجاوبت أصداءه في أرجاء الهند قبل خمسة قرون، حيث شهدة البلاد الاحتلال البرتغالي.ومما يزيد من أهمية الكتاب أن مؤلفه معاصر لهذا الاحتلال. إن محور

الكتاب الذي يدور حوله حادثة فتح قلعة شاليم التي شيدها البرتاغليون على أيدي جنود ساموتري. كما أنه مرآة صادقة للحياة الاجتماعية التي كان يسودها المؤاخاة والألفة بين المسلمين والهنادكة. ومن جهة أخرى هي تجسيد الغيرة الوطنية الشديدة والبسالة النادرة التي كانت تغمر قلوب المواطنين أمام الاضطهاد والمؤامرات البرتغالية.

وقد تبلورت القصيدة عواطف جيل كامل في صورها الرائعة ذات الصناعة المحكمة. تلك العواطف التي كانت أقوى من قلاع الرتغال. وإنما وحدت عواطفهم بتوحيد قلوبهم يتجسد تماما في موقفهم من الأعداء حين اضطرمت نيران الحرب في قلعة شاليم.

Unit 2- Detailed Studies

المسلمون في الهند

- ابوالحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله، والصلة والسلام على رسول الله ، أما بعد!

كنت في رحلتى في الشرق الأوسط[1] أواجه سؤالا كان يتكرر. ويوجه في كل مجلس وفي كل مناسبة: ماعدد المسلمين في الهند؟ فأجيب انهم أربعون مليونًا[2] ، وهناك يندهش الناس ويندفع بعضهم قائلا: يا سلام أربعون مليونًا ! فلو لا ثقتهم بالضيف ولو لا الجد في الجواب، لسارعوا إلى التكذيب أو الشك على الأقل، لانهم ما كانوا ينتظرون بعد ما سمعوا عن موجات الهجرة الكبيرة وعدد النازحين الضخم، ان المسلمين سيكونون مليونًا واحدًا فضلا عن أربعين مليونًا. إذن فلا غرابة في استغرابهم.

لقد كانت هذه مفاجأة لا تفارقنى أينما حللت ونزلت ، مفاجأة للطرفين، مفاجأة للسائلين عن عدد المسلمين في الهند، ومفاجأة للمجيب لا ستغرابهم ، وهناك مفاجأة أخرى فيما يتصل بالمسلمين في الهند، فالذين كانوا يعرفون أن في الهند عددا كبيرا من المسلمين - على قلة هؤلاء – كانوا يعتقدون أن المسلمين لا شان لهم في هذا القطر العظيم، وليست لهم حضارة خاصة، ولا ثقافة واسعة، ولا آداب سامية، ولا مؤسسات علمية، ولا نشاط ولا انتاج في العلم والأدب، انما هم كالرعاع أو أمة قد أفلست في كل مقومات الحياة، وفي كل ما تعتز به أمة من علم وأدب، ودين واجتماع ، وأخلاق ومروءة.

---

1. **كانت هذه الرحلة التى شملت السعودية ومصر والسودان وسوريا وفلسطين سنة 1951م.**
2. **ويقدر الان عددهم ما بين خمسين ملنونا وستين مليونا، ويرى بعض أهل الخبرة انهم أكثر ذلك**

بل قد كان بعض الإخوان يسأل: هل في الهند مساجد، هل فيها مدارس دينية، هل عندكم علماء، هل يوجد هناك من يحسن ان يقرأ القران، هل هناك من يفهم العربية؟ أسئلة تدل على ان معلومات إخواننا العرب عن المسلمين في الهند ضئيلة جدّا، وتدل كذلك على انه قد أثير نقع كبير حول المسلمين في الهند، وتدل كذلك على تقصير علماء الهند في القيام بمهمة التعريف بهذا القطر العظيم، وبهذه الأمة الإسلامية العظيمة التى مثلت دورا رائعا في تاريخ الإسلام وتاريخ العلم العام، وأضافت ثروة ذات قيمة عظيمة إلى مكتبة الإسلام العامة، وأتحفتها بطرف غالية تتجمل بها المكتبة العربية، وتزدهر بها على سعتها وغناها، **وتفردت** ببعض العلوم الإسلامية التى كانت ولا تزال فيها الهند زعيمة العالم الإسلامي وحاملة لوائها عدة قرون، كعلم الحديث والفقه وأصوله، في القديم، والسيرة النبوية وعلم الكلام والدعوة إلى الإسلام، في هذا العصر.

وأنجبت الهند رجالا شهد لهم علماء العرب بالفضل، وعكفوا على كتبهم ومؤلفاتهم ينقلون ويقتبسون ويستدلون ويحتجون، وقد أنجبت كذلك علماء يندر نظيرهم في الذكاء، وخصوبة الفكر والابتكار العلمى، وأنجبت كذلك فضلاء لا يضارعون في كثرة المؤلفات والإنتاج، وقد أنجبت من الملوك رجالا يتفردون في حسن سياستهم وتنظيمهم للدولة، وسن القوانين العادلة، وفي فضائلهم الخلقية، والعلمية والعملية، والجمع بين الدين والدنيا.

ولا تزال الهند مأهولة بشعب مسلم قوى في دينه ، غنى في علمة وبرجاله، مخصب في عقله، متوقد الذهن نشيط مصمم على الاقامة في وطنه الذى خدمه ألف سنة، وأغناه في العلم والحضارة، والدين ولاجتماع، وكان من صانعيه.

إن من الجفاء أن تبقى هذه البلاد الغنية برجالها وأعمالها وماضيها وحاضرها مجهولة عند أصدقائها في الخارج، مطمؤرة في صفحات التاريخ، ولكن التبعة في ذلك على أبنائها قبل

أن تكون على أصدقائها، لانهم فرطوا في نقديم هذه البلاد، وما تمتاز به من فضل وعلم وحياة ونشاط، إلى الناطقين بلغة الضاد، وانطووا على نفوسهم وعاشوا في العزلة عن العالم.

ولكننى إذا ذكرت أبناء الهند بالتقصير في جنب بلادهم الأم، فإنى أعتذر إلى روح مؤرخ الهند الكبر الذى خلف لأبناء البلاد العربية مكتبة كاملة في تاريخ الهند ووصفها، وقام وحده بما تووم به المجامع العلمية في أوربا، برجالها وعدتها، ألا وهو المرحوم العلامة السيد عبدا لحى الحسنى مدير ندوة العلماء الأسبق (1341هـ - 1923م) الذى ألّف في تراجم أعيان الهند كتابه " نزهة الخواطر" في ثمانية مجلدات كبار، تشتمل على نحو خمسة آلاف ترجمة[1]، وفي تاريخ الهند العلمى والتعليمى " عوارف المعارف " الذى أصدره المجمع العلمى العربى بدمشف باسم " الثقافة الإسلامية في الهند"[2] وفي خطط الهند وآثارها كتابه "جنة المشرق"[3] فانه قد قضى ما عليه وزاد، جزاه الله عن المسلمين في الهند خير ما يجزى العاملين المخلصين. أرانى قد قسوت بعض الشئ مع إخوانى الكرام في الأقطار العربية العزيزة الذين لم تمكنهم شؤونهم الخاصة من دراسة تاريخ الهند وخاصة المسلمين غابرهم وحاصرهم، فانى – والحق يقال- وجدت فيهم عددا لا يستهان به من المتتبعين لأحوال الهند والمطلعين على آثارها الاسلامية[4] ، الذين لا يزالون يشيدون بفضلها في بعض العلوم الإسلامية، وحراستها لأمانة الحديث الشريف بعد ما ركدت ريحه في البلاد العربية، وقد رأيت حرصا كبيرا في كل بلد عربي على معرفة الهند، وتطلعا إلى إخوانهم المسلمين في الهند، وعناية خاصة بشؤونهم وانجذابا الهند قديما وحديثا من الغيرة على الإسلام، والتعصب للعلوم الإسلامية العربية، والحرص على الجامعة الإسلامية.

---

1. **ظهرت طبعتان من هذا الكتاب الجيل في ثمنانية أجزاء، أصدرتها دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد، الهند**
2. **صدرت الطبعة الثانية مزيدة منقحة مع ذيل وتكملة من المجمع سنة 1983م.**
3. **صدر هذا الكتاب من دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد سنة 1392 هـ 1972م باسم " الهند في العهد الإسلامي " لانه أدل على موضوع الكتاب وأقرب إلى الذوق العصرى. ونقل إلى الانجليزية باسم India During Muslim Rule**
4. **صدر حديثا كتاب " الإسلام في الهند " لصاحب الفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر (ورير الأوقاف في مصر سابقا)، وهو أول كتاب يصدر في الشرق العربى مؤسسا على دراسة معرفة وإخلاص، ويسد عوزا كبيرا في المكتبة العربية**

وذلك يدفعنى إلى أن أقدم إلى إخوانى في الشرق العربى هذا الكتاب، يتحدث عن الهند وعن إخوانهم فيها قديما وحديثا، ويتناول هذا الحديث نواحى شتى في الحياة العلمية والاجتماعية والدينية، وعما أضافه المسلمون إلى ثروة الهند منذ دخولها، وما أدخلوا عليها من إصلاحات وتجديدات في مختلف نواحى الحياة، وعما انتجه المسلمون في الهند في العلوم الإسلامية وما زادوا إلأى تراثها، ومن نبغ فيها من العلماء الكبار والمؤلفين العظام، وعن مظاهر نشاط المسلمين العلمى والدينى، ومراكزه الكبيرة في العصر الحاضر، وعن خصائص هذا الشعب وطبيعته وشخصيته وعن ماضيه وحاضره، وعن قضاياه الرئيسية ومشكلاته، عسى أن يكون حلقة – ظلت مفقودة زمنا طويلا – في سلسلة تنوير الرأى العام والتزويد بالمعلومات الصحيحة، وفي سبيل التعارف الإسلامي.

ويحملنى على تقديم هذا الكتاب أيضا اننا نلحظ أن كثيرا من أقطاب السياسة والثقافة ورجالات العالم الإسلامى والشرق العربي يزورون هذه البلاد كل عام ويقضون فيها ما شاء الله من الوقت، ولا يهمهم أن يتصلوا بإخوانهم المسلمين – الذين أسهموا في بناء الحضارة والثقافية الإسلاميتين العربيتين بسخاء وجدارة – وان يعرفوا أوضاعهم السياسية والثقافة والدينية وما يمثلونه أو يستطيعون أن يمثلوه من دور في حضارة هذه البلاد وحضارة العالم، وما لهم من قضايا ومشكلات يعالجونها، كانها بلاد – كأوربا واليابان – ليس فيها شعب مسلم، وينصرفون إلى بلادهم لا يعرفون عن الشعب الإسلامي في الهند إلا معلومات ضئيلة سطحية مبعثرة، وقد يعرفون عن البوذيين والجينيين أكثر مما يعرفونه عن المسلمين الذين يشاركونهم في العقيدة والثقافة والحضارة، والذين كانوا بناة الهند الجديدة وصانعيها، والذين هم من إغنى شعوب العالم علما وانتاجا وحكما وإدارة وآثارا ومخلفات، ولا يزالون مصدرقوة وأمل.

إلى هؤلاء وأولئك جميعا أقدم هذا الكتاب، وبالله التوفيق.

سلخ ذى لحجة الحرام 1379 هـ
المجمع الإسلامي العلمى
ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

أبو الحس على الحسنى الندوى

دور المسلمين في حضارة الهند

سأتحدث في هذا المقال عما حمله المسلمون إلى هذه البلاد مع دخولهم كدعاة مرشدين، أو غزاة مجاهدين، أو ملوك فاتحين، أو علماء محققين، من خيات وحسنات وتحف وطرف، وعن بعض ما أضافوه لى ثروتها الدينية والعلمية والخلقية والاجتماعية والصناعية والمدنية في هدهم الطويل الجميل الزاهر.

دخل المسلمون في هذه البلاد حينّا بدافع دينى مجرد من كل سحلة ومنفعة ليحملوا إلى أهلها رسالة الإسلام الرحيمة العادلة، خرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها، وليضعوا عنهم إصرهم غلال التى كانت عليهم، كما فعل أولئك الدعاة المخلصون الذين في أحضانهم مئات ألوف من الأشقياء والمعذبين، وأحبوهم أكثر آبائهم وأولادهم كالسيد على الهجويرى، والشيخ معين الأجميرى، بد على بن الشهاب الهمدانى الكشميرى.

ودخلوها حينّا آخر كغزاة فاتحين، وملوك طامحين، كالسلطان ود الغزنوى، وشهاب الدين محمد الغورى، وظهير الدين بابر ورى مثلا، كانوا مؤسسى دولة عظيمة ازدهرت مدة طويلة، البلاد، وتقدمت بها في نواحي الحياة المختلفة.

وكان كل من هؤلاء وأولئك مصممما على الإقامة في البلاد، أو على الاتصال بها اتصالا مباشرا، يعتقد أن الأرض لله يورثها من يشاء، وان كل ما كان لله من أرض وبلاد فهو للمسلم عن طريق الخلافة والوصاية العالمية التى كلف بها المسلمون، فكانوا ينظرون إلى هذه البلاد كوط، ومدفن، ومسكن، لايبغون عنها حولا، فكانوا يخدمونها بكل ما أوتوه من ذكاء ونبوغ، وقوى ومواهب، وكانوا يعتقدون أن كل ما يضيفونه إلى ثروتها، انما يضيقونه إلى ثروتهم، ويحسنون إلى انفسهم وأجيالهم القادمة، لانهم أهل البلاد وأمة امستقبل، فكان نظرهم إلى البلاد يختلف بطبيعة الحال عن نظر الأوربيين المستعمرين، الذين يجلبون خيراتها إلى بلادهم

الخاصة، ويحلبون البلاد كبقرة مستعارة لا تقيم عندهم، ولا يجدون من بعد إليها سبيلا، وذلك سرّ عناية المسلمين بهذه البلاد، وحرصهم على تقدمها ورفاهيتها.

دخل المسلمون في الهند وهى تعتز بحضارة أصيلة عريقة في لقدم، وفلسفة عميقة، وعلوم رياضية دقيقة، وخيرات عظيمة من خبوب وثمار وفواكه، ومواد خامة، ولكنها كانت – على كل ذلك – تعيش منذقرون في عزلة عن العالم، قد فصلتها عن بقية الانسانية لجبال في جانب، والبحار في جانب آخر، وكان آخر من دخلها من لعالم المتمدن هو الاسكندرالكبير.

وهكذا انطوت هذه الأمة العظيمة على نفسها، وعاشت قرونا طويلة في عالم محدود محصور، لا تستورد شيئا من الأفكار والديانات، والنظم والصنائع والعلوم من الخارج، ولا تصدر إليه شيئا.

دخل المسلمون الهند وهم أرقى أمة في الشرق، بل في العالم المتمدن المعمور في ذلك العهد، يحملون دينا جديدا، سائغا معقولا، سهلا سمحا، وعلوما اختمرت وتوسعت، وحضارة تهذبتورقت حواشيها، يحملون معهم محصول عقول كبيرة كثيرة، ونتاج حضارات متنوعة متعددة، يجمعون بين سلامة ذوق العرب، ولطافة حس الفرس، وفروسية الترك، وكانوا يحملون للهند وأهلها غرائب كثيرة وطرفا غالية.

وكان إغرب ما كانوا يحملون في الدين، توحيد الإسلام النقي، الذي لا يرى الوساطة بين العبد وربه في العبادة والدعاء، ولا يعترف بالآلهة والمظاهر والظلال وحلول الله – جل وعلا – في بعض البشرو ظهوره فيهم، ويؤمن بالإله الواحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، له الخلق والأمر، وله الكبرياء في السماوات والأرض.

يقول الباحث الهندي المعروف(K.M. PANIKKAR)وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الإسلامية في عقلية الشعب الهندي، وديانته: من الواضح المقرر أن تأثير الإسلام في الديانة

الهندوكية كان عميقا في هذا العهد (الإسلامي)، أن فكرة عبادة الله في الهنادك، مدينة للإسلام، أن قادة الفكر والدين في هذا العصر وان سموا آلهتهم بأسماء العبادة، ومنهتطلب النجاة والسعادة، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التى ظهرت في الهند في العهد الإسلامي كديانة (BHAGTI) ودعوة " كبيرداس".

أما في الاجتماع فكان أعجب ما حمله المسلمون معهم هى المساواة الانسانية التى لم يكن للهند عهد بها،فلا نظام طبقات، ولا منبوذ، ولا نجس بالولادة، ولا جاهل يحرم عليه التعليم، ولا تقسيم أيد للحرف والصناعات، يعيشون معا ويأكلون جميعا، ويتعلمون سواءا، ويختارون ما يشؤن من الحرف والصناعات، وقد كانت صدمة عنيفة للذهن الهندى، والمجتمع الهندى، ولكن لا شك انها أفادت الهند كثيرا، ولطفت من شدة النظا الطبقى السائد، وكان باعثا قويا على رد الفعل ضد النظام الطبقى، وحافزا للدعاة إلى الاصلاح الاجتماعى، ولنسخ اللمس المنبوذ.

وقد قرر هذه الحقيقة التاريخية جواهرلال نهرو رئيس وزارء الهند سابقا إذ قال:

" ان دخول الغزاة الذين جاؤا من شمال غرب الهند ودخول الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند، انه قد فضح الفساد الذى كان قد انتشر في المجتمع الهندوكى، انه قد أظهر انقسام الطبقات واللمس المنبوذ وحب الاعتزال عن العالم الذى كانت تعيش فيه الهند، أن نظرية الأخوة الإسلامية والمساوات التى كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها، أثرت في أذهان الهندوس تأثيا عميقا، وكن أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء اذين حرم عليهم المجتمع اهندوكى المساواة، والتمتع بالحقوق الانسانية"

وكانت الهدية الثالثة احترام المرأة والاعتراف بحقوقها وكرامتها، كعضوم محترم من أعضاء الأسرة الانسانية وشقيقة الرجل، وعظمة هذه الهدية في بلاد كانت السيدات يحرقن انفسهن بالنار على وفاة أزواجهن، ولا يرين ولا يرى المجتمع لهن حقا في الحياة بعد الأزواج، أقول: أن عظمة هذه الهدية في مثل هذه البلاد واضحة لا تحتاج إلى تعليق.

وقام الملوم ورجال الحكم المسلمون بدورها في إصلاح الطقوس والعادات المتبعة في الهند وخاصةإصلاح تقليد ما يسمى "ستى" وهو إحراق الأرملة نفسها أثناء عملية إحراق جثمان زوجها الميت، وذلك بدون أن يلحوا بالمعتقدات الدينية والطقوس الهندية أى اساءة، أو انتهاك حرمة، فكتب الرحالة الشهير الدكتور برنير الذى زار الهند هو عهد شاهجهان:

لقد هبط عدد حوادث "ست" نسيبا، لان المسلمين الذين يحكمون هذه البلاد يبذلون أقصى جهدهم للقضاء على هدا التقليد الوحشى، ولو انهم لم يسنوا أى قانون لمنع هذه الحادثة من الوقوع، لانهم لا يهدفون في نظام حكمهم إلى التدخل في شؤون الهنادك الدينية، بل انهم يسمحون لهم بالقيام بأداء واجباتهم الدينية وطقوسهم، ويوفرون لهم كل حرية، لكنهم يحاولون إيقاف تقليد "ستى" بطرق غير مباشرة، فلا تستطيع أى امرأة أن تقدم نفسها لـ " ستى" إلا بإذن من حاكم الولاية، أما الحاكم فانه لا يسمح لها به إلا إذا تأكد انها لن تمتنع عن عزمها بأى حال من الأحوال، ويحاول حاكم الولاية إقناع المرأة وحملها على العدول عن إرادتها، وينفرها، ويوعدها، ويمنيها كذلك، وعند ما تخفق هذه المحاولات، ولا تثمر عملية الإقناع والوعيد يرسلها إلى حرمه، لكى تنضم إلى عقيلات الحرم، فتقلع عن إرادتها بإقناعهن، ولكن رغم جميع هذه التدابير لا تزال حوادث "ستى" تحدث بكثرة، وخاصة في مناطق الرجالات، والأماكن الخاضعة لنفوذهم، حيث لا يحكم المسلمون"

نقل المسلمون إلى الهند علوما جديدة كذلك،من أجلها وانفعها – إذا تركنا العلوم الإسلامية التى لا تتوقع من الهند – علم اتاريخ، فقد كانت البلاد فقيرة التاريخ، ليس في مكتبتها كتاب تاريخ بالمعنى الصحيح، انما هناك صحف دينية أو ملاحم مقصورة على حرب، أو عهد، مثل " مهابهارت " أو " رامائن " أما المسلمون فقد كوّنوا في كتاب " الثقافة الإسلامية في الهند " للعلامة السيد عبدا لحى الحسنى تخبر بما كان بهم من نشاط غريب، وانتاج ضخم في تاريخ الهند، وفي تاريخ الأمم.

قال غوستاف لوبون في " حضارة الهند "

" لا يوجد تاريخ لهند القديمة، فلا تضم كتبهم حوادث تاريخية كلبا، وكذلك لا يمكن الوصول إلى نتيجه بدراسة أبنيتهم وآثارهم التاريخية، فانها لاتلقى الضوء، لانه لا يتجاوز عهد أقدم بناية لهم القرن الثالث قبل الميلاد، وعلاوة على بضعة كتب دينية دفنت فيها بعض حوادث تارخية، كأساطير وقصص، يعسر جدا معرفة أحوال الهند القديمة، كما يعسر معرفة أحوال جزيرة " اتلانطس " الخيالية التى ذكرها أفلاطون انها دمرت في انقلاب أرضى.

ثم قال بعد ان حدث ان ويدا، ورامائن ، ومهابهارت، تلقى بعض الضوء على أحوال هذه البلاد:

"فالحق أن دور الهند التاريخى لم يبدأ إلا بعد المغازى الإسلامية في القرن الحادى عشر بفضل مؤرخيها امسلمين"

وقد اكتسبت الهند من المسلمين بصفة عامة توسعا في الخيال، وجدة في التفكير، ومعانى جديدة في الأدب والشعر لم تكن تخطر على بال، لو لا عملية التوليد العقلى، والتلقيح الفكرى والأدبي، وكان مما منح المسلمون اهند هذه اللغة الجميلة الواسعة التى أصبحت لغة التفاهم، ولغة العلم في الهند التى عرفت بكثرة اللغات واللهجات، أعنى لغة أردو.

وكان تأثير المسلمين في المدينة والصناعة وأساليب الحياة أبرز وأقوى منه في نواح أخرى، فقد أدخلوا في هذه البلاد حياة جديدة تختلف عن الحياة القديمة في هذا القطر، كما تختلف الحياة في أوربا اليوم عن الحياة في القرون الوسطى.

وإذا أردنا أن نعرف ما أضافه المسلمون إلى ثروة هذه البلاد ومدنيتها، يجب علينا أن نستعرض الهند وثروتها، ومدنيتها وحاصلاتها، ومرافقها ومستوى المعيشة فيها قبل أن يتمكن المسلمون من بناء مدنية جديدة، وإقامة حضارة هندية إسلامية، وإتحاف هذه البلاد بماعرفوه وألفوه من مرافق الحياة ورقائق المدنية، وقد ترك لنا مؤسس الدولة المغولية العظمى ظهير الدين محمد بابر (888-939هـ) ضورة واضحة عن مدنية الهند، وثروتها الطبيعية والصناعية،

والمستوى الذى كانت عليه هذه البلاد عند غزوه لها، ولا يخفى أن اليد الإسلامية الصناع الحاذقة ظلت تشتغل مدة قبل الهجوم المغولى، يقول بابر في مذكراته: [1]

" لا وجود للخيل العتاق، ولا يوجد من الفواكه العنب والبطيخ، والأثمار الطيبة، الثلج مفقود، والماء البارد قليل نادر، والحمام لا يوجد، والمدارس لا يعرفها أهل الهند، والمشكاوات والشموع لا وجود لها، وكذلك الفوانيس، ويستعمون مكانها خشبة ذات ثلاثة أرجل تحمل إحدى أرجلها حديدة مركبة بها، وفي الرجل الثانية فتيلة ضعيفة، وفي يدها اليمنى قرع (دباء) له ثقب صغير ينزل منه الزيت على الفتيلة، وبهذه المشاكة الوسخة يستعين الملوك والأمراء عند الحاجة في الليل.

أما الحدائق والأبنية فلا توجد فيها عيون متدفقة ومياة جارية، ولا تتمتع هذه الأبنية بالنظافة والهواء والتناسب، وأكثر أفراد الشعب يمشون حفاة ويكتسون بخرقة، والنساء يتزرن بالازار يلقين طرفا منه على الرأس" [2]

ومعلقا على ما سجله المؤسس الكبير لأعظم حكومة في الهند من ملاحظات وانطباعات عن هذه البلاد، يقول جواهر لال نهرو رئيس وزارء الهند في كتابه (DISCOVERY OF INDIA) : " منخلال التاريخ الذى ألفه بابر، نربفقر الحضارة الذى كان مسيطرا على الهندى الشمالية، ومرجع ذلك التدهور الذى كان نتيجة هجوم تيمور، وبسبب أن كثرا من اعلماء والفنانين والصناع نزحوا من شال الهند إلى جنوبها، ومن أسباب هذا الانحطاط أن منابع الإبداع والابتكار في أهل الهند قد نضبت، يقول بابر: " أن البلاد ليست فقيرة في وجود الصناع الحاذقين، ولكن اختراعات أهل الهند تخلو من الذكاء والفاطنة"...

---

1. **كتبها بارب اللغة التركية في أسلوب أدبي ، ونقلها إلى الفارسية الأديب التركى والشاعر الكبير قائد قواد الدولة المغولية الأمر عبد الرحيم بيرم خان، وطبعت في بمبى (الهند)**
2. **توزك بابرى " مذكرات ظهر الدين بابر، الترجمة الفارسية**

أن سقوط الحضارة الهندية في شمال الهند واضح لا خفاء فيه ، أن العقائد المرسومة والمجتمع امتزمت قد منعا عن الاصلاح الاجتماعى والتقدم"[1]

كانت البلاد – رغم خصبها وغناها – قليلة الفواكة والثمار، وأكثرها برية لم تلق العناية اللزمة، حتى جاء المغول وهم أصحاب ذوق رفيع،وأبناء بلاد كثيرة الفواكة والأثمار، فأدخلوا عليها ثمارا جديدة وفواكة كثيرة، يعرفها المستقصى من كتاب "توزك بابرى " و" توزك جهانكيرى " وقاموا بعملية التلقيح والتهذيب لبعض الثمار الهندية، حتى جاء أشهى وألذ وألطف، كما كان الشان مع " المانجو " أشهر فواكه الهند وألذها وأفضلها، فلم يكن يوجد منه الا ما ينبت بالبذر فلقحوه حتى جاء ما يسمونه...في الهند (قلمى) وكان منه انواع في العهد الأخير، لعلها تزيد على مأة نوع.

كذلك كان انتاجهم عظيما في صناعة القماش والمنسوجات، وقد كان أغلب لباس أهل الهند الكرباس والقطن الثخين العادى والصوف الخام.

وقد انشأ ملك كجرات السلطان محمود بن محمد الكجراتى المشهور باسم محمود بيكره (م 918هـ) مصانع كثيرة للنسج والوشى والتطريز وانحت، ومصنوعات العاج والمنسوجات الحريرية، وصناعة الورق، وقد كان السلطان محمود هذا ملكا عمرانيا كبيرا، أحدث نشاطا صناعيا وزراعيا وتجاريا منقطع النظير في تاريخ ذلك العصر، يقول مؤرخ الهند العلامة السيد عبد الحى الحسنى في ترجمته في " نزهة الخواطر" :

" ومن مكارمه قيامه بتعمير البلاد وتأسيس المساجد المدارس والخوانق، وتكثير الزراعة، وغرس الأشجار المثمرة، وانشاء الحدائق والبساتين، وتحريض الناس على ذلك،

---

1. **الجزء الأول ص 510 (DISCOVERY OF INIA)**

وإعانتهم بحفر الآبار وإجراء العيون، ولذلك أقبل عليه الناس إقبال كليا، ووفد عليه البناؤن والمعمارون وأهل الحرف والصنائع من بلاد العجم، فقاموا بحرفهم وصنائعهم، فصارت كجرات رياضا مخضرة بكثرة الحياض والآبار والحدائق والزروع والفواكه الطيبة، وصارت بلاد كجرات متجرة تجلب منها الثياب الرفيعة إلى بلاد أخرى، وذلك كله لميل سلطانها محمود شاه إلى ما يصلح به الملك والدولة ويترفه به رعاياه[1]

وكذلك فعل " أكبر " وانشأ معامل كبيرة للنسيج، وقد كانت لهم إصلاحات دقيقة عظيمة التأثير في تعيين الضرائب على حسب الأراضى، ومساحة العقارات والمزارع وتنظيمها وتشريعات مضبوطة، وتنظيم المالية وإصلاح نظام النقود، لم يكن للحكومات الهندية السابقة عهد بها ، قد كان لشير شاه السورى الملك المقنن والادارى العبقرى فضل التقدم والابتكار، وتبعه "أكبر"

وكذلك كان للحكومات الإسلامية فضل في تربية الحيوانات واقنائها،وترقية نسلها وتربية أجسامها، يظر ذلك في مذكرات جهانكير " توزك جهانكيرى " وكتب التاريخ مثل " آئين أكبرى"

أما تأسيس المستشفيات (المارستانات) ودود العجزة، والحدائق العامة والمنتزهات، والترع الكبيرة والبرك العظيمة، فقد كان من محاسن الدول الإسلامية التى لم تسبق إليها، وفي كتاب " جنة المشرق " وهى " خطط الهند"[2] للعلامة عبدا لحى احسنى قائمة طويلة بأسماء المستشفيات والمؤسسات الخيرية، والمشاريع المدنية التى نشأت في عصور الدول الإسلامية المختلفة.

---

1. **" نزهة الخواطر" الجزء الرابع، ترجمة السلطان محمود الكجراتى ص 345**
2. **طبع الكتاب ساسم ط الهند في العهد الإسلامي " (لأنه أدل على موضوع الكتاب) من دائرة المعارف العثمانية، مجيدر أباد.**

وكذلك الشوارع الطويلة التى تجمع بين شرق الهند وغربها، وتمتد على طول الهند وعرضها، كانت من انشاء الملوك المسلمين، اشتهرمنها الشارع الطويل الذى انشأه شير شاه السورى من سنار كاؤن اقصى بلاد بنغال (في باكستان الشرقية) [1] إلى ماء نيلاب من أرض السند(في باكستان الغربية) مساحته اثنتان وثلاثون وثمان مائة وأربعة آلاف (4832كم) وأسس في كل ثلاثة كيلو مترات رباطا، ورتب هناك مائدتين، مائدة للمسلمين ومائدة للهنادك، وأسس مسجدا على كل ثلثة كيلومترات، ووظف مؤذنا ومقرئا وإمام في كل مسجد، وعين في كل رباط فرسين للبريد، فكان يرفع إليه أخبار نيلاب إلى أقصى بلاد بنغال كل يوم، وغرس الأشجار المثمرة بجانبى الشارع ليستظلبها المسافر ويأكل منها.

وعلاوة على ذلك فقد كان مما أدخل المسلمون ونقلوه من الخارج إلى الهند، النظافة الزائدة، والاناقة في كل شئ، والظرافة في المأكل والمشرب، والبناء والاجتماع، والاحتفاظ بأصول الصحة، وتهوية البيوت وتنويرها، والتانق في الأوانى، فقد كان أهل الهند – ولا يزال كثي منهم – يأكلون على أوراق الشجر، خصوصا في الولائم الكبيرة، وقد أحدث المسلمون انقلابا عظيما في المجتمع، وفي الحياة المنزية، وفي نظام تأثيث البيوت.

وكذالك أدخلوا فنا معماريا جديدا يمتاز بالمتانة والدقة، والرقة والجمال، والتناسب والفخامة والتهوية والتنوير، ولا يزال "تاج محل " آية في الهندسة والبناء، وذكرى عهد المسلمين الزاهر، ودليلا ناطقا على ما بلغوا إليه من رقة الذوق ولطافة الحس، والإبداع في الفن.

وقد اعترف جواهر لال نهرو في كتابه " العثور على الهند " (DISCOVERY OF INDIA) بتأثير المسلمين الواسع العميق في العقلية الهندية وفي المجتمع الهندى، وتأثيرهم في حضارة هذه البلاد، يقول:

---

1. **بنغلاديش حاليا**

" أن دخول الإسلام والشعوب المختلفة في الهند التى حملت معها أفكارا طريفة وأساليب مختلفة للحياة، قد أثرت في عقيدتها وأثرت في هيئتها الاجتماعية، أن الفتح الجنبي – على علاته وما فيه من مساوئ – لا يخلو من فائدة، وهى انه الفتح الأجنبى – على علاته وما فيه من مساوئ- لا يخلو من فائدة، وهى انه يوسع أفق الشعب المفوح الفكرى، ويضطره إلى الخروج من الحصار الفكرى الذى أقامه حوله وبذلك يبدأ أفراده يفهمون أن الدنيا أوسع وأكثر اختلافا وتنوعا مما كانوا يتصورون ويعتقدون، وهكذا أثر الفتح الأفغانى في الهند، وظهرت تطورات كثيرة في حياتها، وكانت هذه التطورات أكثر وأعمق بعد دخول المغول في الهند، لانهم كانوا أكثر ثقافة وأرقى من الأفغان، وقد نشروا في الهند الاناقة التى كانت من خصائص إيران" [1]

وقد اعترف بذلك أحد قادة حركة التحي في الهند ورئيس المؤتمر الوطنى سابقا PATTABHAI SITA RAMAYYAفي خطبته التى ألقاها في حفلة المؤتمر الوطنى الهندى في " جي بور" فقال: " أن المسلمين أغنوا ثقافتنا، انهم قووا إدارتنا، وقربوا أجزاء البلاد البعيدة بعضها إلى بعض، لقد كان تأثيرهم عميقا في آداب البلاد وحياتها الاجتماعية" [2]

الخدمـــات الطبيـــة:

وكان من فضل المسلمين وحكوماتهم المتتالية على الهند أن نالت هذه البلاد المكانة المرموقة في العالم المتمدن والراقى، فجنت البلاد فوائد كثيرة في مجال العلم والطبيعة، منها ذلك النظام الطبى والمعالجة الذى كان أرقى نظام للطب في ذلك العصر قبل انتسار الطب الجديد، وكان هذا الطب الذى كان منظما ومدونا واسع الانتشار في معظم انحاء العالم يعرف بالطب اليونانى، ولكن يصح أن يسمى باسم " الطب العربي " ،

---

1. **الجزء الأول ص 511 (DISCOVERY OF INDIA)**
2. **خطبة المؤتمر الهندى الوطنى**

وكانت إيران والعراق وتركستان في عهود رقيها من مراكز هذا العلم، وهى التى انجبت أعلاما في هذا العلم ونوابغه في القرون الوسطى، وجذبت الهند أفواجا من رجالات هذا العلم وحاملى لوائه، حين انتهت إليهم روايات التشجيع المادى اذى كان يناله العلماء ورجال الفن من البلاط الهندى، وبدأ هذا الاتجاه في القرن السابع للهجرة، واستمر إلى القرن الثانى عشر تقريبا، فوصل هذا الفن دروته وكماله في الهند بفضل جهود الحكماء المجتهدين نفي الفن، والضيوف الحذاق، وتلامذتهم

الراسخين في العلم، والأطباء العباقرة وانهماكهم العميق وعكوفهم على خدمة فنهم ، وسمة خدمة الخلق فيهم، فانكمش أمام العلم سائر طرق العلاج القديمة، ولم يخل بلد ولا قرية من الأطباء اليونانيين.

وقد كان هذا الطب رخيصا كذلك كما كان ميسرا في متناول يد الجميع وملائما لطقس الهند ومناخها وطبيعة الهنود، وكان مع ذلك أرقى طريقة للعلاج في ذلك العصر وأوسعها، فنال قبولا عاما في مدة يسيرة، وانتشر بسرعة، فأدى خدمة جليلة وإسعافا طبيا ذاقيمة كبيرة بالنسبة لسكان هذه البلاد الذين كان يغلب عليهم الفقر وقلة الوسائل بصفة عامة [1] وقد استفاض أطباء الهند في الفن ونوعوه ووسعوه، وكانت دلهى ولكناؤ مركزين رئيسيين في آخر العهد الإسلامي، وأصبحت الهند الان المركز الوحيد لهذا الطب، ويرجع إليها فضل بقائه ووجوده.

يقول الدكتور هنتر الذى يعتبر من كبار الحاقدين على الشعب الإسلامي الهندى وعواطفه الإسلامية:

" أن المسلمين قد انسأوا مستعمرات في جوب الهند، الأراضى التى أحبوها وعمروها، وإذا قيض لسائح أن يتجول في هذه المنطقة استرعى انتباهه البرك التى يسقبها الزرع، والمساجد والرباطات، والأحواض والزوايا التى انشأوها في غابات موحشة لم يكن بها عمران.

---

1. راجع كتاب "الثقافة الإسلامية في الهند "للتفصيل في الموضوع، ومعرفة أسماء الأطباء المشهورين وخدماتهم.

وقد ظل المسلمون ينشرون دينهم نادرا بالسيف وغالبا تبأثير عاطفتين قويتين أن الهنادك لم يسمحوا للشعوب القديمة التى كانت تسكن عند مبنع الكنج بالدخول في مجتمعهم، أما المسلمون فقد قدموا جميع الحقوق الانسانية لطبقة البراهمة والمنبوذني سواءابسواء، أن هؤلاء الدعاة المتحسين أعلنوا في كل مكان أن كل واحد يجب عليه أن يخضع لله الواحد العلى، وان البشر كلهم سواء عنده، لا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى، وان الله قد خلقهم كذرات التراب"[1] وقد ذكر مؤرخ الهند الكبير المشهور بمؤلفاته السائرة وكتبه المقررة في الجامعات " جادو ناتهـ سركار " في مقالاته بالانجليزية التى ظهرت في محلة كلكته " الهند الواعية " بعنوان " الإسلام في الهند " عشرا من هبات الإسلام للشعب الهندى، منها ما تقدم في مقالنا والذى زاده هذا المؤرخ الكبير ونذكره هنا:

الأولى : صلة الهند بالعالم الخارجى.

والثانية : وجود الوحدة السياسية والوحدة في اللباس والحضارة خصوصا في الطبقات الراقية.

والثالثة : وجود لغة رسمية إدارية وأسلوب من النثر الفنى الذى ساهم في تهذيبة وترقيته المسلمون والهنادك.

الرابعة : تقدم لغات اقيمية في ظل الحكومة المركزية لوجود السلام والرفاهية في البلاد، وازدهار آدابها وانتشارها.

والخامس : تجديد التجارة عن طريق البحار التى كانت وفقدت منذ مدة طويلة، والتى كان يقوم بها أهل الجنوب في الزمن القديم .

السادسة : انشاء بحرية للهند.

ونختم هذه المقالة الوجيزة بكلمة لكاتب عصرى فاضل وهو N.C. MEHTA I.C.Sيوقل في كتابه : INDIAN CIVILISATION & ISLAM " الحضارة الهندية والإسلام"

---

1. W. W. HUNTER OUR INDIAN MUSLIMS **مسلمو الهند**

" أن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور قد انجلتبه الظلمات التى كانت تغشى الحياة الانسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدلى، وأصبحت الغايات الفاصلة معتقدات فكرية، لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة، شانه في الأقطار الأخرى، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الإسلام في هذا القطر مرتبطا بالحكومة فبقيت حقيقة الإسلام في حجاب، وبقيت هباته وأياديه الجميلة مختفية عن الانظار"

ترات العلماء المسلمين العلمي في الهند [1]
وعنايتهم باللغة العربية

كان المسلمون في الهند أوفياء لوطنهم، لا يتشاغلون عن خدمته والتقدم به في ميادين العلم والصناعة والمدنية، أوفياء لدينهم وثقافتهم الإسلامية العربية، لا يتخلفون عن ركبها ولا ينقطعون عنها، وقد نراهم في بعض فترات التاريخ في مقدمة القافلة ومأخذ الزمام..

ان الجميع بين الثقافتين اللتين تتناقضان كثيرا وتلتقيان قليلا، وان الوفاء لوطنين – مادى وروحى – مهمة عسيرة، لا نعرف شعبا من شعوب الإسلام كلف نفسه بها ثم نجح نجاح مسلمى الهند.

ان مؤلفات المسلمين في الهند في العلوم الإسلامية لا تحصى كثرة، وذلك موضوع كتاب كبير، ككتاب الفهرست لابن النديم، أو كشف الظنون للجلى، وجولة في كتاب "الثقافة الإسلامية في الهند " تدل على مركز الهند العلمى وقسط علمائها ومؤلفيها في حركة التأليف والنشر، وأقتصر هنا على الكتب التى تخطت شهرتها الهند وسارت بها الركبان، واحتفى بها علماء الغرب، وأخص منها أولا ما ألف باللغة العربية.

من هذه الكتب العالية، كتاب " العباب الزاخر " للإمام حسن بن محمد الصغانناللاهورى، من رجال القرن السابع الهجرى، الذى عد من مراجع اللغة العربية، وغرر كتبها، وقد اعتنى به أئمة اللغة قديما وحديثا، واعترفوا له بالدقة والإتقان وغزارة المادة، واعترفوا لصاحبه بالفضل والإمامة في هذا الشان ، قال السيوطي : انه كان حامل لواء اللغة، وقال الذهبي : ان إليه المنتهى في اللغة، وقال الدمياطى : انه كان إماما في اللغة والفقه والحديث، وكذلك كتابه " مشارق الانوار " في الحديث من الكتب المشهورة المقبولة في العالم الإسلامي، وقد ظل مدة طويلة من كتب التدريس.

---

1. **اقتصرنا في هذا الفصل على الحديث عن أهم المؤلفات التى ألفت في الهند قبل التقسيم وما ألفت في الهند خاصة بعد التقسيم، ولم نتعرض لذكر المؤلفات التى ألفت ونشرت في باكستان والتى تستحق ان ينوه بها بعد قيام باكستان، لان معلوماتنا عنها محدودة، وفي باكستان من العلماء والكتاب من يستطيع ان يضطلع بعملية التعريف والإشادة والتنويه، واهل البيت أدرى بما فيه**

ومنها " كنزالعمال"[1] للشيخ على بن حسام الدين المتقى البرهانفورى(م970هـ) وهو ترتيب " جمع الجوامع "للسيوطى [2]، وهو من الكتب التى انتفع بها علماء الحديث كثيرا، واعترفوا لصاحبه بمجهود عظيم وفرعليهم وقتا كبيرا وأغناهم عن مراجعات كثيرة، قال الشيخ أبو الحسن البكرى الشافعى من أئمة العلم في الحجاز في القرن العاشر: " أن للسيوطى منة على العاملين وللمتقى منة عليه "

ومنها كتاب "مجمع بحار الانوار في غرائب التنزيل ولطائف الخبار "للشيخ ممحمد طاهر الفتنى[3](م976هـ) قال العلامة السيد عبدا لحى الحسنى في " نزهة الخواطر " جمع فيه المؤلف كل غريب الحديث وما الفا فيه ، فجاء كالشرح للصحاح الستة، وهو كتاب متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر في الوجود، وله منة عظيمة بذلك العمل على أهل العلم، وكذلك كتابه " تذكرة الموضوعات " من الكتب السائر المتداولة في الموضوع.

ومنها " الفتاوى الهندية " التى تعتبر من المراجع الفقهية الكبرى الى عليها العمدة في كثير من الأقطار الإسلامية التى تحكم بالفقه الحنفى، يقول صاحب " الثقافة الإسلامية في الهند":

---

1. **قد طبع هذا الكتاب للمرة الأولى في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ونال قبولا عاما في العالم الإسلامي.**
2. **ان " جمع الجوامع " أوفي مجموعة للأحاديث والروايات، وخزانة كبيرة لها، ولم يراع المؤلف في هذا الكتاب أى ترتيب فقهى أو معنوى، فإذا كان الحديث قوليا فلا بد في البحث عنه من رعاية الكلمات البدائية، وإذا كان فعليا فلا بد لمعرفته من معرفة اسم الراوى، وقد رتب العلامة على المتقى ذلك باعتبار الأبواب والفصول، وجعله أوسع فائدة وأعمها.**
3. **" فتن " تقع في كجرات ، ولا تزال بلدة عامرة ، نقع على بعد 68 ميلا من " أحمد أباد " في شمال غربها ، وتذكر في كتب التاريخ القديمة باسم " انهلواره " وبالعربية تذكر باسم " نهر والة ، وكانت عاصمة ذات نفوذ كبير لحكومة قوية في القرن الخامس الهجرى لكجرات، وفتحها السلطان محمود الغزنوى في عام 416هـ ، وفتحها السلطان قطب الدين ايبك من جديد في عام 592هـ**

" أما الفتاوى العالمكيرية ويسمونها الفتاوى الهنددية فهى من أجلها وانفعها (أجل الفتاوى والمجاميع) في كثرة المسائل وسهولة العبارة، وحل العقد، وهى التى اشتهرت في بلاد العرب والشام ومصر القهرة بالفتاوى الهندية، وهى في ستة مجلدات كبار رتبوها على ترتيب الهداية، واقتصروا فيها على ظاهر الرواية، ولم يلتفنوا إلى النوادر موسوما بعلامة الفتوى، ونقلوا كل عبارة معزوة إلى كتابها ولم يغيروا إلا لداعى الضرورة، وقد ولى السلطان أورنك زيب عالمكيرالتيمورى (انار الله برهانه) الشيخ نظام الدين البرها نفورى، في أوائل سلطنته تدوينها باستخدام الفقهاء الحنفية، وبذل على تدوينها مأتى ألف روبية"[1]

وقد ذكر المؤلف أربعة وعشين رجل من كبار علماء الهند في ذلك العصر ساهموا في تدوينها، وكان أربعة منهم وهم اقاضى محمد حسين الجونفورى المحتسب، والشيخ على أكبر الحسينى أسد الله خانى ، والشيخ حامد بن أبى الحامد الجونفورى، والمفتى محمد أكرم الحنفى اللاهورى، قد تولوا أرباعها، لكل واحد منهم الإشراف على ربع الكتاب.

ومنها كتاب " مسلم الثبوت " في أصول الفقه للعلامة محب الله بن عبدا لشكور الحنفى البهارى المتوفى (1119هـ) وقد رزق القبول العظيم في الأوساط العلمية المدرسية في الهند وبلاد الإسلام، وتناوله كبار العلماء في عصورهم بالتدريس والشرح، وكانت له عشرة شروح لكبار الأساتذة الفضلاء في الهند.

ومنها كتاب " كشاف اصطلاحات الفنون " للشيخ محمد أعلى التهانوى من رجال القرن الثانى عشر ، وهو كتاب عظيم النفع ، تلقاه المستغلون بالعلم في بلاد العرب بالقبول، وأثنوا عليه لانه كمعجم للمصطلحات العلمية يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب ، وهذا موضوع لم يكن فيه كتاب كبير على شده الحاجة إليه ، ولا يزال المرجع الوحيد للفضلاء والمؤلفين والباحثين في هذا الشان.

---

1. **مأتا ألف روبية هندية تساوى نحو خمسة عشر الفا (15000من الجنيهات) وقيمتها في هذا العصر أكثر من مائة ألف جنيه.**

وفي هذا الموضوع كتاب آخر وهو " جامع العلوم " المشهور بدستور العلماء في أربعة مجلدات للشيخ عبدا لنبى بن عبدا لرسول الأحمدنكرى من رجال القرن الثانى عشر أيضاز

ومنها بل من أعظمها كتاب " حجة الله البالغة " للإمام ولى الله الدهلوى (م1176هـ) في أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامي وهو كتاب مبتكر في موضةعه لا يوجد له يظير في المكتبة العربية على سعتها، وقد أجله علماء هذا الموضوع وأعيد طبعه في مصر مرارا[1]

ومما يجب الإشارة إليه أن هذا الكتاب يتسم بنصاعة العربية وقوة العبارة وانسجامها وبعدها عن السجع البارد وتقليد أسلوب الحريرى الذى كان متفشيا في عصره ومصره ، وقلما نجا منه مؤلف وكاتب في القرون الأخيرة ، وهو يعد بحق المثال الثانى للنثر الطبعى السلسال والتعبير العلمى العامر بعد مقدمة ابن خلدون في عصور انحطاط العربية وغلبة العجمة والصناعة على الكتاب والمؤلفين في العالم الإسلامي.

ومنها كتاب " تاج العروس في شرح القاموس " للسيد مرتضى ابن محمد البلكرامى المشهور بالزبيدى (م1205هـ) الذىهو أشهر من أن يعرف، وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة في عشرة مجلدات كبار، وقد اشتهر أمر هذا الكتاب في حياة صاحبه فاستكتب منه الخليفة العثمانى نسخة، وسلطان دارفور نسخة ، وملك المغرب نسخة ، وطلب منه أمير اللواء محمد بيك أبوالذهب نسخة وجعلها في مكتبة مسجده الذى انشأه بالقرب من الأزهر ، وبذل في تحثيله ألف ريال.

وقد نبغ في الهند في القرن الرابع عشر الهجرى مؤلفون فاقوا في العالم الإسلامي كله في سرعة التأليف وكثرة المؤلفات وضخامة الانتاج ، وكان كل واحد منهم مجمعا علميا نشيطا،

---

1. **اقرأ مزاياه وخلاصة ما جاء فيه في كتاب المؤلف الإمام الدهلوى ، طبع دار القلم الكويت**

وقد قام بعضهم شخصيا بما لا تقوم به مجامع علمية في أكثر الأحيان، فالأمير صديق حسن بن أولاد حسن القنوجى أمير بهوفال(م1307هـ) يبلغ عدد مؤلفاته اثنين وعشرين ومأتى كتاب (222) منها ستة وخمسون (56) كتابا في اللغة العربية ، وفيها كتب كبار ذات قيمة علمية، منها " فتح البيان في مقاصد القران، في عشرة مجلدات كبار، وأبجد العلوم ، والتاج المكلل، والبلغة في أصول اللغة والعلم الخفاق من علم الاشتقاق.

ويبلغ عدد مؤلفات علامة الهند فخر المتأخرين الشيخ عبدا لحى ابن عبدا لحليم اللكهنوى(م1304هـ) مائة وعشرة كتب (110) منها ستة وثمانون(86) كتابا بالعربية، من أشهرها وأجملها " السعاية في شرح شرح الوقاية "و" مصباح الدجى "و" التعليق الممجد "و" ظفر الأمانى " ولا يزال كتابه " الفوائد البهية" عمدة المؤلفين في تراجم علماء المذهب الحنفى ومرجعهم الكبر.

ويبلغ عدد مولفات المصلح الكبر والمربي الشهير مولانا أشرف على التهانوى (م1362هـ) تسع مأة وعشرة (910) منها الصغير، والكبر منها ثلاثة عشر كتابا بالعربية.

وللعلامة محمود حسن خان التونكى (م1366هـ - 1947م) كتاب عظيم سماه " معجم المصنفين " هو كدائرة معارف في هذا الموضوع في نحو ستين مجلدا، تحتوى على عشرين ألفا من الصفحات وعلى تراجم أربعين ألفا من المصنفين، وناهيك من سعة الكتاب واستقصائه أن فيه تراجم ألفين من المؤلفين، كلهم يسمون أحمد ، وقد لحص في كتابه نحو ألف وخمس مائة من الكتب، وذكر كل من ترك بالعربية كتابا منذ بدأ العهد التأليفى إلى سنة 1350 هـ وظهرت منه أربعة أجزاء فقط طبعت في بيروت على نفقة حكومة حيدرآباد.

ومن كبار مؤلفى هذا العصر وكتابه العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى(م1373هـ) الذى خلف مكتبة كبيرة من مؤلفاته في السيرة النبوية والشريعة الإسلامية والتاريخ والأدب ومجموع ما طبع يبلغ نحو ستة آلاف صفحة غير مقالات وشذاراته التى يكتبها في مجلة" معارف " التى تعتبر أرقى مجلة علمية في الهند، وأجوبته وفتاواه العلمية ، وهو يستحق أن يعد من كبار المؤلفين في الهند والمحققين الباحثين في الشرق.

ومن كبار المؤلفين أيضا الذين عرفوا بالقتدار على التأليف وسيلان القلم وغزارة المادة وسعة المعلومات، العلامة مناظر أحسن الكيلانى (م1375هـ) صاحب " النبى الخاتم " تدوين الحديث "و" نظام الإسلام الاقتصادى "و" نظام التعليم والتربية وغيرها، وقد خلف مكتبة عامرة من مؤلفاته.

وقد عرف علماء الهند بشغفهم بالعلوم الدينية وانتهت إليهم رئاسة التدريس والتأليف في فنون الحديث وشرح متونه ومجاميعه، وسلمت زعامتهم في هذا الموضوع في العهد **الأخير حتى قال العلامة السيد رشيد رضا منشئ مجلة " المنار" في مقدمة" مفتاح كنوز السنة":**

"لو لا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر، لقضى عليها بالزوال من امصار الشرقن فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة"

ولعلماء الهند في هذا العرصر مؤلفاتجليلة في فنون الحديث وشروح لأمهات كتبه تلقاها العلماء بالقبول منها "عون المعبود في شرح سنن أبي داود" للشيخ محمد أشرف الديانوى[1]، و " بذل المجهود في شرح سنن أبي داود[2] للشيخ خليل أحمد السهارنبورى، وتحفة الاحوذى في شرح سنن الترمذى للعلامة عبدالرحمن المباركفورى، و"فتح الملهم في شرح صحيح مسلم " للشيخ شبير أحمد الديوبندى ولم يكمل، و " أوجزا المسالك إلى شرح مؤطأ الإمام مالك " للشيخ محمد زكريا الكاندهلوى، و " فيض البارى " إفادات للعلامة انور شاه الكشميرى على صحيح البخارى، لا تزال عمدة ومرجعا لطلبةهذا الفن الشريف وعلماؤه، و" مرعاة المفاتيح في شرح مشاكة المصابيح " لشيخ الحديث مولانا عبيد الله المباركفورى، قد ظهرت منه أربعة أجزاء بعد.

---

1. ألف هذا الكتاب "بتوجيه وإرشاد المحدث والعالم الكبير لو لاية " بهار " الهندية الشيخ شمس الحق الديانوى أحد كبار تلامذة العلامةنذير حسين المحدث الدهلوى، وكان الشيخ قد بدأ أولا بشرح سنن أبي داود شرحا بسيطا مطولا باسم " غايةالمقصود "ولكنه لم يكمل الشرح فلم ينشر إلا الجزء الأول منه ، ثم أكمله تلميذه الشيخ محمد أشرف بإشارة منهفيما بعد.

2. طبع هذا الكتاب أولا على الحجر في سهار نفور وفي سنة1342 هـ ثم أعيد طبعه في مطبعة ندوة العلماء وفي مصر سنة 1392 هـ بعد ان نظر فيه تلميذ المؤلف النابغة ومساعده في التأليف المحدث العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى.

ويعد كتاب " آثار السنن " للعلامة ظهير أحسن النيموى[1] في تأييد المذهب الحنفى، والنقد في الحديث، كتابا عاليا وزيادة عظيمة وافية بين مؤلفات الهنود في علم الحديث، ومن سوء الحظ لم يتم هذا التأليف، لان عمر الشيخ لم يساعده، ولم تم هذا الكتاب لكان خدمة جليلة علمية في تأييد وجهة النظر الحنفية والنقد في الحديث.

ومن الكتب التى اعنتى بها العلماء في الأقطار الإسلامية وعدوها من خيرة ما كتب في الموضوع، كتاب في التفسير للقاضى ثناء الله البانى بتى، وهو" التفسير المظهرى " ويعتبر من أفضل ما كتبه علماء المذهب الحنفى في التفسير في العهد الأخير، وطبع في الهند على الحجر في عدة مجلدات كبار، وكتاب " إظهار الحق " و" إزالة الأوهام للشيخ رحمة الله كيرانوى(م 1309هـ) وهما فصل الخطاب، والخطيب في المحراب، في نقد التوراة والانجيل والرد على النصرانية، ولا يزال الكتاب الأول فريدا في موضوعه منطقع النطير في مقصده.

و " فقه اللسان "للقاضى كرامت حسين الكنتورى (م1335هـ) يدل على رسوخه في الفسفة اللغوية وعلم اللغةوالاشتقاق مع كون المؤلف من أصحاب الاختصاص في الفلسفة والحقوق والمشتغلين بالقضاء والوظائف الرسمية.

و " الإمعان في أقساما القران " للعلاة حميد الدين الفراهى (محمد 1349هـ) و " جمهرة البلاغة " ورسائل في تفسير سور من القران، وهى أجزاء من تفسيره المسمى " نظام الفرقان وتأويل القران بالقران، تدل على عمق فكره ودقة نظره واطلاعه الواسع على التوراة والانجيل، وتضعله من العلوم العربية والبلاغة وأشعار الجاهليين وأساليب بيانهم، والغوض في المعانى.

---

1 . كان العلامة أحسن من كبار تلامذة فخر المتأخرين العلامة عبد الحى بن عبدالحليم اللكهنور، وكان العلامة انور شاه الكشميرى يقول : ، لم تنجب الهند محدثا بمرتبته منذ ثلاثة قرون"

ومنها " التفسير الماجدى " للشيخ عبدا لماجد الحيدرآبادى يمتاز بالداراسات المقارهنة العقائدية والتاريخية والعلمية، والاستفادة من المصادر الأجنبية، وما كتب عما تشترك فيه الصحف السابقة والقران من أكمنة وأعلام وحقائق تاريخية وما جلت عليه الآثار والحفريان، والاحتجاج بكل ذلك على إعجاز القران[1]

ومنها " ترجمان القران " في مجلدين لمولانا أبوالكلام آزاد، وزير المعارف الأول في الجمهورية الهندية، وقد كتب في أسلوب أدبى قوى رفيع وانشاء بليغ، وفيه بعض بحوث طريفة ونكت لطيفة ولكن الكتاب لم يتم.

ولفضلاء الهند ومؤلفيها كتب في الفارسية في أغراض إسلامية وعلمية تستحق أن تعتبر فريدة في موضوعها، وبديعة في أسلوبها وتأثيرها، أو في طرافة بحوثها، أو غزارة مادتها، لذلكنقل عدد منها إلى تعض اللغات الإسلامية ، كالعربية والفارسية والتركية، كرسائل الإمام أحمد بن عبدالأحد السرهندى، ورسائل الإمام يحيى بن شرف الدين المنيرى البهارى المعروفة بالمكتوبات في المعارف الإلهية والنكت الشرعية، و " إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء " لشيخ الإسلام ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى في بحث الخلافة وثبوت خلافة الخلفاء الراشدين، و " الفوزالكبير في اصول التفسير " له، و "تحفة اثنا عشرية " في الرد على الشيعة الإمامية، لولده العلامة عبدالعزيز الدهلوى. , " الصراط المستقيم " في فن التزكية والتصوف، للسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، و" منصب الإمامة " للشيخ العلامة إسماعيل بن عبدالغنى، كلها بالفارسية.

ولهم تأليف في العهد الأخير في أ{دو اعتبرت من أفضل ما ألف في موضوعها، وأكثرها في السيرة النبوية ك " سيرة النبى " في ستة مجلدات كبار[2]،

---

1. **صدر الكتاب بالنص الانجليزى في أربعة مجلدات من المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء، والنص الأردى قد طبع أيضا، والكتاب يمتاز بسلامة العقيدة وعرض وجهة النظر السنية والسليمة، والدراسات المقارنة.**
2. **وقد صدر الجزء السابع أخيرا وهو خاص بالسياسة الشرعية والمعاملات، وهو صغم الحجم بالنسبة إلى الأجزاء السابقة.**

للعلامة شبلى النعمانى وتلميذه الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوى، وهى كدائرة المعارف في السيرة النبوية، القاها في مدراس، وطبعت في أردو باسم "خطبات مدراس " وهى من أجمل ما كتب في السيرة[1]، وسيرة رحمة للعالمين "للقاضى سليمان المنصورفورى، في ثلاثة مجلدات من أعظم كتب السيرة تأثيرا، و " النبى الخاتم " للشيخ مناظر أحسن الكيلانى ، من أكثرها استنباطات ونكتا لطيفة ، و " الفاروق " للعلامةشبلى النعمانى في سيرةأمير المؤمنين عمر و" شعر العجم " له في تاريخ الشعر الفارسى ونقده، ومؤلفاتا العالم الربانى مولانا محمد قاسم النانوتوى في علم الكلام وفضل الإسلام، وإثبات بعض عقائده وأحكامه.

ولم يزل شعار المسلمين في الهند منذ العهد الأول الاعتناء الكامل باللغة العربية ، والتعصب لها،وقد حافظوا عليها كلغة التأليف والعلم، وكان فيها شعراء مفلقون، كالقاضى عبدالمقتدر الكندى الدهلوى (م791هـ) والشيخ أحمد بن محمد التهانيسرى (م830هـ) والشيخ غلام على آزاد البلكرامى، صاحب " السبع السيارة " (م1300هـ) والمفتنى صدرالدين الدهلوى (م1285هـ) والشيخ فيض الحسن السهار نفورى (م1304هـ) والشيخ ذوالفقار على الديوبندى (م1322هـ) وأدباء محققون كالعلامة عبدالعزيز الميمنى، والشيخ أبيى عبدالله محمد السورتى.

ولا يزال المسلمون متمسكين باللغة العربية يدرسون أمهاتكتبها في مدارسهم التى يسمونها " المدارس العربية " ويؤلفون ويكتبون فيها، وقد أصدروا في فترات مجلات وصحفا عربية تدل على عنايتهم بهذه اللغة ونشرها وإحيائها، منها مجلة " البيان " الشهرية التى كانت تصدر من لكناؤ، وكان الشيخ عبدالله عمادى والأستاذ عبدالرزاق المليح آبادى الندوى في إدارة تحيريرها، ومنها صحيفة " الجامعة " الأسبوعية التى كانت تصدر من " كلكتا " وكان رئيس تحريرها مولانا أبوالكلام آزاد رئيس المؤتمر الوطنى بعد، ووزير المعارف في الحكومة الهندية بعد ذلك، ومنها مجلة " الضياء " الشهرية التى كانت تصدر من ندوة العلماء لكناؤ، ونالت إعجابا وتقديرا في الأوساط العلمية والأدبية في البلاد العربية،

---

1. **نقلتهذه المحاضراتا إلى العربية ونشرت مرارا باسم " الرسالة المحمدية " تعريب الأستاذ محمد ناظم الندوى.**

منشئها المرحوم الأستاذ مسعود عالم الندوى ، ولا تزال مجلة " البعث الإسلامي " لسان حال الدعوة الإسلامية ورائد الفكر الإسلامي تصدر من ندوة العلماء ، وصحيفة " الرائد " الندوية الأسبوعية تنشئها طلبة دار العلوم ويكتبون فيها، وجريدة " الكفاح " التى تصدرها جميعةعلماء الهند من دهلى، وجريدة " الدعوة " [2]التى تصدرها الجماعة الإسلامية، و " صوت الجمامعة " التى تصدرها الجامعة السلفية ، ببنارس ، و " دعوة الحق " التى كانت تصدر من دارالعلوم " ديوبند " وظهرت مكانها الان " الداعى "

وقد خرجت دار العلوم التابعة لندوة العلماء طائفة من الكتاب البارعين في اللغة العربية، وأوجدت نشطا أدبيا ملخوظا في الهند، ومحصولا ذا قيمة أدبية لا يجمل لمؤرج الأدب العربى أن يغفله إذا أراد أن يستوعب الحركة الأدبية في الأقطار الإسلامية ويدكر مدارسها المختلفة.

---

1. **وقد احتجبت منذ حل الجماعة الإسلامية في يوليو 1975م ، ولكنها استانفت صدورها بعد رفع حالة الطوارى.**

نوابغ الشعب الهندى الإسلامي

ان مما يدل على نجابة أمة وصلاحيتها للبقاء نبوغ عبقريين فيها في مختلف شعب الحياة وميادينها وأصناف العلم، والشعب الإسلامي في الهند غنى في نوابغ الرجال، والعبقريين في ضروب الكمال.

قد قامت في الهند دولة إسلامية قوية منذ القرن السادس الهجرى، اجتمع في ظلها نوابغ كل فن ن، وأئمة كل علم ، غرا التتار الشرق الإسلامي وانزلوا على العالم الإسلامى البلاء والشقاء، وخرجت الجواضر الإسلامية ومركز الحضارة والثقافة في العالم الإسلامي، وبدت موجات الهجرة والجلاء قوية واسعة في المدن التى كانت فريسة الغارات التترية المغولية، ونزحت أكثر البيوتات الشريفة والأسر العريقة في العلم والصلاح والشرف تهيم على وجهها في الأرض وتبحث لهاعن مأوى تأوى إلأيه ، وتعتصم به عن همجية التتر الوحوسش ومعرتهم وتلقى به رحلها.

وكانت الهند التى يحكمها المماليك الأقوياء من السلالة التركية هى البلد الوحيد في الشرق التى صمدت للتتار والمغول وردتغاراتهم مرة بعد مرة، فلجأ إليها في فترات كثيرة عدد من أكرم الأسر وأعرقها في العلم والذكاء والشرف في تركستان وإيران، وأقام في الهند عشائر كثيرة توارثت العلم والنبوغ والشرف والمناصب الدينية كابرا عن كابر، وكثرت هذه العشائر في عصر شمس الدين التمس وغياث الدين بلبن وعلاء الدين الخلجى،ويتحدث عنها وعن سبب هجرتها مؤرخ الهند القديم ضياء الدين البرنى : يقول:

" أن هذه الأسر وهؤلآء الأشراف والسادة والعلاء الأجلاء انما هاجروا في حادثة جنكيز خان الملعون، كان منها أمراء وقوادو أساتذة كبار وقضاة وشيوخ أجلاء ومربون كبار" 1

---

1. راجع تاريخ فيروز شاهى عهد السلطان غياث الدين بلبن

ونبغ في هذه الأسر الكريمة وفي من أسلم على يدها من الأسر الهندية الكريمة رجال فيالعلم والدينوالإدارةوالسياسة، وكان منهم رجال عز نظيرهم في العالم الإسلامي.

نبغ في الهند في هذا الشعب الإسلامي الهندى ملوك وأمراء ووزءاء وقادة للجيوش وعلماء ومؤلفون يتجمل بهم تاريخ الإسلام العام ويكاد يكون منهم العلم المفرد في تضصفات الكمال ونسيج وحده فيها.

والذى يقرأ سيرة الحاكم العبقرى شير شاه السورى (م952هـ) ويعرف مآثره في إدارة البلاد ورفاهيتها ومشاريعه العمرانية الضخمة البديعة وقوانينة العادلة وتشريعاته الدقيقة وانتاجه السريح الضخم - وقد ذكرنا بعض ذلك في الفصل السابق – ويعرف أن كل ذلك قد تم في خمس سنوات فقط، وهى المدة التى حكم فيها شير شاه، وبعضه يعجز عنه الحكومات الكبيرة المنظمة في آجال طويلة، ولم يستطع كثيرة من الملوك والحكام الانجليز على كثيرة الوسائل وتقدم المدنية وحدوث الآلات أن يأتوا ببعض ما أتبه هذا الملك العصامى في عصر مختلف في الصناعة والمدنية، يبهر بعظمة هذا الرجل، ويؤمن بعبقريته ويصدق أن هذا الرجل فريد في العصور والأمصار، ويستحث أن يوضع في صف أعاظم الرجال في العام [1]

والذى يقرأ سيرة السلطان اورنكزيب عالمكير (م1118هـ) وما جمع من فضائل علمية وعملية، ويقرأ تاريخه الحافل بجلائل الأعمال ويقرأ جهاده المتواصل الذى لم يقطع ولم يتوقف يوما واحدا في خمسين سية حكم فيها، وفتوحاته العظيمة وإصلاحاتها الكبيرة وتقشفه في الحياة وتحملهللشدائد واستقامته وصلابته ومغامراته في سن عالية [2] ، ويقرأ نظام أوقاته، ومحافظته على الفرائض والسنن مع إشرافه الدقيق على أوسع ممكلة في يعصره، واشتغالهبالعبادات والعلم والمطالعة، آمن بان هذا الرجل لا يوجد له نظير في علو الهمة وقوة الارادة في ملوك العالم، وانه خلق من حديد، و؟ انه من نوارد رجال العالم في جميع العصور وفي جميع الأجيال.

---

1. **اقرأ ترجمنه " نزهة الخواطر " المجلد الرابع.**
2. **عمر أورنك زيب تسعين سنه ولم يزل مرابطا مناضلا إلى آخر ساعته، وفي كتاب " رجال من التاريخ " للأستاذ الطنطاوى طرف من ترجمته**

ومنهم السلطان الفاضل العادل المحدث الفقيه مظفر حليم الكجراتى (م932هـ)الذى روى عنه التاريخ من نوادر الإخلاص والإيمان والاحتساب والتقوى والعمل بالعزيمة والعدل والإيثار والحمية في الدين والتبحر في العلم ما يندروجوده في سير كبار الزهاد والربانيين وكبار المخلصين فضلا عن الملوك والسلاطين.

يقول : مؤرخ " كجرات " :

" حاول ملوك وأمراء " مالوه " قرنا كامل تقريبا أن يغزوا إمارات " كجرات " بجيوشهم ، ولكن محاولتهم كلها باءت بالفشل، ولكن سوء إدارة السلطان محمود الشاه الثانى سلطان " مالوه " أدى إلى انتقال زمام الأمر إلى أيدى وزيره " مندلى رائى " الذى عزل السلطان محمود، وعكف على محو الشعائر الإسلامية، ونشر الطقوس والعادات غير الإسلامية، وفتحرك له السلطان مظفر شاه حليم (عليه الرحمة) وثارت حفيظته وحميته، وكان واليا على " كجرات " فزحف إلى " مالوه " بجيش عرمرم ووصل إلى باب " مالوه " بعد ان قطع مسافة طويلة، وحاصر البلد، وخاف " مندلى رائى " انه ريما لا يستطيع مقاومته أو الصمود له لوحده، فأغرى " رانا سانجا ط بإرسال هدايا نفيسة إليه واستنجده، ولكنه قبل أن يصل إلى " سارنج بور " وجه السلطان " مظفر حليم " إليه فوجا من جيشه العظيم للتصدى له، فلم يستطع جيش " رانا سانجا " أن يتجاوز هذا الجيش ، وانتصر السلطان وفتح القلعةقبل أن تصل نجدته إلى " مندلى رائى " من المناطق المجاورة.

وجوهر الكلام انه لما دخل السلطان " مظفر حليم " في القلعة واستعرض فقته ما تركه ملوك " مالوه " من آثار للنعيم والخزائن ، والثروات الطائلة، واطلعوا على رخاء تلك المنطقة وخصبها قالوا للسلطان " أن أكثر من ألفى فارس استشهدوا في القتال ، فليس من المناسب أن نتخلى عن هذه البلاد بعد هذه الخسائر الجسيمة، ونولى إمارتها للملك الذى كان سببا في إتلافها، وانتقال السلطة من يده إلى " منذلى رائى" ، فلما سمع السلطان مظفر هذا الكلام ، توقف قليل، ثم خرج من القلعة، وأمر السلطان محمود بان لا يسمح لأحد من رفقته بالدخول في القلعة، وألح السلطان محمود كثيرا بان يمكث السلطان مظفر حليم بضعة أيام في القلعة ويستريح، لكنه لم يقبل هذا الطب ، وكشف أخيرا انه قام بهذا الجهاد لمجرد رضا الله ، وقال: انه خشى من كلام الأمراء أن

يدور بخلده طمع في القلعة ويحبط عمله، انه لم يحسن إلى السلان محمود، بل ان محمودا نفسه هو الذى أحسن إليه، بانه كان سببا في نيل هذا الشرف العظيم [1]

والذى استطاع أن يقول في مرض وفاته تحديثا بنعمة الله :

" ما من حديث رويته عن أستاذى المسند العالى مجدالدين بروايته عن مشائخه إلا وأحفظه وأسنده وأعرف لراويه نسبته، وثقته، وأوائل حاله إلى وفاته ، وما من آية إلا وقد من الله على بحفظها ، وفهم تأويلها، وأسباب نزولها، وعلم قراءتها، وأما الفقه فانى أستحضر منه ما أرجو به مفهوم " من يرد الله به خيرا يفقه في الدين " ولى مدة أشهر أصرف وقتى باستعمال ما عليه الصوفية، واشتغل بما سنة المشائخ لتزكية الانفاس عملا بما قبل " من تشبه بقوم فهو منهم " وها انا أطمع في شمول بركاتهم متعللا بعسى ولعل، وكنت شرعت بقراءة معالم التنزيل وقد قاربت إتمامه إلا انى أرجو أن أختمه في الجنة ان شاء الله تعالى"

وفاضت روحه وهو يدعو بدعاء سيدنا يوسف – على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض انت ولىّ في الدنيا والآخرة، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين﴾ [2]

هذا في الملوك، وأما في الوزراء فنجد مثل الوزير عماد الدين الكيلانى المشهور بمحمود كاوان (م886هـ) الوزير العالم الفاضل الذى جمع بين رئاسة الدين والدنيا، وطبقت شهرته الآفاق وانفرد في حسن الإدارة وكثير العبادة وفور التقوى ، وغزارة العلم ، وبلاغة القلم ، وصناعة الانشاء. ومدحه العلامة عبد الرحمن الجامى الشاعر الصوفى المعروف ببيته السائر:

---

1. **" ياد أيام " (تاريخ كجرات) للعلامة عبد الحى الحمينى (أمين ندوة العماء سابقا) نقلا عن : مرآة سكندرى " القصة مبسوطة في تاريخ كجرات للآصفى المعروف بـ " ظفر الواله " والكتاب بالعربية، وكذلك في كتاب " نزهة الخواطر " ج 4 ، وهى مروية في ترجمة من كتاب " رجال من التاريخ للأستاذ على الطنطاوى.**
2. **اقرأ ترجمته الحافلة في " نزهة الخواطر " ج4**

هم جهان را خواجه وهم فقر را ديباجه أوست[1]
آية الفقـــــر ولكن تحت أستـــــار الغنى

ونجد مثل الوزير أبى القاسم عبد العزيز الكجراتى المشهور بآصف خان وزير كجرات المتوفى (961هـ) العالم الأصولى الفقيه المحدث المدرس القدير الذى أفرد علامة الحجاز شهاب الدين بن حجر المكى رسالة في مناقبه وذكر له فيها من الفضائل العلمية ومكارم الأخلاق والاشتغال بالعبادات، والأخذ بعوازم الأمور، ودقائق التقوى ، والعكوف على المطالعة والتدريس ، وتشجيع العلم والعلماء، والإحسان إليهم، وخسن الاستقامة، ما يحير الألباب ويدهش العقول ، ومدحه شعراء الحجاء بقصائدهم ، ورثوه على وفاته وفاته رثاء رقيقا حزينا [2]

ومنهم الأمير الكبير الأديب الشاعر البطل الأعظم صاحب السيف والقلم عبد الرحيم بيرم خان الدهلوي ، قائد قواد الحكومة المغولية في الهند(م1005هـ) الذى اضطر مؤرخا أمينا لا يكيل المدح جزافا أن يقول في ترجمته:

"كان له من النقاوة التامة والشهامة الكاملة وعلو الهمة والكرم ما لا يمكن وصفه مع المعرفة للأدب ومطالعة كتبه، والإشراف على كتب التأريخ، ومحبة أهل الفضائل، وكراهة أرباب الرذائل، والنزاهة والصيانة والميل إلى معالى الأمور حتى لم أجد ممن كان قبله أو بعده[3] من يساويه في مجموع كمالاته "[4]

قال عبد الرزاق الخوافى في مآثر الأمراء :

" انه كان اوحد أبناء العصر في الشهامة والكرم، ماهرا في اللغات المتنوعة، من العربية والفارسية والتركية والهندية وغيرها، وكان يتكلم في كل من تلك الألسنة بغاية الفصاحة والطلاقة، ويقول الشعر الرقيق البليغ فيها.

---

1. .انه سيد سادات العالم ،وجمال للزهد وزينة للتقوى
2. اقرأ ترجمة في " نزهة الخواطر " المجلد الرابع
3. يعنى في الأمراء والوزراء
4. "نزهة الخواطر " ص 318 المجلد الخامس

وعبد الرحيم من الشعراء المعدودين في اللغة الهندية [1] ، الذين لهم في تاريخ أدب البلاد مكان مرموق محترم، ومن فحول شعراء الفارسية.

أظل العالم الإسلامي بعد الغارة المغولية انحطاط في التفكير والتأليف، وفقد الابتكار والإبداع، إلا في النادر، وقد ظهر هذا الانحطاط في شكل واضح بعد القرن الثامن، وبدأ الإعياء الفكرى والاسترخاؤ الأدبي في أكثر نواحيه، ولم ينهض إلا أفذاذ كان لهم انتاج وابتكار ظاهر،

كالعلامة عبد الرحمن بن خلدون ، وعاشت الهند مدة طويلة في عزلة عن هذا الإعياء والعقم، فقد كانت الهند لبعدها عن الغارات التترية ووقوعها في أقصى الشرق الإسلامي من أقل البلاد تأثرا بالهجوم التترى وويلاته، وكانت للجوء كبار العلماء وكرام البيوت إليها لا تزال قوية في الحركة العلمية، وبقى فيها نشاط وانتاج في العلم والتأليف والتفكير مدة طويلة، ووجد فيها في فترات كثيرة رجال يستحقون أن يعدوا من نوابغ الإسلام، ويبدو في مؤلفاتهم وأفكارهم شيئ كثيرة من الابتكار والإبداع والطرافة، والشذوذ عن الأسلوب المألوف المعروف في ذلك العصر، كالشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيرى البهارى(م772هـ) صاحب الرسائل البديعة في التربية وحقائق الشريعة ، والشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولى الله الدهلوى (م1176هـ) صاحب " أسرار المحبة " و "تكميل الأذهان " والشيخ إسماعيل بن عبد الغنى الدهلوى(م1246هـ) صاحب " العبقات " و " منصب الإمامة " الذين يجد القارئ في رسائلهم ومؤلفاتهم كثيرا من الأفكار الطريفة والتحقيقات الجديدة والاستنباطات اللطيفة التى تخلو عنها كتب أكثر معاصريهم

أصبحت الهند لأسباب تاريخيه طبيعية[2]في العهد الأخير مركزا للدعوة الدينية القوية والتجديد الإسلامي في العالم الذى تخطى حدود الهند إلى أقطار أخرى ، ووجد فيها دعاة ومجددون من أفضل الدعاة والمجددين الذين عرفهم تاريخ الإسلام في العهد الأخير قوة ودعوة، ورسوخا في العلم، وعمق تأثير وانتشار رسالة، وتشها بالدعوة الإسلامية الأولى.

---

1. **هى غير الأردية ، وهى لغة الهند التى كان يتكلم بها أهل الهند قبل ان تنتشر لغ اردو.**
2. **شرحنا هذه الأسباب في كتابنا الجزء الثالث من " رجال الفكر والدعوة في الإسلام " الخاص بالامام أحمد بن عبد الأحد السرهندى (طبع دار القلم الكويتية)**

عرفنا منهم الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى (م1034هـ) الذى لقبته الهند بحق " مجدد الألف الثانى " وقد ظهر منه تجديد صلة الشعب الهندى بالإسلام في هذه البلاد، والانتصار للشريعة وحفظها من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وإلحاد المتصوفين الوجوديين[1]، ومن صرف الحكومة المغولية القوية من اللادينية، وتلفيق الأديان ، وإيثارالبرهمية والوثنية الهندية التى اندفعت إليها بتهور وحماس، إلى التدين بدين الإسلام واحتضانه، ولم يكن الملك الصالح المؤمن المجاهد السلطان أورنك زيب عالمكير إلا ثمرة من ثمرات دعوته وجهاده[2]وانتشرت طريقته العلية بواسطة العلامة خالد

اشهرزورى الكردى (م 1242هـ) [3] في بلاد الروم والعرب والحجاز وبلاد الأكراد وسورية وتركيا انتشارا لم يعرف لطريقة.

وكان منهم السيد أحمد بن عرفان الشهيد (م1246هـ) الذى قام بالدعوة إلى الدين الخالص، والجهاد في سبيل الله، وتأسيس الحكومة الشرعية على منهاج الخلفة الراشد، ونفخ روح الجهاد والحماسة والتضحية في الهند، وهبت بجهوده في الهند ريح الإيمان وعادت نفحة من نفحات القرون الأولى ، ولم يعرف مثله في القرون الأخيرة، في قوة التأثير وعلو الهمة ، والحمية الدينية، ولم يعرف مثل جماعته وأتباعه في الصلبة في الدين والاستقامة على الشريعة وحب الجهاد[4] وحسبك ما قال الأمير صديق حسن خان صاحب المؤلفات الشهيرة الكثيرة :

---

1. **الغلاة في عقيدة وحدة الوجود**
2. **تحدثنا عن ذلك قليلا في رسالة " الدعوة الإسلامية في الهند وتتوراتها " وفي الجزء الثالث من سلسلة" رجال الفكر والدعوة في الإسلام " الخاص بالامام السرهندى**
3. **راجع كتاب " أصفى الموارد في ترجمة سيدنا خالد " تأليف الشيخ عثمان و (سل الحسام الهندى لنصرة مولانا خالد النقشبندى) تأليف العلامة محمد أمين بن عمر عابدين صاحب (رد المخقار) (م1252هـ)**
4. **راجع كتاب المؤلف " إذا هبت ريح الإيمان " طبع بيروت**

"ولم نعرف ولم يخبر الناس بوجود رجل يضارعه في كماله في الماضى القريب في قطر من أقطار العالم، والفوائد التى حصلت لخلق من هذه الجماعة المنصورة لا يبلغ معشارها فوائد مصلحين آخرين من شيوخ الأرض وعلمائها[1] وقد أصبحت الهند مركزا في عهدنا للدعوة الدينية العالمية مرة أخرى، وكان داعيها مولانا محمد الياس الدهلوى (م1363هـ) من أقوى الدعاة الذين عرفهم العالم الإسلامي في العهد الأخير،ولم نر مثله – في البلاد التى عرفناها وزرناها- في قوة الإيمان بالغيب، والاعتماد على الله ، وقوة الدعوة والانقطاع إليها والتجرد لها، والنجاح في مهمته، وقد انتشر دعاته وجماعاته في العالم الإسلامي، وهي في نشاط مستمر[2] وغدو ورواح في الأقطار الإسلامية ، وفي أوربا وأمريكتا وأفريقيا واليابان وقد اشعلت هذه الدعوة مجامر القلوب، وألهبت حذوة الايمان في آلاف مؤلفة من المسلمين.

هذه أمثلة قليلة جدا من أعلام الهند ورجالاتها الكثيرين في مختلف ميادين الحياة وأصناف الكمال والنبوغ، وان نظرة خاطف في كتاب " نزهة الخواطر " الذى يتصمن تراجم نحو خمسة آلاف من أعيان الهند ورجاله تدل على غناها وخصبها وانتاجها وكثرة من نبغ فيها، ونهض من أرضها، من أصحاب الفضل والكمال والنبوغ.

ولم تزل ولا تزال خلية الإسلام في الهند تعسل، والشجرة التى غرستها اليد الكريمة المخلصة وسقاها الصالحون من عباد الله بدموعهم.

والمجاهدون في سبيل الله بدمائهم في كل عصر، تثمر وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، وكان في الشعب الإسلامي الهندى في كل جيل وفي كل عصر رجال أثبتوا نبوغهم ، ورجاحة عقولهم، وذكاءهم النادر، ومواهبهم الفريدة، وتفوقهم الذهنى على الشعوب الأخرى، وكان فيه – بعد استقرار الحكم الانجليزى في البلاد رغم جهود الحكومة

---

1. **تقصار جنود الأحرار ص 109-110**
2. **قادة هذه الحركة وأشرف عليها بعد وفاته خلفه البر الراشد مولانا محمد يوسف الدهلوى، وتوفى إلى رحمة الله 1384 هـ) ومركزه نظام الدين في دهلى، وخلفه الشيخ انعام الحسن، ولا تزال الحركة تواصل نشاطها الدعوى والتربوى، وقد انتشر نشاطها في سائر انحاء العالم الإسلامي تقريبا.**

الانجليزية العظيمة في إخماد جذوة الذكاء وتجفيف منابع الثقافة في هذا الشعب الإسلامى[1] – نوابغ في التشريع والقضاء، وفي الإدارة والحكم، وفي علوم الرياضة والحساب، وفي فن التعليم وفلسفته، وفي السياسة وعلم الاقتصاد، وفي العلوم الطبيعية والكيمياء، والأدب الانجليزى ونقده، اق بفضلهم ونبوغهم علماء هذه الفنون في بلاد الاخجليز، وكان منهم خطبا وكتاب، ومؤلفون في الانجليزية، لا يقلون عن أدبائها وكتابها في الاقتداء على اللغة والتصرف في مناهج الكلام وجمال الاسلوب.

وكان فيه قادة سياسيون ، وزعماء ودستوريون وخطبا يوضعون في الصف الأول من القادة السياسيين والزعماء والخطباء في هذ العصر:

وكان فيه شعراء وقادة الفكر الذين كانوا أصحاب إبدا وعبقرية في الشعر، وأصحاب دعوة ورسالة في الفكر، وتغنى بشعرها الإسلامي إيران ، وأفغانستان، وتركيا، وترجم إلى لغات العالم الإسلامي [2]

أما الثقافة العربية فلا يزال الشعب الهندى متمسكا بها ، محافظا عليها، منتجا فيها، وتدل الآثار والقرائن على تكون مدرسة أدبية خاصة فيها، في الأدب العربى والكتابة الإسلامية، تجمع بين البراعة الأدبية والإشراق الروحى، والإيمان العميق والدعوة الصريحة القوية.

كل ذلك يدل علىأن هذا الشعب الإسلامي الهندى – الذى يمر بمرحلة عصيبة في حياته ويواجه مشكلات – صالح للبقاء قائم بالكفاح، وانه صاحب شخصية قوية خالده.

---

1. اقرأ كتاب (W.W. HUNTER OUR INDIAN MUSLMANS)
2. ناهيك شاعر الإسلام الدكتومحمد إقبال الذى نبغ في الهند قبل التقسيم ومات ، اقرأ " روائع إقبال " للمؤلف.

تأثـير الــغـة العــربية

في الــلـغــات الهــنــدية

من مظاهر تأثير المسلمين في ثقافة الهند وحضارتها تأثير اللغة العربية – التى تخصهم والتى حملوها إلى هذه البلاد – في لغات الهند، ولهجاتها وأدبها وحضارتها.

ان تأثير لهة راقية متمدنة في لغة أخرى ليس بدعا من الأمور، ولا حادثا طريفا في تاريخ اللغات والثقافات، ولم تزل الحضارات البشرية في كل طور من أطوار المدنية تتبادل الأفكار والخواطر، والكلمات وطرق التعبير، ولم تزل في أخذ ورد، وإفادة واستفادة، وهذه طبيعة الحياة والرقى، وكل لغة سدت في وجهها أبواب الاستفادة والاستعارة وبقيت متمسكة بتراثها القديم لا تزيد في ثروتها، ولا تضيف إلى قديمها، فقد قطعت صلتها عن المدنية وحرمت نفسها الازدهار والتوسع، وتخلفت عن ركب الحياة، وأصبحت من اللغات الجامدة المحدودة التى لا تسعف الأديب والشاعر، ولا تقضى حاجة الانسان الحى المتمدن.

كنت أعتقد أن اللغة العربية تكون جزءا لا يستهان به من أجزاء لغة " اردو" التى هى مزيج اللغات الأربعة : العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية ووليدها جميعا، ولكنى كنت أحدد القضية في الكلمات العربية التى بقيت على شكلها العربي في " أردو" ، وكنت أحدد القضية في أردو التى لها نسب قريب مع اللغة العربية، ولكن شكرا للقائمين على إدارة الإذاعة الهندية أن اقتراحهم لحديث عن موضوع تأثير اللغة العربية في لغات الهند، أثار في نفسى رغبة في البحث عن هذا الموضوع، وأعترف اننى استفدت كثيرا، وصادفتنى في هذه الرحلة الممتعة شخصيات متنكرة كانت ترتدى الحلة الوطنية، فلما بحثت عنها وحجتها عربية خالصة، وإليكم مذكرة هذه الرحلة الشائقة، والتعارف اللذيد والبحث المفيد.

كان واجبى قبل أن أبدأ هذه الرحلة أن أتأكد من وجود جهاز السفر ونفاقاته، لانى سأجول في انحاء الهند، والبلاد عريضة واسعة فانتقل ذهنى إلى كلمة " دام" التى تستعمل في " أردو " وفي الهندية بمعنى النفقة والمال ، فأذا هى مأخوذة من كلمة (درهم) العرية التى كانت تطلق في معنى المال مطلق ، فيقال: الدرهم والدينار، ثم انتقل ذهنى إلى أجزائه وتفاريقه، فمن تفاريقه الصغرة " كيرانت ثم انتقل ذهنى إلى أجزائه وتفاريقه، فمن تفاريقه الصغيرة " كيرانت " التى لا تزال تستعمل في الأوراق المالية في المقاطعات المتحدة الشمالية الغربية فإذا هى (قيراط) العربية، وبهذه المناسبة تذكرت كلمة (أشرفى) وهي العملة الذهبية التى كانت تستعمل في القديم ، ولا تزال مستعملة في الكلام، وبحثت عنها في التاريخ فرأيت البحار العربي المشهور ابن ماجد اسد البحر يقول في كتابه " الفوائد في أصول البحر والقواعد " والحادى عشر برسى الأشرف ضارب سكة الأشرفى

ونزلت ضيفا في هذه الرحلة عند صديق هندىكريم، أكرم وفادتى وأحسن ضيافتى، وتانق في الأطعمة واستعرضت مائدته السخية فإذامن انواع الأطعمة " فيرنى " وهو رز مسحوق يطبخ مع اللبن الحليب والسكر، وكان يقال له في القديم " المهلبية " وبحثت عنه فوجدت محمد الخوارزمى يذكر في الأطعمة التى كانت تهيأللمرضى الفرانى " وكان يتركب من رغيف يختمر عجينه كان ينقع في اللبن ويضاف إليه السكرز

وكان من انواع هذه الأطعمة " قلية " ويطلق على إدام إذا كان فيه لحم ومرق وخضر، وأصلها العربي " قلية " بالتشديد، وهو من قلى يقلى قليا اللحم وغيره انضجه، وكان بجوار القلية " كباب " وهو من الكب ، وهو القلب على الوجه، ويطلق على الطعام الذى يشوى مقلوبا على النار، وفي المعاجم العربية " كبب : عمل الكباب " وان انس في هذا الصدد فلا انس " شوربه " التى يراد منها المرق وأصلها " شربه " وهى ما تشرب دفعة واحدة.

وعجبت لما سمعت من مضيفيطلب النارجيلة على عادة أهل الهند ويأمر الخادم بتهيئة " سلفة " وهو مصطلح من مصطلحات أصحاب النارجيلة، وفكرت فيها وفي أصلها فإذا أصلها عربي ، والسلفة في لغة العرب ما يعجل الرجل من الطعام قبل الغداء.

ولما انتهيت من الطعام التفت إلى البيت وأثاثه، فوجدت بدهشة أن كثيرا من أجزائه لها أسماء عربية ولا يعرف الناطقون بها أن أصلها عربى صميم، فأول ما استرعى نظرى " الزرية ط التى كنت جالسا عليها ويسميها أهل الهند " قالين ط فوجدت أن أصله " القالى " وهو الفراش المنسوب إلى (قاليقلا) وكانت مدينة على نهاية المملكة الإسلامية، وإليها نسب أبو على القالى ، يقول ياقوت الرومى في معجم البلدان: وتعمل بقاليقلا هذه البسط المسماة بالقالى، اختصروا في النسبة إلى بعض اسمه لثقله.

ومن أثاث البيت ورياشه انتقل فكرى إلى من يرجع إليه الفضل في تكون هذا البيت ووجوده بهذا الشكل الظريف، وهو البناء المتواضع فوجدت انه يسمى في الهندية " راج " وهالنى انها كلمة عربية بتغير حرف واحد ، ففى المعاجم العربية: " الراز : رئيس البنائين، وأصله رائز كشائت وشائك، والريازة حرفة الراز

ومقدم البنائين والحاذقين منهم يسمى في الهند " مسترى " ووجدت انهمحرف من مسطرى، وهو البناء الذى كان يحمل المسطر لتسوية الجدران وتقويمها.

ومن أشغال البنائين والنجارين الخرط والخراط، يقال خرط العود ، يعنى سواه بالمخرطة وخرط الحديد طوله كالعمود ولا يزال مستعملا في أردو فيقال " خراد " وما هو إلا الخراط لفظا ومعنا.

واستعرضت آلات البناء والتصميم فإذا كثير من كلماتها ومصطلحاتها عربي، فمنها " ساهول " وهو حديدة تربط في خيط طويل لتسوية الجدران ، وقد ذكر الخوارزمى آلة في

مفاتيح العلوم وسماها شاقول ، ووصفها بقوله " هو ثقل يشد به في طرف حبل يمده سفلا يحتاج إليهالنجارون والبناؤن "

ومنها " كنى وكونيا " وهو الكونيا ، قال الخوارزمى : " يقدرون بها الزاوية القائمة"

ورأيت البيت مبيضا قد جدد تنويره فتذكرت كلمة " قلعى " التى هى في الهند بمعنى التنوير، ورأيت صاحب لسان العرب يقول :

"والقلعى الرصاص الجيد وقيل هو الشديد البياض، والقلع اسم معدن الذى ينسب إليه الرصاص الجيد ".

ورأيت رجلا واقفا على باب مضيفنا الكريم كالحارس، فانتقل ذهنى إلى كلمة " أحدى " وهو الكسول الذى يكون حلس البيت، يأكل من غير تعب عيالا على غيره ، ومصدره رجل مفرد كان يقف على باب الملوك والأغنياء يحرس بيوتهم ، وكان بطبيعة الحال عاطلا لا شغل له، ويعيش على رواتبهم وفتات مائدتهم، ومن هنا نشأت فكرة " أحدى " يعنى الرجل الكسول الذى يقضى وقته في البطالة.

ودعانى صديقى إلى الخروج للنزهة والتفرج فوثب فكرى إلى كلمة " تماشا " التى يراد منها في الهند وفي كثير من لغاتها المحلية التفرج، فإذا أصلها " تماسى " وهو المشى مع أصدقاء وزملاء للتفرج والتنزه، وقد أصبحت مفتوحة على قاعدةالفاسية فيقولون " تمنا " بدل التمنى و " تماشا ط بدل " التماشى " و " تحاشا " بدل " التحاشى "

ولا يسمع هذا الحديث الوجيز أن يستوعب جميع الكلمات أو نصفها التى تعرفت بها بصفتها كلمات عربية أصيلة صميمة في هذه الرحلة القصيرة، وجزى الله عن أهل العلم أستاذنا العلامة الكبير الدكتور السيد سليمان الندوى رحمة الله إذا بحث في هذا الموضوع بحثا علميا

دقيقا، وعرض أمثلة جميلة من هذا القبيل [1] ولا يزال المجال واسعا امام الباحثين والمنقبين في اللغة بشرط أن يكونوا متوسعين في معرفة اللغتين اللغة الهندية واللغة العربية مطلعين على مصادرها القديمة، يحملون عناء البحث والتنقيب في المعاجم ودواوين العربية، لا يتهورون ولا يسرعون بالحكم، ويرافقون هذه الكلمات في رحلتها الطويلة، من بادية العرب وعواصم العالم العربى إلى صحراء السند، إلى أودية الكنج، إلى شاطئ بحر العرب، وفي جميع أطوارها ومراحلها، وإذا فعلوا رأوا كيف نفذت اللغة العربية في اللغات الهندية وكيف تسربت، وغزت الثقافة الهندية والحضارة الهندية ، حتى امتزجت بلحمها ودمها ، وأصبحت جزءا من أجزائها لا ينتبه لكونها كلمات عربية فصيحة ، إلا أفذاذ من الباحثين وأفراد من المحققين.

---

1. **له هذا الموضوع بحثان في مجموع مقالاته الأدبية، واللسانية ومحاضراته، الذى ساه " نقوش سليمانى "**

الحضارة الإسلامية في الهند

العاملان الأساسيان لتشكيل الحضارة :

ان حضارة المسلمين في كل بلاد وليدة عاملين(FACTORS) ومؤلفة من تأثيرهما وانعكاساتهما، أولهما المعتقدات الدينية، (المبادئ الإسلاميةلحياة والأخلاق) وثانيهما تأثير الحضارات المحلية في البلاد، والاتصال بعناصر السكن الأخرى وآلاختلاطبهم.

أما العنصر الأول (المعتقدات الدينية، مبادئ الحياة الإسلامية والأخلاق) فتشترك فيه حضارات المسلمين في جميع الدول، أن المسل مهما يكن في أى بلد، وفى أى ناحية من الأرض ومهما اختلف ملبسه ولغته، فانه يجتمع في هذا العنصر، ولذلك لا نراهم إلا كأفراد أسرة واحدة

ومتبعى حضارة واحدة في كل مكان ، والعنصر الثانى هى تلك الناحية من جضارتهم التى تميزهم عن إخوانهم في الدين في البلد الآخر فيتبين بها بلدهم الذى ينحدرون منه

ولا يستثنى المسلمون الهندى أيضا من هذا المبدء العام ، فان حضارتهم التى ترعرعت في عدة قرون، مزيج من التأثير الهندى الإسلامي، ويبعث ذلك على الروعة والجمال ويضمن أن لن يعيشوا في البلاد كعابر سبيل أو غريب ، بل أن يعيشوا فيها كمواطنين آمنين، ينسقون بيوتهم حسب مقتضيات الظروف والمتطلبات، والعادات القديمة المتبعة والبيئة الحديثة، بل يزودوا بيئتهم بتحسينات رائعة بديعة، وان أى محاول لتجريد قوم عن أثر ما بعد الطبيعة، والمبادئ الخلقية التى تشترك فيها الشعوب الأخرى من مختلف انحاء الأرض، وإغراءهم بالخروج عليها لمحاولة آثمة لحرمانهم من السمة العالية (UNIVERSALITY)وتجفيف منابع روحانياتهم، وكذلك دعوتهم إلى قضاء الحياة منعزلين عن بيئتهم ومحيط الحياة العلمية ، مخاولة فاشلة وغير طبيعية وغير صالحة للقبول.

ثلاث سمات للحضارة الإبراهيمية :

ونظرا إلى العنصر الأول المشترك (العقائد ومبادئ الحياة والأخلاق) يحمل مسلمو الهند كمسلمى مختلف نواحى العالم حضارة خاصة لا نجد تعبيرا أصح من " الحضارة الإبراهيمية " ولهذه الحضارة ثلاث سمات صبغت نظام الفكر والاجتماع بطابع خاص ولون مميز، ويتجلى هذا الطابع في جميع نواحى حياتهم وأجزائها، لا يخلو منه أى عمل يعملونه عن قصد، وهذه السمات الثلاث الأساسية ، هى الإيمان بوجود الله سبحانه واستحضار ذاته ، وعقيدة التوحيد (كما علمها الانبياء من سلسلة إبراهيم ، وتفصيلها الكامل موجود في اقران) والتصور لشرف الانسان ومساواته بصورة دائما وإجبارية، والذى لا يعيب عن ذهن أى مسلم ، وهذه هى السمات البارزة التى منحت الحضارة الإبراهيمية إزاء حضارات العالم

الأخرى صورة جيدة نيرة ، ولا نجد هذه السمات والمميزات في أى حضارة من حضارات العالم بمثل ما تتجلى في الحضارة الإبراهيمية.

ذكر الله في حياة المسلم :

ان الإيمان بوجود الله واستحضاره دائما، ميزة عامة لا تنفك عنها حضارة المسلمين بأكملها ولا تتخلى عنها ، ونتصور حضارة المسلمين ومجتمعهم كأزياء مختلفة التفصيل والانماط والطراز أثرت فيها أذواق مختلفة وطبائع محلية وأحوال جوية وتأثيرات خارجية، كان هذه الملابس كلها غمست في صغة واحدة، ولم يبق فيها أى جزء لم يصطبغ بتلك الصبغة، فان اسم الله وذكره في حضارتهم ومجتمعهم يحل محل الدم الذى يجرى في العروق، فكل ولد يولدفي بيت مسلم يؤذن في أذنه أولا إثر مولده، والاسم الذى يعرف به ويؤنس قبل معرفة اسمه بنفسه هو اسم الله ، وفي اليوم السابع من مولده يحتفل بعقيقتهعلى طريقة سنها رسول الله ﷺ وتقترح له أسماء إسلامية ويرجع منها اسم يشف عن كونه عبدا، ويثبت وحدانية الله ، أو يسمى باسم أحد الانبياء وأتباعه، ثم تأتىمرحلة التعليم ويؤدى تقليد افتتاح الكتاب ، فيفتتح باسم الله وآيات القران ، وهذه التقاليد والعادات معروفة في مسلمى الهند ، فإذا حان وقت الزواج يذكر اسم الله لعقد قران بين انسان بصورة دائمة، ويعاهدان على محافظة حرمة اسم الله

(واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)

والخطبة المسنونة التى تلقى تذكر فيها نعم الله التى وهبها الانسان من خلقه من سلالة آدم زوجين، ويلقن قضاء الحياة بطاعة الله والموت حسب تعاليمة وأوامره

وهنا مناسبة العيد المبارك السارة ،فيؤمرا المسلم بان يغتسل وينظف ثيابه ويلبس أحسن ملابسه لرفع عظمة الله وتأدية ركعتين شكرا على نعمة الله، ويؤمر في عيد الأضحى بان ينحر باسم الله.

وعندما تأتى مرحلة الحياة الأخيرة الحتمية يلقن فيها اسم الله ، ويكون جل هم كل مسلم ومسلمة أن آخر ما يلفظه لسانه من كلمة تكون اسم الله ، وان يفارق الدنيا وهو يردد ذكره، فإذا نعى المسلمون ينطلق لسانهم بكلمة القران المعروفة والمستعملة في المحاورة الأردية اليومية " انا لله وانا إليه راجعون "

وإذا آن أوان الوداع (صلة الجنازة) يذكر الله أولا وآخرا ، ويدعى لمغفرته والصفح عنه، ويدعو الناس " اللهم من أحييته منا فاحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الايمان " ثم يوضع في القبر في مرقده الأخير ويقرأ بسم الله وعلى ملة رسول الله " ويحول وجهه إلى مركز التوحيد والعبادة العالمى " الكعبة المشرفة " مهما ذفن في أى بقعة من بقاع العالم يكون وجهه إلى الكعبة، وان مربقبره مسلم بعد دفنه استغفر الله له وقرأ الفاتحة علية ، وعلى كل حال لا يفارقه ذكر اله والانتباه إليه في ركب الحياة كلها في كل آن وفي كل مكان.

فهذه كلها مراحل بارزة للحياة، أما حياة المسلم اليومية فلا تكاد تخلو من ذكر الله في كل وقت ، يبدأ المسلم الأكل باسم الله ويختمه بذكر الله وحمده، والذين يعنون بالسنن فأكلهم وشربهم وذهابهم إلى المرحاض كله يكون باسم الله والانتباه إلى ذكره ، ويؤمر بذكر الله إذا عطس ، ويؤمر كل من سمع عطاسه أن يشمته، وفوق ذلك كلمات " ماشاء الله" "ان شاء الله" "لا حول ولا قوة إلا بالله" ليست أذكارا مأثورة فحسب ، بل أصبحت جءا للغة ودخلت في المحاورات اليومية في البلدان التى يقطنها المسلمون منذ زمن بعيد، وأثرت حضارتهم فيها، كلها طرق لذكر الله والانتباه إليه ، ولن ترى مجتمع اى حضارة تزدان لغته وأدبه وحياته اليومية بيقين وجود الله واستحضاره مثل ما نرى في المجتمع الإسلامي، أن هذا اليقين والاستحضار هو أول ناحية عالمية مشتركة لمسلمى الهند أصبحت لهم شعاراولهم علامة.

السمة العالمية الثانية ، التوحيد :

وميزة حضارتهم العالمية الثانية وسمتها عقيدة التوحيد، وهى تبدو واضحة في كل جانب من العقائد إلى الأعمال ، ومن العبادات إلى الاحتفالات، فيؤذن من مآذن مساجدهم في اليوم والليلة خمس مرات انه لا إله إلا الله، وتصان بيوتهم من شعائر الشرك، وطبق مبادئ الإسلام حرمت لهالصور والتماثيل والدمى، حتى تجب مراعاته في ألاعيب الأطفال، واحتفالات دينية كانت أو العيد الوطنى، أو كان يوم ميلاد للقادة السياسيين أو الأئمة الدينيين ، أو احتفال برفع العلم ، فلا يجوز لمسلم أن يطأطئ رأسه أمام التماثيل ، وان يمثل تجاهه متخشعا، أو يقلدها قلادة الزهور فان ذلك يعارض حضارته الإسلامية، وكل مسلم يتشبث بأهداب حضارته الإسلامية ويتمسك بها، بحترز منه وبجانبه في أى بلد كان ، وان تجاوز حدود التوحيد والشريعة الحجازية وتقليد قوم في الأسماء والاحتفالات والقسم ، وتبجيل الصحاء وإكرامهم وإظهار التواضع لهم، يساوى المروق من الإسلام والخروج عليه.

السمة الثالثة عقيدة كرامة الانسان

والمساواة الانسانية :

والميزة الثالثة العالمية للحضارة الإسلامية في الهند هى تصور كرامة الانسان وسيادته وعقيده المساوات الانسانية التى فطر عليها المسلم ورتى بها، فصارت طبيعته الإسلامية ،ومن نتيجة هذه العقيدة الطبيعية أن المسلم لا يعرف الفوارق الطبقية والمنبوذ، فلا يتردد لأياما في ذلك، فيشارك مسلما في أكله ويلح على اناس آخرين أن يؤاكلوه، ويأكل عدة رجال بطيب الخاطر في اناء واحد، ويأكلون سور الآخر من الطعام والشراب، يصلون في المسجد متكاتفين لا تمييزبين شريف ووضيع ، ويمكن لعالم وضيع في النسب أن يؤم الناس، ويلتجئ كبار الأشراف ذووالأحساب والانساب والحكام ذوو المكانة العالية إلى أن يقتدوا بهذا الإمام.

السمات الفرعية :

هناك سمات فرعية للحضارة الإبراهيمية عدا ما أسلفناه من السماة المبدئية والأساسية يتحلى بها جميع المسلمين في العالم، أمثال إعمال اليد اليمنى في الأمور الحسنة وآلأكل بها ، وشرب الماء بها، والإعطاء وألأخذ بها ، وقيود في اللبس، مثل أن يكون اللباس ساترا وستر الركبتين وكشف الكعبين ، وتحريم الحرير على الرجال ، والعناية بالطهارة ، وترى التمسك بهذه القوانين والقيود والعض عليها بالنواجذ في كل مكان تبقى فيه الحضارة الإسلامية في صورتها الأصيلة، وأما الخروج عليها فهو ينتج عن ضعف الحضارة الإسلامية والتأثير الخارجى

موقف المسلمين إزاء الفنون الجميلة :

ومن ميزات هذه الحضارة ورزانتها وحب الحق ، وموقفها الحازم، وجهة نظرها المعتدلة إزاء الفنون الجميلة وتقديرها للصفاء والجودة، والنظافة والجمال، غير أن هذه الحضارة تحرم بعض ما تسميه أوربا من الفنون الجميلة (Fine Arts)مثلا الرقص ، ورسم صور الحيوانات ونحت التماثيل، كما تأمر بالحذر والاعتدال في بعضها ، مثلا الغناء واللحن، ويجوز أن يمتمتع به طبقا لبعض القيود الخاصة، اما الانهماك فيه فيعارض روح الحضارة الإسلامية وأهدافها وغاياتها، وتضر بخشية الله والاهتمام بالآخرة ومعياره الخلقى الذى يرجى من مسلم أن يتصف به ، ولو لم تكن هذه المحاسبة من الشريعة الإسلامية ورقابتها لما كان المسلمون قائمين على مركز الاعتدال الذى يمتازون به من بين الشعوب التى كانت ولا تزال معروفة بشغفها بالفنون الجميلة التى هى جزء من عبادتها منذ قديم.

الأخلاق الإسلامية :

ومن أخلاق الإسلام التى أثرت في حضارة المسلمين بوجه خاص، ومنحتها وحدة وتماثلا عالميين ، القرى ، وسعة الصدر ، وإطلاق اليدين ، وانما ذلك ذوق طبيعى ونفسية

خاصة لمؤسس هذه الحضارة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد خص الله ذكره في القران عندما ذكره (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين)

وفي سائر الأمم والشعوب التى تتصل نسبا أو عقيدة بسيدنا إبراهيم عليه السلام ، وتتأثر بحضارته ، يتجلى الاتجاه العام القوى للضيافة والقرى، الذى لفت انتباه كل مؤرخ ورحالة في كل عصر، فسجلوها في مذكراتهم وانطباعاتهم.

ونرى اليوم أيضا لمعة هذه الضيافة القديمة في مجتمعات الشرق الأوسط التى لم تفقد شخصيتها المميزة رغم الحضارة الغربية، أن الحفاوة التى قوبل بها ابن بطوطة وابن جبير وضيافتهما انستهما الشعور بالغربة في السفر، ويمتاز المسلمون الهندو اليوم مع كونهم بعيدى العهد عن مركز الحضارة والدعوة الإسلامية ، بضيافتهم وذوقهم من بين الشعوب الأخرى وسلسلة الضيوف في البيوتات الإسلاميةعادة تستمر اليوم بأقدار مختلفة، ورغم تأثير الاقتصادية يتهلل وجه كل مسلم بقدوم الضيوف وير استضافته سعادة له وسمة من سمات الإسلام.

تأثير الهند فى الحضار الإسلامية :

من المعالم والآثار التى تتجلىفي حياة المسلمين وحضارتهم بوجودهم فيها وتوطنهم منذ قديم، وتأثرهم بالمجتمع الهندى واتصالهم بشعوب مختلفة، لغة " أردو " الفصيحة السهلة السلسلة وهى مزيجة من الكلمات العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية... وهو معروفة بدقة الخيال والعذوبة والفارسية والتركية والسنسكريتية... وهى معروف بدقة الخيال والعذوبة والجدة، والثانى زى الأشراف وأهل البلدان الذى من متبكرات الهند ، ويشكل نمذجا رائعا للذوق الحسن وجمال الأسلوب والمجتمع والحضارة اللتين تكونتا في دلهى ولكناؤ وحيدرأباد والبلدان الرئيسية في العصر المغولى الأخير، يبدو فيها الذكاء والظرف والاناقة والثقافة جنبا

إلى جنب، والاحترام البالغ للوالدين ومبادئ الأدب والحياة الخاصة أمامهما، ومبالغة انساء في التستر، والقوانين الخاصة لحياتهن ، هذه خصائص يجهل كثيرا منها مسلمو الدول الأخرى وهى من معطيات شؤون الهند الخاصة ومصالح الطبقة الحاكمة والتأثيرات القديمة بصورة عامة.

ثم الحرص على المصاهرة في نفس الأسرة وذوى انسابهم وأكفائهم، وعدم خروجهم عن نطاق الأسرة الخاصة ومعاييرها من ميزات الحصارة الإسلامية في الهند، أثرت فيها كثيرا المثل النسبية الهندية وتفريق الأسر والسلالة والقبائل بصورة دائمة، ومسلمو خارج الهند الذين لا يهتمون في العلاقات العائلية إلا بالشرف والمنزلة ولا يلتزمون بالتزوج في أسرة وعشيرة واحدة، ينظرون إلأى مسلمى الهند بنظرة يملؤها الإعجاب والدهشة، ويرونها ميزة للهند، أن الاعتناء المفرط بمراسيم الزواج والحزن، والاحتفالات ، والانفاق في مناسبات خاصة فوق الطاقة والحشمة، والبذخ، تعد كذلك من خصائص الحصارة الهندية والمجتمع الهندى، تأثربها المسلمون في هذه البلاد، رغم أن المنهج الإسلامي يقضى البساطة في مثل هذه الأمور.

وكذلك التمييزبين السيد والخادم كانهما من جنسين مختلفين ومعاملتهم كمعاملة المنبوذين في بعض الأحيان، كلها من رواسب الخضارة الإسلامية في عهد الانحطاط في الهند، ونتيجة لنظام الإقطاعية وتصورات الحاكمية وتأثير الحضارات الأخرى ومن خصائص الهند، وكذلك التفريق5 الدائم بين القبائل على أساس المهن والحرف.

قد اتجفت الهند وتراثها الحضارى والتمدنى للمسلمين بهدايا ثمينة لا تنفك عن الحضارة الإسلامية الهندية، وانها ملك يفتخر به ولا نجد له نظيرا في الدول الإسلامية الأخرى، وهى مقاومة مسلمى الهند لتيارات الحضارات الغربية ، وصمودهم في وجه غزوها العدوانى بنجاح وقوة، وحفظهم لكيانهم وشخصيتهم الممتازة ، وتفكيرهم العميق وتصوفهم ، وكل ذلك نتيجة مختلف العوامل الاجتماعية والفكرية والحضارية التى ظلت تستمر جذورها في هذه البلاد منذ

قرون، فوضعوا أساسا لحضارة هندية إسلامية بديعة، وأوجدوا طبيعة كانت عصارة الحضارة الإسلامية العالمية والحضارة الهندية وفلسفتها في وقن واحد.

وكذلك قبلت التصورات والأخلاق الإسلامية، تطورات وتغييرات اقليمية، ومع انها قليلة بالنسبة إلى الحضارات الواردة الأخرى، والأمم الظافرة التى اتصلت بالحضارة الهندية القديمة، أثارت مسلما متألما وحساسا في العصر الأخير مثل الشاعر الإسلامي الكبير خواجه ألطاف حسين حالى فعاتب الهند على ذلك [1] والحقيقة أن مجرد تأثير حضارة في حضارة وعدم تأثرها بها حادثة يندر نظيرها في تاريخ العالم فانه لا يطابق فطرة الانسان والمصلحة، فان الحياة الانسانية تعترف بالمبادئ النبيلة للأخذ والعطاء، وفي ذلك يمكن سرتقدمها وارتقائها وسعتها وتنوعها.

---

1. راجع قصيدته " شكوه هند " (عتاب الهند) في ديوانه

الحركة العلمية القديمة في الهند مراكزها ومزاياها

منهج التعليم القديم ومراكزه العلمية :

ان تاريخ منهج التعليم وأعداده ، وأدواره التى مربها وتطوره في العهد الإسلامي طويل وعسير كذلك، فان متابعة هذه المراحل التعلمية تتطلب تحليل الظروف الممتدة إلى ثمانية قرون ، وتنتشر مواد هذه الدراسة ومصادرها في كتب التراجم والتاريخ والسير وأقوال السلف الصاحين ومذكراتهم، كما يطول تاريخ أساتذة هذا المنهج، والذين رسموا هذه الخطة التعليمية، والمعاهد التعليمية التى قبلت هذا المنهج الخاص، فقد أمس الأمراء المسلمون، والسلاطين المسلمون، ومحبو العلم والأغنياء والذين قاموا بتمويل هيذا المنهج وإدارته، مدارس في القرى ، والمديريات وانشأوا شبكة للمدراس، ولا يوجد اليوم وسيلة لا ستقصاء هذه المدراس، واستخراج تفاصيلها [1] وليس في وسع هذا الكتاب كذلك استقصاء الثطورات التى طرأت على هذا المنهج التعليمى في مختلف العصور، والتعديلات التى أجريت فيه حسب الظروف والمقتضيات، والأسرا والأماكن التى احتلت المكانة المرموقة، والرئاسة، ومحل القيادة في تسيير هذه الشبكة وترقيبها، وانه لموضوع يتطلب تأليف كتاب مستفيض محقق ، ونقدم هنا تلخيصا بإجراء بعض تعديلات يسيرة لمقال كتبه العلامة عبد الحى الحسنى أحد كبار مؤرخى العصر الإسلامي في الهند، ويكشف المقال عن بعض مزايا هذا النظام الذى ساد البلاد كلها، ومراحل تطوره التى إغفلتها كتب التاريخ العام فيقول في مقاله : [2]

" ان التاريخ يدلنا على أن العلم وصل إلى هذه البلاد مع الغزاة، وان كل تغير أو تحول وقع في بلاد ماوراء النهر والعراق حينا بعد حين اثر على منهج التعليم السائد في الهند كذلك.

---

1. وقد بذل العلامة عبدالحى الحسنى في كتابه الجليل " جنة المشرق " جهده للتنقيب عن هذا النظام السائد، الذى تشير إليه كتب السير والتاريخ بصورة غير مباشرة ، تبلغ عدد المدارس المذكورة في الكتاب والمعرفة فيه 103 مدرسة ، ويجدر بالذكر ان هذه المدارس تضم مدرسة نسائية أيضا، وكان من مساعدى هذه المدارس وممديها عدد من الأميرات أيضا

2. مجلة " الندور " (العهد الأول 1909ج 6عدد 1) وقد أفرد هذا المقال للنشر باسم " منهد التعليم في الهند وتطوراته "

السند وملتان :

لقد استنارت صحراء السند وملتان بالعلم قبل كل بلد آخر وامتد بريق العلم إلى أن شمل الهند كلها بنوره، وقد استفاد ملوك غزنين بهذا النور وسبقوا إليه عندما حولوا لاهور عاصمة للهند.

دهــلى :

وتدفق العلماء ورجال لافن إلى دهلى عندما نالت العلوم التشجيع من البلاط بعد فتح دهلى ، فاجتمع عدد من العلماء العباقرة في هذا البلد، فأصبحت المدينة موردا عذبا للعلم يرد إليه المتعطشون للعلم ورواده من كل فج عميق للتعليم والاستفادة.

فكانت دلهى في عهد غياث الدين بلبن ، وكل بقعة منها تمثل مآثر قرطبة وبغداد ، وتحيى ذكرياتها لوجود أفذاذ من العلماء مثل شمس الدين الخوارزمى ، وشمس الدين قوشجى ، وبرهان الدين البلخى، وبرهان الدين البزاز، ونجم الدين الدمشقى ، وكمال الدين زاهد ، وغيرهم من كبال العلماء.

وفي عهد علاء الدين الخلجى اجتمع في المدينة علماء يزيد عددهم على 46 عالما، أمثال ظهير الدين بهكرى، وفريد الدين الشافعى، وحميدالدين مخلص ، وشمس الدين ، ومحى الدين الكاشانى، وفخرالدين البانسوى، ووجيه الدين الرازى، وتاج الدين القدم ، وذكر المؤرخ ضياء الدين البرنى المشهور بتاريخه، انه لم يجتمع مثل هذه النخبة من العلماء في بلد آخر في العالم.

وكان في عهد محمد شاه تغلق علماء أمثال معين الدين العمرانى ، والقاضى عبدالمقتدر، ومولانا خواجكى ، والشيخ أحمد التهانيسرى الذين ربوا مثل الشيخ شهاب الدين الدولة آبادى ، فصار ملك العلماء ، فكان يشار إليه بالبنان وتشد إليه الرحال.

ووصل في عهد فيروز شاه الشيخ جلال الدين الرومى ، وأسند إليه منصب عميد المدرسة الملكية، ووصل في نفس العهد الشيخ نجم الدين السمرقندى، فسقى البلاد تعلمه، وروى المسترشدين

وفي عهد سكندر لودى وصل إلى ملتان الشيخ عزيز الله التلنبى ، والشيخ عبدالله، فرفعا مسوى علم المنطق والفلسفة وعززا المنهج وحسناه.

وفي عهد الملك التيمورى أكبر قدم الشيخ فتح الله شيرازى الملقب بعضد الملك، وطار صيته في البلاد، وفي نفس العهد نال فن الطلب الأهمية القصوى بورود الطبيب شمس الدين ، وابن أخته الطبيب على الكيلانى، كما خدم الشيخ عبدالقث علم الحديث فطبق الآفات.

وفي عهد شاهجهان وعالمكير، لمع نجم ميرزاهد ، فسخر القلوب ، وبهر العيون بمباحثه ومناقشاته، ونكته الدقيقة فصار يعد كانه مؤسس منهج التعليم النظامى، فكان من تلاميذه قاضى مبارك، واسرة الشيخ ولى الله الدهلوى الشهيرة التى تضم الشيخ عبدالعزيز، والشيخ رفيع الدين ، والشيخ عبدالقادر، والشيخ عبدالحى، والشيخ محمد إسماعيل ، والشيخ محمد إسحاق، والشيخ رشيد الدين، ومن تلاميذ هذه الأسرة النجباء المفتى صدرالدين خان ، والشيخ مملوك العالى الذين يعدون أساتذة الهند، وشيوخ العصر، ويرجع إليهم أصل جميع نظم التعليم المعاصر.

لاهـــــور :

احرزت لاهور قصب السبق في العلم وازدهاره، ولكن تطور دهلى أخمد جركة العلم في لاهور لبعض الوقت، ثم استعادت لاهور دورها فازدهرت العلوم فيها بوصول جمال الدين تله، ومكال الدين الكشميرى، والمفتى عبدالسلام، والملا عبدالحكيم السيالكوتى، وأمثالهم من مشاهير العلم، فتوجه إليها ألوف من طلاب العلم وخطابه، واغترفوا من هذا المنهل.

جونبـــور :

انجبت جونتور برعاية وتشجيع السلاطين الشرقيين ، علماء أمثال الشيخ أبي الفتح شهاب الدين الدولة آبادى، والشيخ إله داد، والشيخ محمد أفضل أستاذ الملك، والعلامة محمود صاحب " الشمس البازغة " وديوان عبدالرشيد، والمفتى عبدالباقى ، وملا نورالدين، ففتحوا البلاد كفها بعلمهم، وطبق صيتهم الأرجاء كلها.

كجـــرات :

ونبغ في كجرات الشيخ محمد طاهر الفتنى صاحب " مجمع بحار الانوار " والشيخ وجيه الدين العلوى الكجراتى وملا نوراالدين، وغيرهم ، فرووا شجرة العلم، وفى هذه العهد ترعرع القاضى ضياء الدين من سكان نيوتنى في كنف الشيخ وجيه الدين ، ونال التربية منه في كجرات، وانتقل إلى وطنه بعد نبوغه في العلم، فاستفاد منه العلامة لطف الله، ونبغ في تلامذته الشيخ أحمد صاحب " التفسيرات " الأحمدية " و " نور الانوار " المعروف بملاجيون ، وملا على أصغر، وملا محمد أمان ، وقاضى عليم الله، وكان كل منهم رئيس مذهب وطريق، وانتهت إليهم رئاسة التدريس في عهدهم.

إله آبـــاد :

وفي إليه آباد رفع رأية العلم والتدريس الشيخ محب الله ،وقاضى محمد آصف، والشيخ محمد أفضل ، والشاه خوب الله، والشيخ محمد طاهر ، والحاج محمد فاخر زاير، والمولوى

بركت، والمولوى جارالله، وعلماء آخرون خدموا العلم فتنفقت سوقه على أيديهم مائة سنة تقريبا.

لكهنـــؤ :

واذ تقلت هذه التحفة السنية أولا إلى لكهنؤ من جونفور بفضل الشيخ أعظم أبو البقا الكرمانآ ثم تولى هذا المنصب الشاه بير محمد، وكان تلميذه غلام نقشبند، فوسع مجال الإفادة، وجذب الانظار وذاع في عهده صيت الشيخ قطب الدين السهالوى، الذى كان عالما كبيرا مشهورا في طريق الشيخ عبدالسلام الديوى، والشيخ محب الله الاله آبادى، وبعد شهادة الشيخ قطب الدين خلفه في نشر العلم وتخريج الطلبة ولده ملاّ نظام الدين ، وانتهت إليه الإمامة في التدريس وتربية الأساتذة، وتحولت كلهنؤ إلى مركز نشاط علمى، فأعد منهجا للتدريس قبلته جميع المدارس قبولا عاما مرضيا، ونبغ في أسرته ملا حسن ، والعلامة عبدالعلى المعروف ببحر العلوم ، وملا مبين ، والمفتى ظهورالله ، ومولوى ولى الله ، والمفتى محمد أصغر ، وامفتى محمد يوسف ، والمولوى نعيم الله ، والمولوى نور الله ، والمولوى عبدالحكيم، والمولوى عبذالحليم، والعلامة عبدالحى، وأمثالهم، فكان كل عالم منهم نابغة عهده وفريد نوعه ، يندر مثاله في أسرة أخرى.

المناطق الريفية فى شمال الهند :

ولم يأل أحد من هؤلاؤ العلماء الذين تتلمذوا على شيوخ هذه الأسرة العلمية جهدا في نشر العلم، فانتشروا فى الأرض، وجابوا البلاد، فكان ممن حملوا لواءه الشيخ قطب الدين الشمس آبادى، وقطب الدين الكوبامئوى، ومحب الله البهارى، وأمان الله البنارسى، وملا كمال الدين، ومولوى بركت، ومولوى حمدالله ، ومولوى ياداالله، ومولوى فضل أمام ، ومولوى فضل حق ، وفلذة كبدة المولوى عبدالحق، كانوا جميعا كباقة زهور في هذه الحديقة العلمية.

فانتشر العلم في سائر انحاء ولاية الهند الشمالية المعروفة في ذلك العهد بـ " أودهـ " ونفقت سوقه، فلم يبق مكان إلا وقد استنار بالعلم والمعرفة، وكانت أهم هذه الأماكن جائس،

وهرجام ، ونيوتنى، وكويامئو، وبلجرام ،وسنديه، وكاكورى، فقد انجبت هذه الأماكن العلماء بكثرة لا يوجد مثيلها في أماكن – أخرى

أدوار مختلفة لمنهج التعليم :

ويجدر بنا أن نقسم مراحل المنهج التعليمى إلى أربعة أدوار توخيا للسهولة، أو أن نجمع هنا تفاصيل الكتب الرائجة في ضوء ما تذكرة طبقات المشائخ والشعراء، والمذكرات، أو مجموعات الكتب والخطب [1]

الـــدور الاول :

يبدأ من القرن السابع الهجرى وينتهى في القرن العاشر حيث بدأ الدور الثانى، فكانت دراسة الفنون الآتية لازمة في هذا الدور ، وهى الصرف ، والنحو، والبلاغة، والفقه، واصول الفقه، والمنطق، والكلام، والتصوف، والتفسير، والحديث.

وعندما ندرس أحوال العلماء في هذا الدور نرى أن الفقه وأصول الفقه كان مقياس الفضيلة كما يعتبر المنطق والفلسفة مقياس العلم في هذا العصر.

الـــدور الثانى :

وصل الشيخ عبد الله والشيخ عزيزالله من ملتان في أواخر القرن التاسع الهجرى [2] واستوطن الشيخ عبدالله دهلى ، والشيخ عزيز الله سنبهل ، ورحب بهما الملك سكندر لودهى ترحيبا حارا، حتى أن الملك نفسه كان يحضر مجلسهما، وكان قد بلغ من احترامه وإجلاله لهما انه كان يجلس في زاوية من المسجد لكيلا يحدث قدومه اضطرابا في مواصلة الدرس، وكان يستمع إلى مصاضرة الشيخ باهتمام وشوق، ثم يتشرف بلقاء الشيخ عبدالله بعد انتهاء الدرس.

---

1. **حذفنا أسماء كتب المنهج التعليمى لانها لا تخص إلا برجال الفن، فمن أراد التفصيل فليراجع مقدمة " الثقافة الإسلامية في الهند**
2. **كلاهما كان من سكان تلنبه الواقعة في ضواحى ملتان.**

وذاع صيت الشيخين بسرعة ف انحاء اهند لما كان يتمتعان به من تفوق علمى، ويتصفان بكمال وفضل مرموقين، وبتميزان بهما عن أقرانهما ، ولتشجيع الملك، وأجريا تعديلات في منهج التعليم، ورفعا مستوى الفضيلة ، فأدخلا من مؤلفات القاضى عضد الملك، المطالع والمؤاقف ، وكتاب مفتاح العلوم للسكاكى، فأصبحت هذه الكتب متداولة بسرعة.

وفي هذا العهد نالت شروح المطالع والمواقف [1] القبول العام بمساعى تلامذة مير سيد شريف كما أدخل تلامذة تفتازانى كتاب المطول والمختصر [2] والتلويح [3] وشرح عقائد نسفى [4] .

وضم المنهج في نفس الفترة شرح الوقاية [5] وشرح ملا جامى [6] .

وارتحل إلى الحجاز أكبر عالم في عصره وهو الشيخ عبدالحق المحدث من الهند، ومث في الحجاز ثلاث سنوات وأكمل دراسة الحديث النبوى الشريف على علماء الحرمين الشريفين، ونقل هذه الثروة العلمية ، فعكف هو وأولاده النبغاء على نشر هذا العلم ، ولكن لسوء الحظ لم ينل هذا العلم القبول في عهدهم ، فكان هذا الشرف حليف الشيخ ولى الله الدهلوى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

1. **كتاب في المنطق للمنتهين**
2. **في فن المعانى والبيان، ولا تزال هذه الكتب مدرجة في المنهج**
3. **في أصول الفقه**
4. **في علم العقائد**
5. **في الفقه الحنفى**
6. **كتاب في النحو مزيج باستدلا منطقى**

الــدور الثالث:

كان التغيير الذى حدث في منهج التعليم في الدور الثانى قد أثار آمال الناس وطموحهم ورفع مستوى العلم، فطمحوا إلى رفع هذا المستوى إلى درجة إلى ، فكان دوم الشيخ فتح الله الشيرازى باعثا جديدا، وحافزا على التقدم في التعليم في المعاهد التعليمية ، ولقبه البلاط الأكبرى بعضد الملك، فقبل العلماء التعديلات التى أجراها الشاه فتح الله الشيرازى في المنهج الدراسى.

من الظلم أن ننسى في هذه المناسبة خدمات الشيخ وجيه الدين العلوى الكجراتى، فقد كان هذا الرجل الصالح تلميذا للباحث المحقق الدوانى بطريق واحد، فأدخل في المنهج مؤلفات المتأخرين ، فلم تكن منطقة كجرات وحدها المتمتعة بهذا السيل العلمى ، بل وصلت روافده إلى الهند الوسطى، وقد كان القاضى ضياء الدين من سكان نيوتنى فنقل هذه الثمرة إلى هذه المنطقة من كجرات، فجناها الشيخ جمال ونشر هذه التحفة إلى أقصى المناطق، وكان الملا لطف الله تلميذا رشيدا لشيخ جمال، فقرأ عليه ملاجيون صاحب " نورالانوار " وملا على أصغر، والقاضى عليم الله وملا محمد زمان ، وغيرهم من العلماء ، وكان كل عالم منهم صاحب مدرسة وسلسلة، ولكن لم ينل هذا المنهج القبول العالم إلا بجهود العلامة فتح الله الشيرازى الذى انتشر تلمذته وتلامذه تلامذته في انحاء الهند المختلفه، وروّجوا هذا المنهج.

كان المفتى عبد السلام من أجل تلمذة فتح الله وقد درس أربعين سنة في لاهور، وأفاد الوفا من طلاب العلم، ولكن لم ينل الشرف العلمى، والخلود العلمى إلا بضعة طلبة من ألوف منهم ، وكان من هؤلاء الأمجاد الذين نالوا هذا الشرف والامتياز، الشيخ محب اله من إله آباد، والمفتى عبدالسلام من ديوه، فقرأ على اشيخ عبدالسلام في لاهور وانشأمركزهما، وكان الشيخ قطب الدين السهالوى تلميذا لهما بواسط واحدة، وهو والد الشيخ نظام الدين مؤسسى المنهج النظامى الشهير.

كان الشيخ ولى الله (م1176هـ) آخر وأشهر عالم لهذا العصر ، وقد زار الشيخ ولى الله الدهلوى الحجاز. وقرأ الحديث الشريف على الشيخ أبى طاهر المدنى عدة سنوات وأكمل الدراسة ، ثم نقل هذا العلم إلى الهند، وعكف على نشره وخدمته ونشط فيه فخلف أثرا خالدا، ولا يزال لمس رغم كساد السوق، ولا أكون مبالغا إذا قلت أن درس الصحاح الستة وتدريسها في الهند مدين كليا لخدمته، ويرجع أصله ألى عهده، وقد بذل الشيخ ولى الله وخلفه الصالحون البررة حياتهم كلها في خدمة هذا العلم ونشره.

وأعد اشيخ ولى الله الدهلوى حسب ذوقة وفكره منهجا جديدا ولكن مركز الثقل العلمى في ذلك العهد كان قد انتقل لأسباب سياسية من مدينة دهلى إلى لكهنؤ حيث نال المنطق والفلسفة قبولا وأهمية، فلم يحظ هذا المنهد بالقبول والشعبية.

الـدور الرابع :

يبدأ الدور الرابع من القرن الثانى عشر الهجرى ، وقد قام بتأسيسه الشيخ نظام الدين بقوة وعزم وهمة، ففاق جيمع المناهج وقهر الألباب، فلم يناهضه منهج آخر، ولا يزال يحتفظ بقوته وجاذبيته ولم نيقص منه شيئ. [1]

---

1. هذا الحكم كان يطبق على الظروف السائدة قبل خمسين سنة ، وقد قادت ندوة العلماء حركة تغيير المناهج الدراسية وملكت جهود القائمين بها بالنحاح وأخذت المعاهد تعيد النظر في مناهجها الدراسية وتجرى تعديلات جوهرية فيها

مزايا منهج التعليم القديم

لم يكن نظام التعليم القديم منزها عن النقائص ومواطن الضعف كليا، فقد كانت عدة نواحية تحتاج إلى الإصلاح والنقد والتنقيح من الناحية الفنية، لكنه كان يحمل بعض خصائص ومزايا خاصة بفضل ما كان يتسم به المئولون عنه والداعون إليه من صفات شخصية وروح دينية وكبيعة امتيازية، فسرت إلى ذلك النظام تلك الخصائص الشخصية التى تعوز النظام الجديد للتعليم، ونذكر فيما يلى بعض هذه الخصائص البارزة التى نجدها منتشرة في كتب التاريخ، وقد انتقلت هذه الخصائص جيلا بعد جيل إلى طبقات المعلمين، والمدرسين، وتلامذتهم

الإخلاص والإيثار

كانت الميزة الكبرى التى كان يتسم بها الأساتذة في العهد الماضى والتى كانت شعارهم الخاص، هب الإخلاص والايثار، وحيث أن الثواب في ألآخرة للتعليم والتعلّم والفضيلة الدينية للمعلم والأستاذة كان مرتسما في مخيلتهم، أصبح ذلك عقيدتهم وجزءا من إيمانه ، فكانت أغلبيتهم الغابة تسعى من وراء التعلم والتعليم إلى نيل مرضاة الله،

وحصول الثواب والأجر في الآخرة، وكان يعتبر هذا الشغل أفضل عبادة وسعادة عليا لها، فخذ عدد كبير من هؤلاء الطالبين للعلم آيات الإيثار والزهد، والعيش بالكفاف، والتركيز الكامل على شغلهم العلمى، يقاسون في ذلك الجوع والفقر، ويحتملون كل مكروه ومضايقة بطيب الخاطر ، وان تاريق العلم وطبقات العلماء في الهند، حافل بذكر هؤلاء الأساتذة العظام، وزهدهم في الحياة وإيثارهم ، والفقر والجوع الذى احتملوه في حياتهم، وابتعادهم عن ملذات الحياة، ومن بين القصص المؤثرة للإيثار وتحمل المكروه نورد هنا قصة غريبة تدل على ما أسلفنا.

يحكى مؤرخ الهند مولانا غلام على آزاد البلكرامى في " مآثر الكرام " قضة لمحدث بلكرام الشهير، والستاذ الكبير مير سيد مبارك (م1115هـ) نقلا عن أستاذه مير طفيل محمد:

" حضرت مرة في مجلس مير مبارك، وكان قد نهض من مجلسه للوضوء، إذا زلت قدمه وسقط ، فأسرعت إليه واخذت بيده، وأردت أن أجلسه، وقد أغمى عليه، فلما أفاق سألته عن سبب هذا الضعف والنقاهة ، فلم يقل كلمة وظل صامتا، فلما أصررت عليه، فالإنه لم يأكل لقمة واحدة منذ ثلاثة أيام، ولم يتضح أمر مير مبارك على أحد ، لأنه كتم أمره، ولم يقل شيئا من أحد ، وقد أثر ذلك على نفسى ورق له قلبى، فذهبت إلى بيتى واحضرت لأستاذى طعام كنت أظن أنه مرغوب لديه، فلما رأى الخوان بين يديه أظهر سروره ودعالى بيخر، ثم قال بارك الله فيك وفي طعامك، ولكن هل تقبل عذرى فيه يا ولدى؟ ، ثم قال بعد برهة : إنه طعام إشراف لما اصطلح عليه الصوفية، ولو أن مثل هذا الطعام مباح باعتبار الفقه. وأن اشريعة تبيع أكل الميت بعد ثلاثة أيام من الجوع ، لكن في مذهب التصوف والزهد لا يجوز أكل طعام الاشراف[1]

سمعت كلام أستاذى فلم أقل شيئا، ورجعت عن مجلسه، وحملت الخوان ، وتوقفت برهة على الباب وانتظرت، ثم عدت ثانية أحمل السينية فوق رأسى وقلت، هل كنت يا سيدى تتوقع هذا الطعام بعدرجوعى؟ قال لا ، قلت إذ لا حرج الان في تناوله، وأعجب أستاذى بكلامى وحجتى، وقال لقد علبتنى بذكائك وتأويلك، ثم أكله برغية وشوق[2]

ان هذه القصة رغم كونها غربية وغير عادية، ليست فريدة من نوعها في تاريخ الهند العلمى والدينى، الذى هو حافل بقصص الأساتذة وزهدهم وقناعتهم، حتى ان الفقر والجوع أصبح ميزة هذه الطبقة وطبيعتها[3]

---

1. **طعام الإشراف هو الطعام الذى أشرفتإليه النفس وتوقعه الآكل**
2. **مآثر الكلام ص 96-97**
3. **نزهة الخواطر 1-2، ومآثر الكرام للبلكرامى، وتذكرة علماء الهند للشيخ رحمن على ، و " نظام تعليم وتربيت " للعلامة السيد مناظر أحسن الكيلانى**

ولا تقل أثرا قصة أخرى تدل على الإيثار والعمل بأخلاص وتركيز كامل للمعلمين، يرجع عهدها إلى القرن الثالث عشر للهجرة

" كان الشيخ عبدالرحيم (م1234هـ) يدرس في رامبور ، وعرض عليه والى منطقة " روهيل كهند " الانجليزى المسترها كنس منصب التدريس في كليه " بريلى " براتب شهرى يبل مأتين وخمسين روبية (تقدر قيمته الا بأكثر من ألفى روبية) ووعدهبان راتبه سيزاد فيه ويرفع مستواه، فاعتذر قائل بان إمارته تدفع إليه عشر روبيات، وستوقف هذه المنحة، فقال له هاكنس : إنه عرض عليه أضعاف هذا القدر وما عشر روبيات أمام مأتين وخمسين روبية؟ فقال: ان في بيتى شجرة سدر حلوة وهى محببة إلى كثيرا، فكيف السبيل إليها في بريلى؟ ولم يتطرق ذهن هذا الانكليزى إلى حقيقة الأمر الذى كان يدور بخلد الشيخ فقال: إنى سأرتب لإيصال ثمرة هذه الشجرة إليك في بريلى ، فقال إن لى تلاميذ في رامفور، فكيف أتركهم ،وسأحرم فرصة خدمتهم، وحاول الانكليزى إقناعه، فقال : إنى سأقدم إليهم المنح الراسية وسيواصلون دراستهم في بريلى ، ولم يبق في جعبة الشيخ إلا بهمه الأخير، فأطلقه وقال : صحيح ما تقول ، ولكن ما يكون جوابى يوم القبامة على الارتزاق بالتدريس؟ [1]

التكريس على العمل :

ان انهمال الأساتذة والمعلمين في العهد الماضى في تدريسهم واستغراقهم فيه كان قد بلغ أقصى حد، لا يمكن تصوره بدون مثال، فقد كان التعليم والتعلم غذاءا روحيا لهم وعبادة وورذا لهم، فكانوا يخصّصون معظم أوقات حياتهم ، وجل وقت نهارهم وليلهم للتدريس، فدرس ملك العلماء العلامة وجيه الدين الكجراتى 65-67 سنة ، والشيخ عبدالسلام اللاهورى، والملا عبدالحكيم السيالكوتى ، والشيخ على أصغر القنوجى درسوا 60 سنة، والشيخ أحمد الأميتهوى المعروف بملا جيون درس طول حياته وحتى في آخر يوم حياته، وقس على ذلك.

---

1. مإذا خسر العالم للمؤلف نقلا عن نزهة الخواطر ص : 32

كانت جميع أوقات المعلمين باستثناء الحاجات البشرية اللازمة والكفاية من الراحة تصرف للتدريس ، فكان ذلك الشغل الشاغل لهم ، وقد درس بعضهم وحتى أثناء الطعام، والسير في الطريق، يقول الشيخ عبدالقادر البدايونى عن أستاذه عبدالله البدايونى : إنه كان يذهب إلى السوق بنفسه لشراء حاجته، وكانت جماعة الطلبة ترافقه فكان يدرسهم في الطريق [1].

كان العالم الجليل للعهد الأخير العلامة عبدالحى اللكهنوى يخصص لبعض الطلبة وقتا قبل صلاة الفجر أيضا، وكان ذلك من عادة بعض الأساتذة القدماء.

الصلات مع الطلبة والعطف عليهم :

كانت تقوم صلات وثيقة بين الطلبة والأساتذة وعلاقات لا يوجد لها مثيل في العصر الحاضر، وفي النظام التعليمى المعاصر، فكانت الطلبة مثل أولاد ألأساتذة، بل أعز منهم ، يكفلونهم ويشركونهم في طعامهم ، وذكر عن المدرس المشهور الحكيم على الكيلانى وهو من كبار الأطباء في العهد الأكبرى، وطيب أكبر الملكى أنه كان يدرس الطلبة دائما ولا يأكل الطعام بدونهم [2] .

وكانت صلة أستاذة الملك الشيخ محمد أفضل الجونبورى مع طلبته أوثق، فلما توفى تلميذه العلامة محمود الجونبورى الذى كان يحبه كثيرا ويقربه إليه ، صدم صدمة عنيفة لم يحتملها، يقول الشيخ غلام على آزاد التلكرمى: " لم ير أحد الأستاذ يبتسم أربعين يوما ، وبعد أربعين يوما التحق بتلميذه [3]

---

1. **منتخب التواريخ**
2. **تذكرة علماء الهند ص 51**
3. **مآثر الكرام**

وجه المنشى صدرالدين خان دعوة إلى ملك العلماء عبدالعلى بحر العلوم للبدريس في بوهار(بردوان) وعرض عليه راتبا كبيرا، فاعتذر بحر العلوم قائلا: معى مائة طلب لا أستطيع مفارقتهم بدون أن أتأكد من توفير وسائل طعامهم وإقامته، فلما تكفل لهم امنشى وتحمل المسئوليه عنهم ، توجه إليه ، وقرر النواب والاجاه في مدراس ألف روبية شهريا له، وكان بحرالعلوم يصرف هذا المبلغ كله على الطلبة، لا يصل شئ منه إلى أسرته التى كانت تعيش في لكهذؤ، فاضطر ولده (الشيخ عبدالنافع) إلى السفر إلى مدارس ، وتحدث إلى والده في ذلك والده لم يغير من عادته وأخفق ابنه وعاد إلى وطنه [1]

ان مثل هذه القصص ليست غريبة في تاريخ العهد الإسلامى في الهند ، انها منتشرة ، وقد شهد علماء ذلك العهد وجيله نماذج العطف والشفقة من أساتذتهم بعينهم.

علاقة الطلبة مع أساتذتهم :

كان الطلبة كذلك مرتبطين بأساتذتهم ارتباطا وثيقا، تقوم بينهما علاقة وثيقة، علاقة السعادة والارتباط الروحى، والتعلق القلبى ، وقد خلد التاريخ قصة العلامة نظام الدين اللكهنوى، فلما ذاع خبر وفاته فقد تلميذه السيد ظريف العلظيم آبادى بصره بكاء على أستاذه، ولم يستطع تلميذه الآخر السيد كمال الدين العظيم أبادى [2]إن يحتمل هذه الصدمة فواتته المنية، ثم علم أنه حى، وأن الخبر كان مجرد إشاعة ، لو أن هذا الحادث نادر الوقوع، لكن ولاء الطلبة وفداءهم وحبهم العميق مع أساتذتهم، والتفانى فيهم، كان ميزة ذلك العهد وشعار ذلك الجل ، ويدل على ذلك ما كتبة العلماء في تراجم أساتذتهم.

---

1. نزهة الخواطر ج 7 ترجمة الشيخ عبدالنافع اللكهنوى
2. نزهة الخواطر ج-6

تشجيع الأمراء والملوك :

وكانت الميرة الأخرى لنظام التعليم القديم ان الملوك والأمراء وولاة الأمر وحكام المدن ، كانوا يعتبرون خدمة العلماء المخلصين والأساتذة والمربين الأجلاء، وتوفير راحتهم سعادة وشرفا لهم ، ووسيلة لنجاتهم في الآخرة، وفلاحا لهم، ويوجد في تاريخ الهند أمثلة كثيرة لهذا التشجيع الملكى للعلم والعلماء. فقد حرص ولاة الأمر على إراحة العلماء والمشائخ. فيقول مؤلف " تاريخ فرشته " (محمد قاسم بيجابورى)

" أصيب مرة ملك العلماء القاضى شهاب الدين الدولة آبادى بمرض شديد، فذهب السلطان إبراهيم الشرقى إليه ليعوده ، وبعد عيادته والاستطلاع عن صحته، والتدبير لعلاجه طلب الملك كأسا من الماء ، وأدار الكأس على رأس الشيخ وشربها، ثم قال : يا رب ، انزل البلاء المقدر للقاضى على ، وأكتب له الشفاء [1]

وأعرب الامبراطور أكبر عن حزنه وأسفه على وفاة الأمير فح الله الشيرازى قائلا:

لو كان الفرنج اعتقلوه، وطلبوا كل ما أملك من ثروة فدية له، لكانت هذه الصفقة رخيصة ورابحة، ولكانت هذه القيمة زهيدة.

وزن شاهجهان الملا عبدالحكيم السيالكوتى مرتين بالفضة ، والقاضى محمد أسلم الهروى (والد العلامة مير زاهد) مرة باذهب، وكانت هذه عادة الملوك القدماء لإظهار احترامهم وتقديرهم وإجلالهم.

وقد صوّر صاحب " الأغصان الأربعة " الشيخ ولى الله اللكهنوى الطريقة التى قوبل بها الشيخ عبدالعلى بحر العلوم لدى وصوله إلى مدراس بالكلمات الآتية:

---

1. تاريخ فرشة ج4ص 677 توفى القاضى بعد السلطان في نفس السنة 840 هـــ أو بعد عامين في ستة 842هـــ

" لما وصل موكبه إلى باب القصير الملكى ، أراد الشيخ ان ينزل ، فأشار النواب والاجاه بان يجلس ، وجعل المحفة على كاهله ونقلها إلى قصره، وأجلسه في محله وقل رجليه، وقال : ما أسعدنى ! ان شرفتنى ونورت مكانى ".

وعلاوة على الأمراء والملوك والوزراء، كان الأثرياء وأثحاب الإقطاعات يتسابقون كذلك إلى تكفل المدارس ورجال المدارس، ويعتبرون هذه الفرصة غالية ، وسعادة لهم، وإلى همتهم العالية وتشجيعهم يرجع فضل هذه الشبكة للمدارس والمعاهد المنتشرة في البلاد إلى عصرنا هذا ، يقول مولانا غلام على آزاد البلكرامى وهو يصف وضع ولايته(أودهـ) وتقاس به أحوال الولايات الأخرى للهند :

" كانت مستعمرات الأشراف والأسر العالية واقعة على بعد حوالى خمسة أميال أو عشرة أميال في سائر منطقة(أوده) وإله آباد العامرة الرئيسية، وقد خصص لهم السلاطين والأمراء والحكام منحا ورواتب ومخصصات لهم وإقطاعات ، فعمروا بأموالهم مساجد وانشأوا مدارس، وزوايا عامرة بالأساتذة والمعلمين الذين كانوا لا يألون جهدا في التعليم والتثقيف في أى مكان، وقد أثاروا عاطفة وولها بالتعليم وحرصا على نيله، فكان ينتقل الطلبة أفواجا أفواجا وجماعات ووحدانا من بلد إلى بلد آخر ، يضعون عصا الترحال حيث وجدوا منهلا عضبا يروى غليلهم العلمى، ويرعى شئونهم، ويوفر راحتهم كل م وفقه الله وآتاه مالا وهمة ، ويعتبرون خدمة الطالبين شرفا عظيما لهم، وقال الأمير شاهجهان : إ، مملكتى شيراز الهند.

إصلاح الباطن والعلاقة مع رجال القلب :

وكانت الميرزة الخاصة التى بجدر بالذكر أن هذا النظام والقائمين به والمسئولين عنه كانوا رغم انهماكهم بالعلم وتبحرهم العلمى، وحذقهم في الفن وشعبيتهم والاعتراف بعظمتهم وكمالهم، لا يغفلون تزكية نفوسهم وتوثيق علاقتهم مع الله، فكانوا في الوقت الذى يبذلون فيه جهدهم لتحصيل العلم والمكال في الفن، وخدمة رجال الفن ، كانوا يبحثون عن أصحاب القلب

السليم والشيوخ الذين يزكون نفوسهم، فكانوا يقومون بخدمتهم ويلازمون صحبتهم ويحسبون رضاهم وحبهم ململا لسعيهم وجهدهم ، لا يعترض في هذا السبيل شرفهم العلمى، وتفوقهم الفنى، وقبولهم الشعبى فبينما كانوا غيارى وكانوا يبدون كل انفة وحشمة، فإن السلاطين كانوا أمام هؤلاء المشايخ الفقراء متواضعين، فاقدى الإرادة والنفس، فكان التواضع والغيرة تمتزج بها طبعتهم ويشكل العنصر الرئيسى لسيرتهم.

ولا يمكن التجاهل عن ناحية غريبة للتاريخ العلمى للهند، وهى أن الشخصيات التى خصّها الله بالفضل والمجد العلمى، والخلود في مرتبطة بحال من الأحوال مع شيخ من شيوخ عهدها، ورجل صاحل متق من أتقاياء عصرها، وقد اثر على الأوساط العلمية في الهند أولا ثلاث شخصيات ورفع لواء العلم والثقافة تلامذتها وتلامذة تلامذتهم عدة قرون ، وهذه الشخصيات والأستاذة الثلاثة هم العلامة عبدالمقتدر الكندى (م791هـ) وتلميذه الشيخ خواجكى الدهلوى (م809هـ) والشيخ أحمد التهانيسرى (م801هـ) وكان هؤلاء الثلاثة كلهم من مسترشدى ومريدى الشيخ نصير الدين جراغ دهلى.

وكانت الشخصية الأخرى في السلسلة العلمية العلامة وجيه الدين بن نصر الله الكجراتى (م998هـ)، قضى من عمره ستين سنة في أحمد آباد في تدريس العلوم العقلية والنقلية، وانتشر تلامذته من أحمد آباد إلى لاهور، وانهمكوا في التعليم والتدريس ونالواشرف أستاذ الأساتذة في حياته

وكانت المدارس الشهيرة في كوره جهان آباد، وأميتهى وجونبور،ولكهنؤ،تستنير بهذا النور ، كان العلامة المذكور من خلفاء ومسترشدى الشيخ محمد غوث الكواليارى، وأدركه داؤه وبركته، وكان أستاذه في هذه السلسلة الشيخ بير محمد اللكهنوى والشيخ غلام نقشبند من مسترشدى السلسلة الجشتية وجامعى المدرسة والزاوية.

وكانت مسك اختتام لهذه السلسلة العلمية الذى نال الخلود والصيت العالمى الفائق والذىقهر الهند وأفغانستان وإيران وغلب على جميع النظم، وسحر شبكات العلم، وهو نظام التعليم الذى أسسه الشيخ نظام الدين السهالوى(م 1161هـ) ، ولم يكن هذا العالم الجليل مجرد مسترشد لشيخ السلسلة القادرية الشيخ عبدالرزاق البانسوى رحمه الله بل كان مسحورا بحبه، مغلوبا بغرامه، وتعكس كل كلمة من كتاب " مناقب رزاقية" هذا الحب والوله العميق العامر، الذى كان يقوم بينه وبين شيخه.

واتصلت مدرسة ديوبند الشهيرة بحركة إصلاحية كبيرة في ذلك العصر فكان مؤسسها الشيخ محمد قاسم النانوتوى (م1298هـ) ومربيها الآخر الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى (م1323هـ) من كبار مسترشدى الحاج إمداد الله المهاجر إلى مكة المكرمة، وخلفائه ممن نالوا الإجازة (في البيعة والإرشاد) منه ، وقد شملت هذه الحركة الممتزجة بالحركة الإصلاحية والتربوية سائر أنحاء البلاد، وكان مؤسس ندوة العلاماء اليخ محمد على المونجيرى التلميد الروحى لشيخ فضل الرحمن الكنح مراد آبادى ، فكانت السلسلة العلمية في الهند في سائر العصور وعلى سائر المراحل متصلة بالربانيين المربين المزكين للنفوس، وحظيت برعايتهم وحمايتهم، فأحدثت هذه الصلة الإخلاث والإنابة إلى الله، والقبول في الناس وشدة التأثير.

ومن الأمور التى بجذب الانظار، وتحمل درسا لأولى الأبصار، ومتتبعى التاريخ العلمى، والذىلا يمكن حمله على ما يحدث بالصدف، إن معظم الأساتذة البررة والعلماء الكرام كانوا مرتبطين في بعض الظروف في عصورهم بشخصيات روحية لم تكن باعتبار العرف، ويحكم النظام التعليمى، علماء معترف بهم علميا، أو حاملى شهادات، فلم يكن الناس في عصرهم يعتبرونهم من أهل العلم، وخير مثال لهذا الاتصال الغريب شخصيته الشيخ محمد إسماعيل الشهيد، والشيخ عبدالحى البدهانوى، من كبار علماء العصر، الذين كان قد أخضعا العالم العلمى بعلمهما واجتهادهما، كانت تقوم بينهما وبين السيد أحمد بن عرفان الشهيد رحمه الله قائد حركة الإصلاح والجهاد في القرن الثالث عشر الهجرى علاقة الاسترشاد والإستفادة

القلبية، كما كانت هذه الصلة تقوم بين الشيخ نظام الدين وهو الدر الفريد في العلم في عصره وبين السيد عبدالرزاق البانسوى، وبين الشيخ محمد قاسم النانوتوى العالم المجتهد، وبين الحاج إمداد اله المهاجر المكى، وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على صدق طلب هؤلاء العلماء الأفاضل وهممهم العالية، وتواضعهم وإخلاصهم، وكان هذا الإخلاص والربانية هى التى أسبغت على هذه السلسلة العلمية وهذه الأعمال الجليلة، التوسع والاستحكام والثبات، والقبول العام.

ومن أهم مزايا ذلك النظام التى تجدر بان تعتبر شعاره الفريد ، إنه كان يجمع بين الكمال العلمى والمطالعة الواسعة ونشوة التحقيق والبحث، وبين إرواء الغليل الباطنى ، والظمأ الروحى ، وبث روح الصلة بالله، والإخلاص في العمل ، والحص على خدمة الخلق، فكانت النتيجة أن العلماء والأساتذة في هذا النظام كانوا على صلة وثيقة بعامة الناس، وكانوا يتمتعون بالنفوذ على فكرهم وثقافتهم واجتماعهم. وكانت النتيجة الثانية إنهم كانوا على منأى من الحركات المادية والإغراءات، وأثر السلاطين والأمراء ، وفرص الاختلاط بهم ، وعلى ما يصونهم عن الفساذ الخلقى أو الضغط السياسى، الأمر الذى لا يمكن استبعاده على أساس مجرد العلم والذكاء، وإن الإخلاص العميق والتركيز القوى والإيثار الذى واصل به علماء ذلك العصر حركتهم العلمية ونشاطهم التعليمى، وتملكوا ناصية العلم، وقاموا بدروهم الإصلاحى والتربوى، ونوروا الأصقاع بمصابيح علمهم، وفكرهم، مدين إلى أكبر حد لهذا الفيض الروحانى، والتربية الخلقية وتزكية النفس التى كانوا يستخلصونها من هذه المراكز الروحية والشخصيات النيرة.

واستمرت هذه الميزة إلى آخر العهود فكلما كان طالب يستكمل دراسته كان بيدأ في البحث عن شخص نير القلب والروح لإذكاء فؤاده، وتهذيبه وتربيته، فيتوجه إلى مركز ورحانى حسب ذوقه أو ذوق أستاذه ، ويقضى فترة حياته في هذا المركز. ليستكمل فيها التربية القلبية التى ليست ميسرة في معه\ علمى خالص، فكان متخرجو مدرسة الشيخ لطف الله (وهى

مدرسة عالمية للعهد الأخير) بتوجهون إلى مركز الرشد والهداية للشيخ فضل الرحمن الكنح مرادآبادى في البلاد الشرقية للهند، وكان متخرجو المدارس الواقعة في شمال غربي لاهند كديوبند وسهارنبور، ويتوجهون إلى تهانه بهون وكنكوه ورائى بور، حيث كان خلفاء الحاج إمداد الله المهاجر المكى، والشيخ رشيد أمحد الكنكوهى وخلفاؤه يقومون باإرشاد والنصح والتربية.

مراكز العلم والثقافة الإسلامية في الهند

إن أكبر معهد دينى في الهند يستحق يسمى أزهر الهند، هو معهد ديوبند الكبير، بدأ هذا المعهد كمدرسة صغيرة لا تسترعى الاهتمام، ثم لم تزل تتوسع وتتضخم بفضل جهود أساتذتها والقائمين عليها وإخلاصهم وزهدهم في حطام الدنيا، حتى أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية في قارة آسيا.

وكان افتتاحها في قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارنبور في مسجد صغير سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف هجرية 1283 هـ، أسسها العالم الجليل المخلص الشيخ محمد قاسم النانوتوى المتوفى سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف هجرية 1298 هـن وكان الاعتماد فيها على الله ثم على تبرعات عامة المسلمين، ورزقيت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين وأساتذة خاشعين متقين ، فسرت فيها روح التقوى والاحتساب والتواضع والخدمة، ولم يزل نطاق المدرسة يتسع، وصيتها يذيع، وشهرة أساتذتها في الصلاح والتقوى والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في العالم، حتى أمها الطلبة من انحاء الهند، ومن الأقطار الإسلامية الأخرى، حتى بلغ عددهم في الزمن الأخير حوالى أربعمائة وألف(1400) [1]

ويقدر عدد الذين اشتغلوا في هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف، والذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف ، والذين ارتووا بمناهلها من أهل خارج الهند كباكستان ، وأفغانستان ، وخيوا ، وبخارى، وقازان، وروسيا، وآذربيجان، والمغرب ألأقصى، وآسيا الصغرى، وتبت، والصين، وجزائر بحر الهند، والحجاز، وألأقطار العلربية نحو حمسمائة.

وكان للمتخرجين في دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند، وفضل كبير في محو البدع وإزالة المحدثات، وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين ، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم ، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن، وكلمة حق عند سلطان جائر.

---

1. **وقد أزداد العدد وتضخم في السنين الأخيرة**

وشعار دار العلوم ديوبيند التمسك بالدين، والتصلب في المذهب الحنفى ، والمحافظة على القديم، والدفاع عن السنة.

وتلى دار العلوم الديوبندية في كثرة الطلبة والاعتناء بالعلوم الدينية، مدرسة " مظاهر العلوم "في مدينة سهار نبور التى تأسست في سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف أيضا، وهى تشارك دار العلوم في العقيدة والمبدأ والشعار.

وقد خرجت عدد كبيرا من العلماء الصاحين والرجال العاملين في ميادين العلم والدين ، والعمائها ومتخرجيها آثار جليلة في شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفن الشريف ، وتمتاز هذه المدرسة وأساتذتها وطلبتها ببساطة في المعيشة والقناعة بالكفاف، والوة في الديانة.

مدارس أخرى تابعة للمنهد النظامى

يوجد في الهند عدد كبير من المدارس والمعاهد التعليمية على غرار مدرسة ديوبند ومظاهر العلوم، يتبع فيها المنهج النظامى للتعليم، وتقوم علاقة علمية بين هذه المدارس ودار العلوم بديوبيند، وقد مثلت هذه المدارس دورا هاما في انعاش المسلمين الدينى والتربوى، ويجدر بالذكر من هذه المدارس في شكال الهند " مدرسة شاهى " بمرادآباد، و " مدرسة إمدادية " في دربهنكا ، ولجماعة أهل الحديث (السلفيين) أيضا مدارس خاصة ، منها الجامعة السلفية ببيارس، ومدرسة أحمدية في لهريا سرائى ، والمدرسة الرحمانية في دهلى ، وهى جديرة بالذكر بصفة خاصة، وقد أقفلت المدرسة الرحمانية في دهلى بعد التقسيم، أما مدرسة لهريا سرائى ومدرسة بنارس فهما مسمرتان.

ومن المدارس العربية الرسمية المدرسة العالية في رامبور، والمدرسة العالية بكلكتا، وشمس الهدى في بتنه، وهى مدارس رئيسية شهيرة، وكانت المدرسة العالية في زامبور

وكلكتا تعتبران في الزمن الماضى في كبريات المدارس ، وقد سجلتا آثارا خالدة بتفوق أساتذهما، ومميزات طلبتهما.

وللشيعة الإمامية أيضا مدارس خاصة، وتوجد معظم هذه المدارس في مركز هذه الطائفة العلمى والدينى بلكهنؤ، ومن أهمها مدرسة سلطان المدارس، والمدرسة الناظمية، ومدرسة الواعظين.

وبجنوب الهند(حيث يلاحظ في المسلمين شغف عظيم وولوع بالتعليم الدينى) توجد مدارس عربية عديدة، منها المدرسة النظامية بحيدرآباد، وجامع دارالهدى بكريم نكر، وجامعة دار السلام بعمرآباد، والباقيات الصالحات في ويلور، وكانت في مدراس المدرسة الجمالية التى ذاع صيتها في أرجاء الهند ، وكانت تعتبر مدرسة جامعة راقية دينية، وقد بدأ النشاط فيها من جديد.

المدرسة السلفية ببنارس :

وفي عام 1383هـ أسست جمعية أهل الحديث في الهند مدرسة باسم ط الجامعة السلفية " في بنارس، مدينة الهند القديمة التى تعتبر مركزا كبيرا للمعابد الوثينة، وهى عند الهندوس أقدس مكان يتبركون به، فكانت الحاجة ماسة إلى تأسيس مركز دينى وعلمى كبير في مثل هذه المدينة، وقد تحققت هذه الحاجة يوم افتتحت الجامعة السلفية وبدأت نشاطاتها ودخلت في مرحلة العمل والتطبيق، وذلك في شهر ذى القعدة عام 1385 هـ

وقد نالت الجامعة السلفية ترحيبا من جميع الأوساط العلمية والدينية في الهند وخارجها ، وقد ركزت عنيتها بصفة خاصة على الأهداف التالية:

1. تدريس القران الكريم والسنة النبوية كمصدرين أساسيين للشريعة الإسلامية
2. دراسة اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية والاجتماعية القديمة منها والحديثة

3. نشر العلوم الإسلامية والأدبية ، والاحتفاظ بالتراث الإسلامى والاهتمام بتعميم اللغة العربية في الهند.
4. إعداد الدعاة الصالحين
5. الاعتناء بناحية التأليف والطبع في مختلف الغات العلمية المهمة. وإعداد الكتاب الإسلاميين الجامعين بين الاعتزاز بالتراث الإسلامى والرد على أعداء الإسلام والدفاع عن الدين .
6. محاربة البدع والخرافات والعادات الجاهلية الفاشية في المجتمعات الإسلامية.

وقد نجحت الجامعة السلفية – رغم قصر عمرها – في أهدافها التى تبنتها إلى حد كبير.

وفي مديرية أعظم كره مدارس إسلامية كثيرة تمتاز بعضها بخدماتها العلمية والدينية، كمدرسة " مفتاح العلوم " في بلدة مئو، التى كان يشرف على شئونها التعليمية والإدارية في الماضى المحدث الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى صاحب مؤلفات مهمة في علم الحديث وفن الرجال، وتمتاز المدرسة بعنايتها الفائقة بتدريس العلوم الإسلامية والحديث الشريف، ويشتغل عدد وجيه من متخرجيها بخدمة العلوم الدينية واللغة العربية في كبرى المراكز العلمية في الهند أيضا.

وكذلك محرسة " دار العلوم " ومدرسة " فيض عام " في مئو، ومدرسة " جامعة الفلاح " في بلريا كنج، ومدرسة " جامعة الرشاد " في مدينة أعظم كره، ومدرسة " بيت العلوم " في سراى مير، ومدرسة " مظهر العلوم " في بنارس ، ومدارس إسلامية عديدة في مديرية جونبور وأعظم كره ، كلها تهتم بتدريس العلوم الدينية واللغة العربية وبعض اللغات والعلوم العصرية مع المحافظة التامة على الصبغة الإسلامية والطابع الدينى.

وفي مونجير في مقاطعة بهار مدرسة كبيرة تسمى " الجامعة الرحمانية "يشرف عليه ا ويعتنى بها العالم الكبير السيد منة الله الرحمانى أمير الشريعة في ولايتى بهاروأريسة.

المدارس والجامعات المدنية :

وتقابل مدرسة ديوبند وشقيقاتها وما كان على شاكلتها من المدارس الدينية القديمة ، الجامعات المدنية العصرية التى أسسها المسلمون في عليكره ودهلى وحيدرآباد، لتعليم أبناء المسلمين وشبابهم العلوم العصرية واللغات الأجنبية، وإعدادهم للوظائف الرسمية والمراكز الحكومية، وللمساهمة في حياة البلاد وخيراتها وإدارتها.

وأشهر هذه الجامعة وأقدمها وأعظمها تأثيرا في عقلية المسلمين وسياستهم " جامعة على كره الإسلامية " التى تعد من ارقى الجامعات في الهند وأوسعها، أسسها الزعيم المسلم الشهير سر سيد أحمد خان باسم " مدرسة العلوم" وقد اصيب المسلمون في إسر إخفاق الثورة العظيمة التى قاموا بها سنة سبع وخمسين، ثمان مائة وألف بجمود تعليمى واجتماعى، وتسرب اليأس إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بانفسهم ومستقبلهم، وأصابتهم دهشة الفتح، وأساءت الحكومة الانجليزية الظن بهم واستغنت عنهم في وظائفها وإدارتها ، فأصبح المسلمون – الذين كانو يملكون زمام البلاد في العهد الماضي القريب – لا نصيب لهم في سياسة البلاد وإدارتها ولا نشاط لهم، ورأى السيد احمد خان – وكان رجلا شديد التأثر مرهف الحس- أن علاج ذلك هو تعلم الانجليزية وآدابها وعلومها التى قاطعها المسلمون، والظهور في مظهر سيد البلاد في الزى واللباس والحضارة والاجتماع، حتى يزول " مركب النقص " وتولى الوظائف الحكومية.

وقد نجحت جامعة عليكره في رسالتها نجاحا كبيرا ، وأقبل عليها أبناء الأسرالشريفة " الارستقراطية " في عدد كبير، وتخرج فيها رجال كثير شغلوا وظائف كبيرة في الحكومة وتمتعوا بثقتها ، وقد لعبت الجامعة وأبناؤها دورا مؤثر في حياة المسلمين وسياسة البلاد، ومنها نبعت حركة القومية الإسلامية تقابل حركة القومية الهندية والوطنية، يتزعهما رجال من الطبقة الارستقراطية في المسلمين، وميزانيتها السنوية نحو (أربعين مليون روبية) وفيها نحو عشرة آلاف طالب

الجامعة الملية الإسلامية :

وقد انفصل عن جامعة عليكره بعض أبنائها وخيرة متخرجيها أيام حركة الخلافة الوطنية، وأسسوا جامعة شعبية مستقلة في السياسة وتعليمها سنة 1920م، يتزعمها الزعيم الإسلامى الكبير مولان محمد على وقد انتقلت من عليكره إلى دهلى واشتهرت باسم " الجامعة الملية الإسلامية " يمتاز أساتذتها وإدارتها – وكان على رأسها الرجل التعليمى العلمى الدكتور ذاكر حسين رئيس الجمهورية الهندية سابقا بنزعتهم الوطنية وروح التضحية والإيثار ، ظلوا مدة طويلة يكافحون التيار، ويعيشون في شظف وعسر ، وكان لهم نشاط ظاهر في ميدان الثقافة والتعليم، ومحصول ذوقيمة في الأدب والعلوم، وهى الان من الجمعات التى تنفق عليها حكومة الهند.

الجامعة العثمانية :

وتمتاز " الجامعة العثمانية " في حيدرآباد بانها جامعة درست العلوم اعصرية في " أردو " لغة الهند العلمية، وعنيت بيقل العلوم الحديثة وترجمة الكتب المهمة في الفلسفة وعلوم الطبيعة والطب والسياسة والاقتصاد والتاريق إلى أردو ، ووضع المصطلحات العلمية فيها، وبذلك أدت خدمة عظيمة للمسلمين وثقافة الهند.

نــدوة العلمــاء :

وتتوسط بين المدارس القديمة التى تتمسل بالقديم وترى العدول عنه ضربا من التحريف ونوعا من البدع ، وبين الجامعات المدنية التى تقدس الجديد وتستهين بكل قديم ، تتوسط بين تلك وهذه دارالعلوم التابعة لندوة العلماء التى تأسست في لكهنؤ سنة اثنتى عشرة وثلاثة مائة وألف هجرية 1312 هـ بيد العالم الربانى الشيخ محمد على مونكيرى وزملائه المخلصين، الذين خافوا على المسلمين من المحافظين ومن المتطرفين ، ومن اعتزال العلماء عن الحياة وتخلفهم

عن ركب الثقافة والعلم، ومن العصبيات المذهبية والمشاجرات الفقهية التى قويت ونشطت في العهد الأخير.

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذى لا يتغير، والعلم الذى يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التى تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بان العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وان منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ويحذف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم

عنيت دارالعلوم بصفة خاصة بالقران الكريم – الرسالة الخالدة – وتدريسة ككتاب كل عصر وجيل ، وعنيت باللغة العربية التى هى مفتاح فهمه وأمينة خزائنه، ووجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب ، لا كلغة أثرية دارسةلا تجاوز الأحجار وأو الأسفار كما كان الشان في الهند ، وقللت قسط بعض العلوم القديمة التى لا تفيد كثيرا وأبدتها ببعض العلوم العصرية التى لا غنى عنها للعالم العصرى الذى يريد ان يخدم دينة وأمته، واجتهدت ان تخرج رجالا مبشرين بالدين الإسلامى الخالد لأهل العصر الجديد شارحين للشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر، وبأسلوب يستهوى القلوب، أمة وسطا بين طرفى الجمود والجحود، وقد نجحت في مهمتها نجاحا لا يستهان بقيمته، فانجب رجالا هم خير مثل للعالم المسلم العصرى، لهم آثار جميلة خالدة في الأدب الإسلامى وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد، والسيرة النبوية – على صاحبها الصلاة والسلام- والتاريخ.

وعلى طرازها مدرسة كبيرة تسمي " مدرسة الإصلاح " في سراى مير، أسسها العالم الكبير الشيخ حميدالدين الفراهى عام 1326هـ (1909م) ولها عناية خاصة بالتفسير وفهم القران على طريقة مؤسسها الشيخ الفراهى.

وقد أسس المتخرجون في الندوة " دارالمصنفين " في أعظم كره عام 1914م وهى من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند، وكان العلامة السيد سليمان الندوى رئيسها مدة وجوده في الهند، نشرت كتبا كثيرة متنوعة في الدين والأدب والتاريخ، بلغ عددها إلى عام 1392 هـ إلى 112 كتابا [1] لا تستغنى عنها مكتبة في الهند، وهى تصدر مجلة علمية راقبة شهرية باسم " معارف"

وفي دلهى مؤسسة علمية تصدر كتبا في الثقافة والتاريخ، وهى " ندوة المصنفين" نشأت عام 1938م وتصدر مجلة علمية شهرية وهى مجلة" برهان " يحررها الأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادى رئيس القسم الدينى سابقا في جامعة عليكره [2] ولها مطبوعات قيمة حازت القبول والتقدير في الأوساط الإسلامية العلمية.

ومن أقدم الجمعيات التعليمية التى كان لها فضل في نشر الوعى السياسى والثقافى " مؤتمر التعليم الإسلامى العام " الذى أسسه سيد أحمد خان عام 1886م في عليكره يعالج قضية تعليم الشباب المسلم في مداس الحكومة، ومنه نبعت " العصبة الإسلامية " Muslim Leagueعام 1906م، وقد ضعف نشاط هذا المؤتمر بعد التقسيم لتغير الوضع السياسى والثقافى في الهند.

مجلس التعليم الدينى :

نالت الهند الاستقلال في 1947م ، واختارت لنفسها نظام حكم علمانى ، وأعدت الدستور بموجبه ، ونص الدستور على تأمين حقوق مساوية، ولكن رغم ذلك أعدت بعض الولايات الهندية منهاج تعليمية كانت مقدمة للردة الدينية والثقافية للمسلمين، وكانت لا تتلاقى مع عقائد المسلمين ومبادئهم الأساسية فحسب بل كانت تهدد أساسها.

---

1. **وقد بلغ عددها في عام 1986م إلى 182**
2. **مات رحمه اله في 24/ مايو 1985م.**

وفكر صفوة من رجال الفكر والوعى الإسلامي في هذه المشكلة التى كانت تهدد الأجيال القادمة للمسلمين والناشئة منهم، فانشأوا مجلس التعليم الدينى العام في ولاية أترابرديش تحت إشراف الهيئات الاسلامية المختلفة المتحدة، وقد أقامت الهيئة شبكة للمدارس في مختلف أنحاء البلاد وبيلغ عددها إلى 10000وهى تشرف على نهضة التعليم الإسلامى للمسلمين حيث يتلقى ألأطفال المسلمون التعليم الدنيى بلغتهم.

دائرة المـعارف بحيدرآباد :

ومن المؤسسات العلمية الكبيرة التى كان لها فضل كبير في إحياء الكتب الدينية والعلمية وبعثها من مدافنها في المكتبات العتيقة ونشرها في العالم الإسلامى " دائرة المعارف " في حيدرآباد التى تأسست عام 1306هـ - 1888م بتوجيه العلامة السيد حسين البلكرامى، ومولانا عبدالقيوم ، ومولانا أنوار الله خان أستاذ سمو " النظام" وقد نشرت أكثر من مائة وخمسين كتابا قيما من كتب الحديث وأسماء الرجال والتاريق والعلوم الرياضية والحكمة، حرمها العالم الإسلامى، والأوساط العلمية من عهد بعيد وتسامع بها العلماء والمدرسون ، فكانت خدمة جليلة لعلم والدين، وبرهانا على ما كان – ولا يزال – للمسلمين من اتصال روحى وفكرى بالثقافة الإسلامية وحب عميق لها، وقد اعترف بجهود هذه المؤسسة العظيمة وجلالة عملها وقيمة ما تنشره من التراث العلمى كبار العلماء ورجال الثقافة في الشرق وأوربا، وقد قال العلامة الشيخ إبراهيم الجبالى رئيس بعثة الأزهر التى زارت الهند عام 1937م:

" إنا نعترف لرجال " دائرة المعارف " بحيدرآباد بتلك الجهود المؤفقة التى بذلوها في خدمة العلم ونشر الثقافة العربية ، وفقد وجهوا هممهم العالية ألى أحياء الكتب القيمة التى جادت بها قرائح الأئمة المتقدمين، وأتى عليها حين من الدهر وهى مختفية عن الأعين حتى عفا رسمها، وان كان لا يزال يملأ الأسماع اسمها، وطالما تشوقت الأذهان إلى الارتشاف من بحارها كما استقيت الإذان بشهرتها واسمها، فعمدوا – حفظهم الله – إلى التنقيب عنها والسعى

وراء العثور عليها، ثم مقابلة نسخها إزالة ما علق بها من التشويه حين نسخها ، ثم تكميل ما نقص منها وتصحيح الغلطات التى أدخلت عليها، لا يبالون في سبيل ذلك بما يتكبدون من مشاق الأسفار ومتاعب النقل والتصحيح والمقابلة ، وما يتحملون في سبيل ذلك من عظيم النفاقات المالية [1] .

ولما قررت " الجامعة العثمانية " في حيدرآباد تدريس العلوم والفنون في " أردو " انشأت " دار الترجمة " في سنة 1335هـ، وقد نشرت385 كتابا في التاريخ والجغرافية والسياسة وعلم الاقتصاد والدستور، وعلوم العمران والفلسفة والمنطق وما بعد الطبيعة، وعلم النفس والأخلاق وعلوم الرياضة والطبيعة، وعلم الحياة والكيمياء والطب والهندسة وغيرها ، وكان من أعمالها الجليلة وضع المصطلحات العلمية وترجمة المصطلحات من اللغات الأوربية إلى أردو.

وكان من الشخصيات العلمية والأدبية الشهيرة التى ساهمت في مواصلة هذا المجهود العلمى وتنميته ، وكان لها اتصال عميق بشئونه، الدكتور عبدالحق، والشيخ عبدالماجد الدريابادى، والشيخ عبدالله العمادى، وألأستاذ وحيدالدين سليم بانى بتى، والشيخ عناية الله الدهلوى ، والشيخ مسعود على المحوى، والقاضى تلمذ حسين الجوركهبورى.

وكانت ميزانيتها السنوية ، 261415 جنيها ، وقد وقفت وعطلت بعد التقسيم سنة 1948م، ووقع في مكتبتها حريق أتلفها[2] وضيع هذا التراث الثمين.

وللجماعة الإسلامية التى مركزها الهند نشاط طيّب وانتاج ذوقيمة في نشرالأدب الإسلامى ، وتأليف الكتب الدراسية للنشء الإسلامى في " أردو " وفي " الهندية " ولها مدرسة نموذجية في " رامبور"

---

1. **رسالة علمية تاريخية طبع دائرة المعارف – ح، ط**

2. **كثير من الناس بعتقدون ان هذا الحريق كان عن مؤامرة لإتلاف هذا كنز الثمين.**

وللمسلمين في جنوب الهند (مدارس وكيراله وبلاد مالابار) نشاط كبير في نشر التعليم الدينى والمدنى وتأسيس المدارس الدينية العربية والكليات الإسلامية، ويمتاز أهل مالابار في ولاية كيرله بشغفهم باللغة العرية وتمسكهم بها، ولهم مدارس منتشرة في المديريات والمدن الكبيرة وما يتبعها من القر ، تعلم فيها اللغة العربية، كروضة العلوم وسل السلام ومدينة العلوم والجامعة الندوية التابعة لندوة المجاهدين وغيرها، وعلماء هذه المنطقة أقدر على اللغة العربية منهم على لغة أردو التى هى لغة الشعب الإسلامى في الهند، حتى يحتاج زائر من الشمال إلى التفاهم معهم عن طريق اللغة العربية.

وللمسلمين في الجنوب كليات إسلامية كبيرة ، من أشهرها الكلية الجديدة (New College)في مدراس ، والكيلة الإسلامية في وانيم بادى (Vaniyam Badi) وكلية جمال محمد في ترشنابلى (Tiruchina Palli) والكيلة العثمانية في كرنول (Kurnool)وكلية فاروق في ملابار تنفق على أكثرها رابطة التعليم الإسلامي بجنوبى الهند.

وقد عنى الأمراء والأقيال وكبار العلماء باقتناء مكتبات عظيمة وشغفوا بها شغفا عظيما، ومن أغثى مكتبات الهند ودور الكتب وأجمعها للكتب النادرة والآثار الثمينة ومخطوطات المؤلفين ونوادر الكتاب " مكتبة بانكى بور " في بتنة ، وهى مكتبة المرحوم القاضى خدا بخش خان ، ومكتبة إمارة رامبور، و " المكتبة الآصفية" في حيدرآباد " التابعة لجامعة على كره الإسلامية، ومكتبة دار العلوم ديوبند، ومكتبة جامعة عليكره، ومكتبة الشيخ ناصر حسين بن الشيخ حاحد حسين الكنتورى في لكهنؤ، ومكتبة العلامة شبلى النعمانى التابعة لندوة العلماء الكنتورى في لكهنؤ، ومكتبة العلامة شبلى النعمانى التابعة لندوة العلماء وتضم 100000من المطبوعات و4000 من المخطوطات.

وقد زارت الهند بعثة أوفدتها الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية سنة 1951م لتصوير الكتب النادرة الخطية الموجودة في مكتبات الهند، فزارت عواصم الهند ومكتباتها الكبرة وأخذت صور مئات من الكتب النادرة.

الصوفية في الهند وتأثيرهم في المجتمع

تعريب: محمد الحسنى

(مقال تاريخى يبحث عن تأثير الدعاة إلى الله، والمربيين الروحيين (الذين يسمون غابا بالصوفية) في الأخلاق والسلوك، وفضلهم فى محاربة الفساد في البلاد ، وتكوين المجتمع الإسلامي الهندى الصالح ، الذى استطاعان يعيش سبعة قرون في وسط الوثنية البرهمية والملوكية المستبدة، بصرف النظر عن أساليبهم وتقليدهم ومن غير موافقة عليها، والشيوخ الذين جاءت أسماؤهم في هذا المقال ، تحقق في التاريخ التزامهم للعقيدة الإسلامية الصحيحة، وحرصهم على اتباع السنة وغيرتهم على الدين)

ان طرق التصوف الأساسية المشهورة ظهرت خارج الهند، ولكنها نالت أكبر قسط من القبول والانتشار والازدهار في هذه البلاد بسب أوضاعها الخاصة وطبيعتها، ثم نبعت من هذه الطرق والسلاسل فروع هندية الأصل، واتخذت شكل طرق مستقلة بذاتها، وبرز فيها أئمة مجتهدون انشأوا طرق مختلفة وأسسوها.

وبجانب تلك الطرق الصوفية المشهورة (مثل الطريقة القادرية والجشتية والنقشبندية والسهروردية، التى ترعرت في الهند وازدهرت ونفقت سوقها) ، طرق وسلاسل أخرى ، وليدة هذه البلاد فحسب ، وهى تنتمى إلى شخصيات نبغت في الهند ودفنت في أرضها ، مثل الطريقة الفردوسية، والمدارية ، والقلندرية، والشطارية والمجددية، وهى سلاسل نشأت في الهند، و"

صدرت " بعد ذلك إلى بلاد أخرى، وقد استفاد عدد كبر من أهل الحجاز ورجال العالم الإسلامى والعربى من الشيخ على المتقى صاحب كنز العمال في القرن العاشر ، ومن اشيخ تاج الدين السنبهلى، والشيخ آدم البنورى في القرن الحادى عشر بعد ما هاجروا إلىالحجاز واستوطنوه، وقد أصبحت هذه البلاد(الهند) حاملة لواء التصوب وإصلاح الباطن منذ بداية القرن الحادى عشر، وزعيمها إذ ذاك الشيخ أحمد السرهندى ونجله وخليفته العظيم محمد معصوم اللذان أفاد منهما العالم مدة طويلة من الزمن، وكان خلفاء الشيخ محمد معصوم منتشرين في اقطار أخرى، كأفغانستان، وإيران ، وتركستان، وكان الناس يشدون الرحال إلى زاوية الشيخ غلام على الدهلوى(وهو من شيوخ الطريقة المجددية في القرن الثالث عشر) من بلاد بعيدة مثل العراق والشام ومصر والصين والحبشة وبخارا وسمرقند، وانتشرتهذه الطريقة بواسطة خليفته الشيخ خالد الشهرزورى في العراق وتركستان والشام
وتركيا، ولا تزال باقية فيها.

وفي أوائل القرن الرابع عشر اشتهر الحاج إمداد الله المهاجر المكى بلقب " شيخ العرب والعجم " وأفاد منه كثير من أهل الحجاز والحجاج الوافدين إليه.

ومازال هذه التبراس – نبراس الإصلاح الباطنى – مضيئا في العالم الإسلامى بفضل الهند ، ولا تزال طريقة " الحب الإلهى " مستمرة باقية فيها ، وهى المرجع العالمى لهذا الفن من أجل بعض رجالاته وأعلامه.

صلة الجمهور بالصوفية والتصوف وإقبالهم عليه :

إن العهد الإسلامى في الهند بدأ بهؤلاء الصوفية ، وخاصة الشيخ معين الدين الأجميرى، الذى اسس الطريقة الجستية في هذه البلاد على دعائم قوية بجهاده وإخلاصه، وأقبل عليهم الناس من جميع الطبقاتوالفئات، يتنافسون في حبهم ، وصلتهم بهؤلاء المرشدين رجال الله

والدعاة إليه بإخلاص وصدق وأمانة ونزاهة، وامتدت في طول البلاد وعرضها شبكة من المراكز الروحية حتى لم يبق بلد أو قرية ذات شان إلا وفيها مركز روحى أو عدة مراكز.

ان الصلة القلبية والروحية وموجة الحب والإجلال التى كانت تغمر الناس نحو هؤلاء الشيوخ والصوفية تتجلى بالأحداث التالية التى نسردها في هذا المكان من غيران نراعى فيها الترتيب التاريخى.

كان السيد آدم البنورى دفين البقيع(م1053هـ) يأكل على مائدته كل يوم ألف رجل ، ويمشى في ركابه ألوف من الرجال ومئاتمن العلماء، ولما دخل السيد في لاهورعام (1053هـ) كان في معيته عشرة آلاف من الأشراف والمشائخ وغيرهم ، حتى توجس شاهجهان ملك الهند منه خيفة فأرسل إليه بملغ من المال ثم قال له: " قد فرض الله عليك الحج فعليك بالحجاز" فعرف أيعازالملك وسافر إلى الحرمين حيث مات.

وهذا الشيخ محمد معصوم (م1079هـ) ابن الكبير أحمد السرهندى قد بايعه وتاب على يده تسع مأة أفق من الرجال، واستخلف في دعاء الخلق إلى الله وإرشاد الناس وتربيتهم الدينية سبعة آلاف من الرجال

وكتب سيد أحمد خان مؤسس الجامعة الإسلاميةفي عليكره في كتابه " آثار الصناديد " يذكر الشيخ عبدالله المعروف بغلام على الدهلوى فقال:

" لا يقل عدد المقيمين في هذه الزاوية عن خمس مأة رجل تقوم الزاوية بنفقاتهم " ، وهكذا كان الإقبال على المصلح الكبير السيد أحمد الشهيد إقبالا منقطع النظير، انه لم يمر ببلدة إلا وتاب عليه وبايعه عدد كبير من الناس ، حتى ان المرضى في مستشفى بنارس أرسلوا إليه

يقولون : " انا رهائن الفراش وأحلاس الدار فلا نستطيع أن نحضر ، فلو رأى السيد ان يتفضل مرة حتى نتوب على يديه لفعل " ، وذهب السيد وبايعهم .

وأقام في كلكته شهرين ، ويقدران الذين كانوا يدخلون في البيعة لا يقل عددهم عن ألف نسمة يوميا، وتستمر البيعة إلى نصف الليل، وكان من شدة الزحام لا يتمكن من مبايعتهم واحدا واحدا، فكان يمد سبعة أو ثمانية من العمائم والناس يمسكونها ويتوبون ويعاهدون الله، وكان هذا دأبه كل يوم سبع عشرة أو ثمانى عشرة مرة.

إن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة ، والتوبة عن المعاصى ، وطاعة الله ورسوله، ويحذرونهم من الفحشاء والمنكر، والأخلاث السيئة والظالم والقسوة، ويرغبونهم في التحلى بالخلاق الحسنة، والتخلى عن الرذائل (مثل الكبر والحسد والبغضاء والظالم وحب الجاه) وتزكية النفس وإصلاحها، ويعلمونهم ذكر الله والنصح لعباده والقناعة والإيثار وعلاوة على هذه البيعة التى كانت رمز الصلة العميقة الخاصة بين الشسيخ ومريده انهم كانوا يعظون الناس دائما ويحاولون أن يلهبوا فيهم عاطفة الحب لله سبحانه، والحنين إلى رضاه ، ورغبة شديدة لإصلاح النفس ، وتغيير الحال، فالى أى مدى كان تأثير أخلاقهم وإخلاصهم، وتعليمهم وتربيتهم ومجالسهم في المجتمع والحياة، نقدم هنا بعض الأمثلة التى تلقى الضوء على هذا الواقع التاريخى.

يقول مؤرخ الهند الشهير الاقاضى ضياء الدين البرنى يذكر عهد السلطان علاء الدين الخلجى يقول : " كان شيخ الإسلام نظام الدين وشيخ الإسلام علاء الدين وشيخ الإسلام ركن الدين من أعلام التربية الروحية والإصلاح في عهد السلطان علاء الدين تنوربهم العالم، وبايعهم خلق كثير لا يحصون ، وتاب على أيديهم الفسقة والفجرة، وواظبوا على الصلاة ، وعضوا عليها بالنواجذ طول حياتهم، ونشأ فيهم حب الدين وإجلاله، وصحت توبتهم، والتزموا العبادات كلها، وتضاءل حب الدنيا في قلوبهم ، وذلك بتأثير أخلاقهم السامية الكريمة، وعزوفهم

عن الشهوات وترك المألوفات، وانتشر الصدق في الناس ببركة عبادتهم وسلوكهم في الحياة ، ونشأ فيهم – بتأثير مكارم أخلاقهم ومجاهداتهم – رغبة في إصلاح أخلاقهم وتغييرها.
ويقول :

" ان السنوات الأخيرةمن عهد علاء الدين تمتازبان كسدت فيها سوق المنكرات من الخمر والغرام والفسق والفجور والميسر والفحشاء بجميع انواعها ، ولم تنطق الألسن بهذه الكلمات إلا قليلا، وأصبحت الكبائر تشبه الكفر في أعين الناس، وظل الناس يستحيون من التعامل بالربا والادخار والاكتناز علنا، وندرت في السوق حوادث الكذب والتطفيف والغش"

وكان لهؤلاء المشائخ عناية كبرة بالأخلاق والسلوك والمعاملات، وتأدية الحقوق وقضاء الديون، وكانوا يوصون من يدخل في بيعتهم بالعناية البالغة بهذه الأمور، وقد أوصى الشيخ نظام الدين شيخه فريدالدين كنج شكربان لا يدخر وسعا في إرضاء الخصوم وأصحاب الحقوق، وكان عليه 20 جيتل (فلس) لشخص، كما استعار كتابا من شخص آخر فضاع ذلك الكتاب، فلما زار دهلى وذهب إلى الشخص الأول قال : يبدو أنك قادم من عند المسلمين " ولما زار الشخص الثانى قال " ان هذه الأخلاق ليست إلا نتيجة ذلك المكان الذى كنت فيه.

ان تربية هؤلاء الصوفية والمشائخ ومجالسهم كانت تنشئ في الإنسان رغبة في إفادة الناس وحرصا على خدمتهم ومساعدتهم.

كان السيد أحمد الشهيد أثناء سفره للحج مع ركب كبير لا يضيع فرصة لخدمة الناس في هذه الرحلة الشاقة الطويلة ، ان هذه الرحلة كانت عن طريق نهر " كنج " بالسفن وحدث ان وجدوا على ضفة مرزابور سفينة مشحونة بالقطن، وكان صاحب القطن ينبظر الحمالين ليحملوا ذلك القطن إلى مخازنه، فأمر السيد أصحابه بنقل تلك الحزمات، فهجم على السفينة مئات من الناس ، وفي دقائق وثوان أفرغوا السفينة وحملوا القطن إلى مكانه فأعجب الناس

بذلك وتهامسوا فيما بينهم قائلين " لم نركاليوم، ان هؤلاء ليست لهم معرفة ولا صلة بصاحب القطن ، ولم يطلبوا الأجر، وقامو بهذا العمل لوجه الله ، انهم من أولياء الله من غير شك"

ان الحديث عن هؤلاء الصوفية والمشائخ بأدوارهم التاريخية والترتيب التاريخى لا محل له ههنا، وهو يحتاج إلى مجلد ضخم ، فان سهم هؤلاء المصلحين ومعلمىالأخلاق في تكوين مجتمع صالح واع في الهند(وهى قوة هذه البلاد المعنوية الكبرى، ومصدر الولاة الصالحين والحكام العادلين في كل عهد ، وهوالذى منح الهند أفراد أذكياء أكفاء في ظروف دقيقة حرجة جدا) سهم أساسى اكثر من سهم أى واحد من أبناء هذه البلاد وبناتها.

وبصرف النظر عن القرون الوسطى التى تبعثرت مادتها الواسعة في تراجم المشائخ نكتفى هنا بذكر مصلح كبير في القرن الثالث عشر وهو السيد أحمد الشهيد وتأثيره الدينى والاجتماعى كمثال لهذا التأثير والنفوذ في المجتمع والحياة، فقد ذكر المؤرخون انه لما أقام مع أصحابه في كلكته – في طريقه إلى مكة المعظمة – واشتغل هو وبعض أصحابه من العلماء كالمصلح الكبير الشيخ إسماعيل الشهيد بالوعظ والتذكير، وتقاطر الناس في الدين وانقيادهم للشرع أن تعطلت تجارة الخمر في كلكته – وهى كبرى مدن الهند ومركز الانجليز – كسدت سوقها وأقفرت الحانات، واعتذر الخمارون عن دفع ضرائب الحكومة متعللين بكساد السوق ، وتعطال تجارة الخمر

انها كانت نتيجة أخلاق هؤلاء المصلحين والدعاة والصوفية والمشائخ وروحانيتهم ، أن اهتدى بهم في هذه البلاد الواسعة عدد هائل من الناس ، وتابوا عن المعاصى والمنكرات واتباع الهوى، لم يكن يوسع حكومة أو مؤسسة أو قانون ان يؤثر في هذه المجموعة البشرية الضخمة ويحيطها بسياج من الأخلاق والمبادئ الشريفة لزمن طويل.

كلمة حق عند سلطان جائر :

وكان من مآثر هؤلاء المصلحين الروحيين الكبرى انهم قاوموا أحيانا كثيرة اتجاهات بعض الملوك الخطرة وأنقذوا الدولة والمجتمع من بعض الأخطار الهائلة المحدقة بها، والتدمير الذى كان يواجهه ويهدده، وذلك بإبداء آراثهم بصراحة ، وانتقاد التيارات الفاسدة وانحراف "البلاط " عن جادة الحق والصواب، ان بربيتهم وأمثلتهم العملية احية ألهبت في الناس جذوة الجراءة والشجاعة ، والنشاط والطموح، وتاريخ الهند الإسلامي زاخر بهذه الأمثلة، إن هؤلاء المشائخ غامروا مرارا بحياتهم وشرفهم ، وآثروا الموت على الحياة وعملوا بمبدأ " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " كلما دعت إليه الحاجة واقتضته الظروف.

ونقدم في هذا المكان مثالين من عهد " الملك الجبار " محمد تغلق، بدلان على شجاعتهم وصرامتهم واستهانتهم بمظاهر الأبهة والغطرسة، واحتقارهم للقناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

" لما مرالسلطان محمد تغلق بزاؤية الشيخ قطب الدين منور وكان شيخا كبيرا في الطريق الجشتية يعيش في عزلة عن الناس، لم يحضر عند السلطان لتحيته فطلبه السلطان في دهلى ، ولما حشر البلاط ودخل الديوان رأى الأمراء والوزراء والحكام ورجال البلاط واقفين سماطين ، متخشعين مسلحين في هيئة تخلع منها القلوب ، وكان معه ولده نورالدين، وكان حديث السن لم يزر " بلاط " الملك في حياته ، ففزع لهذا المنظر الغريب وامتلأ رعبا، فناداه الشيخ قطب الدين بصوت عال قائلا " يا ولدى العظمة لله " يقول نور الدين: انى استشعرت في نفسى قوة غريبة بعد هذا النداء، وزالت الهيبة من نفسى وذابت، وبدأ الجميع عندى كأنهم قطيع من ضأن أو معز، وسأل الملك الشيخ وعاتبه قائلا " اننا مررنا بزاويتكم فلم تشرفونا بزيارتكم وموعظتكم " فأجاب الشيخ ان هذا الفقير لا يجدر بمقابلة الملوك، إنه يعيش في عزلة، ويدعو للملك ولجميع المسلمين، فعليكم أن تعذروا في هذا الأمر، وبعد انصرافه قال الملك لوزرائه، إنه

صافح كثيرا من الشيوخ والعلماء فكانت أيديهم ترتعش خوفا وإشفاقا، أما هذا الشيخ فما وجدت في كفه لينا وضعفا، وما رأيت في يده ارتعاشا بل صافحنى يقوة وحرارة زائدة واعتزاز نفس .

وقدم إليه الملك مائة ألف " تنكه " (قطعة ذهب) فقال الشيخ سبحان الله ، تكفينى أقتان من أرز ، وسمن بفلس واحد ، مإذا أفعل بهذه الآلاف من الروبيات، ولكن قيل له إن الملك يسخط إذا لم يقبل هذه الهدية ، ويتقم منه ، فقبل الشيخ الفى روبية وقسمها بين إخوانه وأصحابه وذوى الحاجة.

والمثال الثانى للشيخ فخزالدين الرازى، وكان الشيخ يتحرز من مقابلة الملوك، وكان يقول : إننى أرى رأسى مفصولا عن جسمى واقعا على بلاط الملك، وكان يعنى أنه سيقول كلمة حق يؤاخذه عليها الملك ويأمر بضرب عنقه، فطلبه الملك يوما وقال له عظنى، فقال الشيخ : اكظم الغيظ واملك غضبك وسورة النفس ، فقال الملك: أى غضب وسورة نفس تعنى ؟ قال سورة السباع، فاحمر وجه الملك من فورة الغضب ولم يقل شيئا، ودعا بالسفرة الملوكية ودعاه لتناول الغداء ، وكان يضع بعض اللقمات في فيه، وتناول الشيخ هذا الطعام بكراهة، وودعه الملك بعد فراغه

إن هؤلاء المشائخ و " الصوفية ضربوا أمثلة رائعة في الشجاعة والصراحة والصدع بالحق ، كما أن الملوك الذين لم يغفروا للعلماء " جريمة " قول الحق سلكوا بالصوفية – في أغلب الأحوال – مسلكا رفيقا وسمحوا لهم بأداء واجبهم الدينى ومراولة نشاطهم الإسلامي، وقد قام المشائخ بهذا الواجب في العهد الأخير وحافظوا على كرامتهم وغيرتهم وإبائهم ، حضر الملك المغول " شاه عالم " مرة في مجلس الصوفى الكبير والشاعر الشهير الشيخ " ميردرد " وكان برجله وجع فمدها قليلا، فلم يتحمل الشيخ ذلك وقال : ان هذاالأمر ينافى آداب المجلس وكرامته، فاعتذر الملك بالعلة وطلب العفو فقال له الشيخ : إذا كانت بكم علة ، فلم يكن هنالك داع لحضور هذا المجلس

الزهد في زخارف الدنيا والاستهانة بمظاهر الجاه :

إن الصوفية والمشائخ لم يقبلوا مناصب الحكم، وهدايا الملوك والأمراء، من أراضى وإقطاعات وصلات وجرايات ، وامتنعوا عنها دائما ، ونصبوا منارا عاليا للقناعة والزهد والتوكل والمحافظة على عزة النفس وكرامتها، عاشت بفضله في المجتمع الهندى الفتوة والهمة والطموح والثبات على جادة الحق ،وحافظوا بذلك على كرامة الإنسانية وصانوا عرضها في هذه السوق السوداء التى تباع فيها النفوس والأرواح بيع السلع، وقد تباع بالمناداة و" المزاد العلنى ".

لقد كان شعارهم وهتافهم دائم وفي جميع الأحوال ، ما قال قائل منهم في شعر فارسى:

لا أحب ان أبيع خرقتى المتواضعة وثيابي البالية برايات الملوك وأعلام السلاطين، ولا أرضى بان أهجر " فقرى " حرصا على مملكة "سليمان" ، إن هذا الكنز الذى اكتشفته في قلبى بفضل المجاهدة لا أريد ان أبادله برخاء الملوك وراحتهم وتنعمهم ".

ان تاريخ التصوف في الهند حافل بأمثلة رائعة من الزهد والقناعة والاعتزاز بالنفس والكرامة والمطوح والإيثار، لا تخلو من هذه الأمثلة طريقة صوفية في هذه البلاد، ونقدم هنا عدة أمثلة من القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وهوعهد رسخت فيه أقدام المادية في الهند.

" كان الشيخ شمس الدين حبيب الله المعروف بميرزا جان جانان الدهلوى من شيوخ الطريقة النقشبندية المجددية (م1195هـ) قال له ملك الهند مرة: ان الله أعطانى مملكة واسعة فأرجوان تقبلوا منها شيئا، فقال الشيخ: ان الله تعالى قد وصف الدنيا بالخسة والهوان فقال: (قل متاع الدنيا قليل) أما مملكتكم فهى ولاية صغيرة من إقليم من أقاليم هذه الدنيا فلا أريد ان أرزأكم في هذا الجزء الصغير، وقدم إليه مرة الأمير آصف جاه وزير المملكة المغولية في الهند

عشرين ألف روبية فلم يقبلها، فقال الأمير خذوها وقسموها على أهل الحاجة، فقال : انى لا أحسن هذا العلم فتولوا توزيعه بنفسكم فسينفد في الطريق فأن بقى منه شئ فسينفد بعد ذلك.

أراد مير خان أمير ولاية " تونك " أن يفرض راتبا سنويا لزاوية الشيخ غلام على الدهلوى فكتب إليه الشيخ بيتا معناه:

نحن لا نهين الفقر والقناعة ، ولا نخدش كرامتها، قل لمير خان ان الرزق مقجر من عند الله تعالى ".

زار حاكم كبير للحكومة الانجليزية الشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آبادى (م1313هـ) وقال وقد أثرت فيه كلمات الشيخ وموعظته البليغة: إذا قبلتم عينا لكم مرتبا من الحكومة، فقال الشيخ : ما أصنع بمالكم، إننى أملك من فضل الله سريرا وإبريقين من الفخار وجرتين للماء ، ويأتى بعض أصحابنا بالذرة فنصنع منها الخبز، وتطبخ زوجتى شيئا من الخضراوات نأكل بها ذلك الخبز، وفي ذلك كفاية.

يروى الأستاذ محب الله أن الأمير كلب على خان حاكم ولاية رامبور، أبدى رغبته في ان يشرفه الشيخ فسأله الأستاذ المذكور عما يقدم إليه إذا حضر ، قال: أهدى إليه مائة ألف روبية، فذهب الأستاذ إلى مرادآباد وقال للشيخ: ان الأمير في شوق لرؤيتكم ، ويقدم إليكم مائة ألف روبية إذا زرتموه، والشيخ يتحدث كانه لم يسمع شيئا مهما ، ثم قال : يا هذا احث التراب على المائة ألف، استمع قولى، وانشد بينا معناه:

" حينما نشاهد كرمه وفضله على هذا القلب ، نجد القلب أعلى وأعلى من جام جم "

نشر العلم والثقافة :

العلم كان أكبرهم هؤلاء المشايخ وبغيتهم، انهم حدبوا عليه وخدموه، وكان أكثرهم صاحب ذوق أدبى وعلمى رفيع، وكان عقيدتهم انه لا يمكن معرفة الله سبحانة بدون العلم، وأن

الصوفى الجاهل ألعوبة الشيطان ، ولذلك نراهم لم يستخلفوا للدعوة إلى الله النجباء ذوى الكفاءة والاستعدداد إلا بعد التحصيل العلمى.

والحقيقة أن الفضل في الحركة التعليمية والنهضة العلمية في الماضى يرجع إلى تشجيع هؤلاء الصوفية والمشايخ إما مباشرة وإما بواسطة ، وكان القاضى عبدالمقتدر الكندى والشيخ أحمد التهانيسرى – اللذان انتهت إليهما رئاسة التدريس في الهند- من رجال الشيخ نصير الدين " جراغ دهلى" والمدرس المشهور في القرن الحادى عشر الشيخ لطف الله الكوروى الذى نفقت به سوق الدرس والتدريس إلى القرن الثالث عشر كان شيخا في الطريقة الجشتية.

نحن نرى المدرسة والزاوية جنبا إلى جنب في أكثر الأدوار، فالزاوية الرشيدية في جونبور ومدرسة الشيخ بيرمحمد في لكهنؤ ومدرسة الشيخ ولى الله بن عبدالرحيم في دهلى، وزاوية الشيخ رشيد أحمد في "كنكوه" أمثلة رائعة للجمع بين التثقيف العلمى والتربية الروحية والخلقية.

الكفالة والمؤاساة :

ومن مآثر هؤلاء المشايخ وزواياهم أنها كانت مائة مأور أليه آلاف من الناس، وبجدون فيه طعامهم وشرابهم ومرافق حياتهم، إن هذه المائدة الملوكية الفاخرة، كانت مائدة عامة يردها الصديق والعدو، والقريب والبعيد، والغنى والفقير، وكانت مائدة الشيخ نظام الدين مشهورة يضرب بها المثل في السعة وكثرة أنواع الطعام واللذة والتانق.

وكان يحضر زاوية الشيخ سيف الدين السرهندى ألف وأربع مأة رجل يتناولون الطعام على مائدته صباح مساء، كل حسب رغبته واقتراحه.

أما الشيخ السيد محمد سعيد الانبالوى وهو من رجال القرن الثانى عشر فيسجل عنه مترجمون فيقولون:

" لم يكن عدد المشتغلين في زاويته أقل من خمس مأة نسمة في الزمن الأول وهكذا فقل عن الوافدين إليه والزائرين له".

زارة مرة روشن الدولة وكان أميرا من أمراء السلطان فرخ سير وقدم ستين ألف روبية لبناء زاويته فأمره الشيخ أن يترك هذا المال في مكان ويستريح، فانصرف" روشن الدولة" فأرسل الشيخ إلى الفقراء، وأرسل هذا لامال إلى اليتامى والمساكين وأهل الحاجة في" انباله" و "نهانيسر" و "سرهند "و " بانى بت " حتى لم بيق منه فلس، فلما أتى روشن الدولة قال له: " لا يبلغ الثواب في بناء العمارة ثواب خدمة ذوى الحاجة، والفقراء الذين أحصروا في سبيل الله " ووصلته مرة رسائل السلطان محمد فرخ سير والأمير روشن الدولة، والأمير عبدالله خان، وأمر بثلاث مأة ألف روبية فوزعها كلها في القرى المجاورة والأشراف الساكنين فيها.

وصدق الأستاذ مناظر أحسن الكيلانى إذ قال :

" ان هذه الزوايا وحدها كانت نقطة اتصال بين الأغنياء والفقراء، وكان منزل هؤلاء الصوفية والمشايخ " باطا " يدفع له السلاطين الخراج، فقد كان يحضر ولى العهد خضر خان عند الشيخ نظام الدين ويستفيد منه، وهكذا السلطان علاء الدين الذى كان يأتيه الخراج من الهند كلها كان مضطرا إلى أن يقدم الخراج إلى مكان آخر ".

إن هذه الوحدة والانسجام بين الغنى والفقير أعنى طبقة الصوفية والمشايخ التى كان يحضرها ويستفيد منها الأغنياء والفقراء على السؤاء كانت تقضى حاجت الطبقة الفقيرة، والحقيقة انه لم يخل دور من أدوار التاريق الهندى ولا بلد من بلاد الهند إلا وقد عمل فيه الصوفية والمشايخ بالحديث النبوى المشهور " تؤخذ من إغنيائهم وترد على فقرائهم " فكان ذلك رحمة بافقراء والمساكين وذوى الحاجة [1] .

ملاجئ انسانية :

إن تعليم هؤلاء الصوفية ومجالسهم الروحية انسأت في الناس حب الإنسان على اختلاف الديانات والثقافات والسلالات وخدمته، وإيصال النفع إليه، ومشاركته في الهموم والآلام.

كان شعارهم وعملهم بالحديث النبوى :" الخلق عيال الله فأحبهم إلى الله انفعهم لعياله " كانت قلوبهم فائضة بالرحمة والمؤاساة للإنسانية كلها، حدث الشيخ نظام الدين عن نفسف مرة فقال: يأتينى رجل ويحكى لى قصته، وفي نفسى من الهم والألم والتوجع لحاله مالا يجده هو نفسه[2] .

وقال مرة : لا شئ إغلى وأحب يوم القيامة من المؤاساة وجبر القلوب المنكسرة وإدخال الرور على أصحابها[3] .

---

1. **نظام التعليم والتربية ص 22**
2. **سير العارفين نسخة خطية**
3. **أيضا ص 28**

كانت نتيجة ذلك ان جرحى القلوب والفؤاد كانوا يجدون بلسما لهمومهم وأحزانهم في هذه الزوايا وملجألهم، إن حجر عطفهم وحبهم كان مفتوحا لكل من هجرة المجتمع أو الأسرة أو تنكر له الحظ، وأدبرت عنه السعادة، إن هؤلاؤ الذين لم يقبلهم أبناء أسرتهم أو طردهم أولادهم بعض الأحيان كانوا يقدمون إلى هؤلاء الصوفية والمشايخ ويعيشون في أحضانهم وفي كنفهم، ويجدون فيه كل ما افتقدوه من راحة البيت وانس الأحبة، ويزور هذه الزؤايا كل رجل مهما كان نسبه أو دينة ، فيجد فيها الإسعاف والرفد وخلاصا من هموم القلب وأحزانه وينال فيها الغذاء والدواء، والحب والعطف، والتقدير والإكرام.

لما أرسل اشيخ نظام الدين شيخه إلى دهلى قال له:

" ستكون كدوحة وارفة الظلال، يستريح خلق الله في ظلها**4**

والتاريخ يشهد بأنه قد استراح في ظله الوارف الوافدون من دهلى، ومن انحاء بعيدة سبعين سنة كوامل.

لقد كانت هناك بجهود هؤلاؤ الصوفية أشجار كثيرة وارفة الظلال في مئات من بلاد الهند استراحت في ظلها القوافل التائهة والمسافرون المتعبون ورجعوا بنشاط جديد وحياة جديدة.

---

1 سير الأولياء.

المـسلون في الهند شعب ممتاز

إن المسلمين مع امتزاجهم بالعنصر الهندى وتأثرهم الواسع العميق بطبيعة البلاد وشعوبها وثقافتها الذى نوه به " جوستاف لوبون " في كتابه " حضارة الهند " لا يزالون شعبا ممتارا في أخلاقه وطبيعته واتجاهاته ومنهج حياته، وعاداته التى أصبحت طابعا يتميّز به المسلم في كل ناحية من نواحى الهند، وهى الرابطة التى تربط المسلم في الشرق بأخيه المسلم في الغرب، والمسلم في الجنوب بالمسلم في الشمال، حتى يكون أشبه به من مواطنه الهندوكى الذى يعيش بجواره ويتكلم بلغته.

إذا قدر للقارئ الكريم أن يزور الهند من بلاد بعيدة ويختلط بالشعوب الهندية ويدخل في المجتمع الهندى لاحظ أن هناك شعبين ممتازين، وحضارتين، ومجتمعين ممتازين، وتجلّى له هذا الامتياز في مختلف نواحى الحياة، وفي مختلف مظاهر المدنية ، وفي الأخلاق والنزعات.

إذا كنت ضيفاعند صديق لك مسلم – وليس من اللازم أن تسبق بينكما معرفة أو تقوم بينكما صداقة – فالمسلم أخو المسلم، والمسلم الغريب ضيف أخيه المسلم المقيم، قدمت إليك مائدة واسعة فيها أوان كبيرة وصحون واسعة – بخلاف الطريقة الهندية القديمة- وأرغفة كبيرة، وكمية من الطعام كبيرة تفضل عن الضيوف ويجتمع عليها الضيوف وتختلف أيديهم في الصحون إن أحبوا ذلك، قالقلب واسع، والبيت واسع، والمائدة واسعة، وتجرب ذلك في كل بقعة من بقاع الهند، وفي كل أسرة إسلامية، اللهم إلا إذا نقطعت صلتها عن الحضارة الإسلامية، وعاشت في المجتمع الهندى القديم واندمجت فيه.

وإذا أراد واحد من المسلمين أن يأكل في القطار أو في غرفة الانتظار لا بد أن يدعوك إلى الطعام ويلح عليك.

إن هذا الاختلاف بين حضارتين عاشتا في الهند جوارا بجوار، وإن هذا الاختلاف في طبائع شعبين هنديين لا يزالان يعيشان في دار، وإن هذه الأناقة التى تتسم بها لحضارةالإسلامية في الهند، ورحابة الصدر واحترام الإنسانية الذى يمتاز به المسلمون في الهند استرعى انتباه كثير من الزائرين والرحالين من خارج الهند، وقد إغرى ذلك بعض الأذكياء والنابهين بدراسة الإسلام وروح الحضارة الإسلامية والاقتناع بالدين الإسلامي الذىخلق في أتباعه هذا التسامح وهذه النظرة الواسعة واحترام الإنسان وحب الأناقة والنظافة في كل شئ ورفع مستوى الحضارة، وكان سببا في إسلام بعضهم، وقد حكى العلامة محمد اقبال قصتين طريفتين لبعض أصدقائه الانجليز ننقلهما هنا:

يحكى المستر داؤد آبسن David Opson الصحافى الانجليزى الذى كان يصدر من لاهور صحيفة انجليزية مشهورة اسمها (Muslim Out Look) قصة إسلامه يقول فيها: قدمت من انكلترا وأقمت في بمبائى فكان أصدقائى الرجال الذين كانوا يسهمون في الحركات السياسية، ولم تكن لى صلة بالأوساط الدينية في بمبائى، وبدأت أسهم في لاحركات السياسية في الهند، وهنالك قابلت بعض المسلمين وبدأت أتردد إليهم ، ومرة دعانى مسلم وجيه إلى تناول الغداء عنده، ومدت مائدة على الطريقة الإسلامية وقدمت أطعمة شائعة في الشعب الإسلامي، وأعجبت بالأناقة وسلامة ذوق الشعب الإسلامي والطافته وقلت في نفس: إن شعبا رقت حضارته وكملت آدابه، وبلغ من سلامة الذوق ولطافة الحس هذا المتوى الرفيع لا بد أن يكون على مستوى رفيع في الدين والروحانية، ويتصف بالنظافة والأناقة في كل شئ، وهكذا اقبلت على دراسة الإسلام وحياة المسلمين، وتبين لى أن الإسلام على قمة من العلو والظرافة، بعيد في كل شئ عن السخافة والسماجة والإسفاف، وتتجلى هذه الأناقة والرقة والسمو في حضارته وفي طعامه ولباسه كما تتجلى في عباداته وفي أعماله وأخلاقه، ولك من يدين بالإسلام ويدخل فيه يعلو عن المستوى الذى قد عاش فيه.

والقصة الثانية قصة عالم انجليزى قدم إلى الهند ليضع كتابا عن الحياة في قرى الهند، ودعاه الاختلاف الذى شاهده في السلوك القروى المسلم والقروى لاهندوكى ونظرتهما إلى الإنسان إلى أن يحب الإسلام وأهله ثم يدخل في الإسلام ، ولنسمع قصته كما حكاها الدكتور محمد إقبال: يقول العالم الانجليزى:

" كنا نتجول كل صباح ومساء بين المزارع والحقول في قرى الهند، واتفق لنا أن خرجنا من منزلنا في الصباح واتبعدنا عن محلنا، وكان الزمن زمن الحصاد، وكان الرجال والنساء منبثين في الحقول يحصدونها، وعطشت وبحثت عن الماء فلم أجده إلا عند فلاح وكان الماء في جرة صغيرة، وأشاروا إلى بأن أجمع كفى، وجعل الفلاح يصب من فوق وأنا أكرع كالدابة ورويت وانصرفت، ولم أمس خطوات إلا سمعت هدة، والتفت ورائى فإذا بزوج الفلاح قد رمت الجرة على الأرض فكان لها صوت، وقد انفجرت تسب زوجها..تؤنبه تأنيبا شديدا لأنه نجس الاناء وضيعه، وعجبت من هذا السلوك ومن إهانة الإنسان للإنسان وأن يعامل أحد بنى جنسه معاملة الكلاب.

وعطشت مرة أخرى فكانت التجربة مختلفة عن التجربة الأولى كل الاختلاف، طلب رفيقى لى الماء من فلاح آخر فستقبله بالابتسام والترحيب وقدم الى أناء من خزف وأردت أن أجمع كفى وأكرع كالمرة الأولى فضحك الفلاح، وقال : لا داعى إلى هذا ، اشرب هنيئا، وشربت في حرية، وانطلقنا وأنا انتظر ان أسمع هدة كالأولى وانتظرت أن أسمع تأنيبا من امرأة الفلاح كما سمعت أول مرة ولكن شيئا من ذلك لم يحدث، فتعجبت لهذا الاختلاف الواضح بين رجلين من طبقة واحدة ومن بلد واحد، وسألت عن السبب فقيل لى : إن الفلاح الثانى مسلم لا يعتقد نجاسة الإنسان بل يؤمن بكرامته وشرفه، ويؤمن بأن الناس كلهم من آدم وآدم تراب، وهكذا علمه القرآن وعلمه رسول الإنسانية، ولذلك انتشر الإسلام هذا الانتشار الواسع في القارة الهندية، وكان ذلك سبب عنايتى بدراسة لاحضارة الإسلامية والدين الإسلام وسبب اهتدائى للإسلام".

ومن سمات هذا الشعب الإسلامى – الهندى وطبيعته حبه للنبى العربى صلى الله عليه وسلم حبا أصبح له شعارا وسمة، وظهر في حياته وأدبه وشعره، وقد نبغ في الهند أشعر شعراء " النبويات " والمدائع النبوية – بعد الجامى والقدسى وبعض شعراء إيران – ونظمت فيها أبلغ قصائد ومنظومات وأبيات في المدح النبوى، ونشأ أدب زاخر قوى ومكتبة عظيمة غنية في الشعر الفارسى والأردى والهندى في مدح النبى صلى الله عيه وسلم ، ووصف حليته وسمائلة ونظم سيرته وغزواته، فيه كل معجب مطرب يثير الحنا، ويقوى الإيمان ، ويدل على قوة العاطفة الدينية والحب العميق المخلص والشاعرية القوية، ونبغ في هذا الموضوع شعراء كبار وانقطع بعضهم إلى هذا الموضوع ووهبوا له قريحتهم ومواهبهم وحياتهم.

ومما يمتاز به الشعب الإسلامي الهندى ، اتساع أفق فكره وحرصه على الاتصال بالعلم، وتمرده على حدود العنصرية والقومية الضيقة، والوطنية المحدودة، ونزعته الدائمة إلى العالمية وألآفاقية، وذلك سراندفاعه إلى كل حركة ترمى إلى الوحدة الإنسانية والجامعة الإسلامية، ولذلك لم يزل هذا الشعب يعطف على القضايا الإسلامية ويتبناها، ويتألم لها ويثور كأنها قضيته الخاصة، وقد ظهرت هذه الحماسة وهذا العطف في أروع مظاهر زمن حركة الخلافة، وقد اكتتب لها الشعب بسخاء وأريحية وحماسة لم تعرف في قضية أخرى ، وهكذا ظهر منه في حرب طرابلس وبلقان من الاهتمام بأمر المسلمين والتألم بما نابهم، ما يدل على قوة الإيمانبالجامعة الإسلامية، وقد اهتم بقضية فلسطين وعقد عدة مؤتمرات لهذه القضية في عواصم الهند وشاركت الصحف في القضية ، وذلك سرعدم انجراف هذا الشعب ف سبيل الحركة القومية الهندية انجرافا يفقده شخصيته، ويقطع صلته عن العالم الإسلامي ويحمله على تقديسها والغلو في تمجيدها.

ومن خصائص هذا الشعب الإسلامي الهندى شدة تعلق قلوب أفراده بمهد الإسلام ومنزل الوحى ومدينة الرسول صلى الله عيله وسلم والحنين إلى مكة والمدينة، فقد تغنى بذلك شعراؤهم

قديما وحديثا، وعاش الشعب الإسلامى الهندى في هذا الأمنية العزيزة الذيدة العامة والخاصة حتى عرف ذلك عنه ، وعيّرا المسلمين بذلك غلاة الوطنية والقومية ، وحقدوا على هذه العاطفة الدينية القوية التى تربطهم بالخارج ربطا روحيا فهى تنافى في عمهم الإخلاص للوطنية والحماس القومى [1] وفي الحقيقة لا منافاة بينهما ، فالإنسان يستطيع أن يجمع بين الحب لوطن روحى وجسمى ، فالجزيرة العربية هى البقعة التى أشرق منها نور الإسلام وأنقذ المسلمين من براثن الجاهلية والوثنية، وأخرجهم من الظلمات إلى النور وهم ينظرون إليها كمنقذ ومرشد ومعقل للإسلام ومركز للثقافة، ويحجون إليها في عدد كبير كل عام.

ولا يزال هذا الشعب ممتارا في كثير من أخلاقه وعاداته وخصائصه رغم انحطاط عظيم أصيب به هذا الشعب تبعا للأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية، و رغم تطور عظيم حدث في الحضارة والقيم الخلقية، فلا يزال ممتار – في أكثر الأحوال – في القدرة الإدارية وسرعة القضاء وقوة التنفيذ،ولا يزال كثير من أفراده يشغلون مناحب خطيرة ومراكز ذات قيمة وأهمية ، ويمتازون بالأمانة ومجانبة الرذائل الخلقية ، لذلك يمتمتعون بثقة الحكومات وتوسد إليهم أمور ذات بال وقضايا ومراكز تقتضى الأمانة الفائقة والاستقامة الظاهرة والذكاء النادر.

يدل على ذلك كلمة لكاتب هندى نشرتها صحيفة هندو كية يقول فيها : " إن المسلمين الهنود يعتبرون أنفسهم أمة منفصلة متميزة، ولا يزالون يتغنون ببلاد العرب ويحنون إليها ، ولو استطاعو الأطلقو اعلى الهند اسم العرب.

الدور الذى قام به المسلمون في تحرير الهند

كان مركز المسلمين القنائد في حركة تحرير الهند وإجلاء الإنجليز – وقد كان ذلك طبيعيا- لأنهم هم ولاة البلاد وسادتها حين احتل الإنجليز هذه البلاد، وبدأ الأخطبوط الانجليزى ينفث سمومه، ويبتلع هذه البلاد قطعة قطعة وإمارة إمارة.

وأول من انتبه لهذا الخطر الملك الهمام الشهم الغيور " فتح على خان" المشهور بالسلطان تيبو (1213هـ - 1799م) الذى عرف ببعد نظره وألمعيته أن الانجليز سيزدردون هذه البلاد كلقمة سائغة إذا لم تقم في وجههم قوة منظمة، فحارب الانجليز بكل ما كان يملكه من قوة حربية وعدة وعتاد ، وحرض أمراء الهند وأقيالها على القضاء على هذه الجرثومة الانجليزية السامة، وحاولا الاتصال بالسلطان سليم العثمانى والملوك المسلمين وأمراء الهند، وراسلهم ، وظل يحارب الانجليز حربا عنيفة لا هوادة فيها، وكاد ينهار كل ما بناه الانجليز وأملوه في الهند لولا أنهم نجحوا في ضم أمراء الهند في جنوب الهند إلى معسكرهم ، وسقط الملك المجاهد صريعا في المعركة، (في اليوم الرابع من مايوسنة 1799م) وفضل الموت في المعترك على الأسر في يد الانجليز والحياة في ظلهم وتحت رحمتهم ، وقال كلمة الخالدة المأثورة في التاريخ: " يوم من حياة الأسد خير من مائة سنة من حياة ابن آور "ولما بلغ القائد (Horse)شهادة السلطان حضرو وقف على جثته وقال : " اليوم الهند لنا" .

ولم تعرف الهند – في تاريخها الطويل – قائدا أعلى همة، وأبعد نظرأ ، وأشد غيرة على الدين والوطن، وأعظم عداء وبغضأ للمحتل الأجنبى ، من" تيبو سلطان "ولم تكن في الهند شخصية أبغض إلى الانجليز وأثقل عليه من تيبو، حتى ظلوا زمنا طويلا- وقد أدركنا ذلك العصر- يسمون كلابهم باسمه شفاء القلوبهم وإهانة لرمز الوطنية والجهاد [1]

---

1. .كتب الزعيم غاندى مقالة صحيف " الهند الفتاة" (YOUNG INIDA) أشاد فيها بعظمة السلطان ووطنيته وتسامحه وقال : لا نعرف أعظم منه في شهداء الوطن والأمة.

وثارت الجنود الانجليزية في مايوسنة 1857م بعد ما جرب الهنديون الحكم الانجليزى وغطرسة الانجليز، وانهابهم لثروة البلاد، وقلة احتفالهم بالعاطفة الدينية وكرامة أهل البلاد،

وانتشرت الثورة في الهند انتشار النار في الهشيم، فكانت ثورة شعبية عامة ساهم فيها المسلمون والهنادك سواءا بسواء، وتوجه الثوار إلى دهلى مقر الملك المغولى الأخير سراج الدين بهادرشاه [1]، وجعلوه قائدا للثورة ورمزا للوطنية الموحدة والكفاح الشعبى ونادوا به ملكا للهند شرعيا، وخليفة آبائه ملوك الهند الصناديد المغول الأباطرة، وقاتل الثوار في كل بقعة من بقاع الهند تحت رأيته وباسمه، ينظرون إليه كزعيم للجهاد الدينى والوطنى ، وينظرون إلى دهلى كعاصمة الحكومة الهندية الدائمة ولم يشذ عن ذلك شاذ[2]

وبالرغم من ان هذه الثورة أو حرب التحرير – كما يصح أن تسمى – كانت شعبية عامة يقاتل فيها المسلمون والهنادك جنبا بجنب، ولم تعرف الهند حماسة وطنية ووحدة شعبية قبل هذه، كان للمسلمين السهم الأكبر في القيادة والتوجيه، وكان منهم العدد الأكبر والأهم من القادة والزعماء، وقد صرح السروليم هنتر بأن جمرات الجهاد التى أشعلها السيد أحمد الشهيد(1246هـ) هى التى ألهبت نار هذه الثورة .

وقد كان من أكبر العلماء والمشائخ الذين قادوا الثورة وأشهرهم مولانا أحمد الله ومولانا لياقت على، وهما اللذان تزعما الحركة، وكان الجنرال بخت خان هو القائد العام ونائب الملك [3]، وكان للحاج إمداد الله التهاذوى، ومولانا محمد قاسم النانوتوى، ومولانا رشيد أحمد الكنكوهى، والحافظ محمد ضامن الشهيد، وغيرهم من العلماء والمشائخ سهم فيها ، وخاضوا في بعض المعارك ، وقد ذكر الكتاب الهندوسى المعروف سندرلال عددا من كبار المساهمين في هذه الثورة المسلمين منهم خان بهادر خان ، بيرعلى ، على كريم.

---

1. **كان حكمه محدودا في القلعة الحمراء والانجليز يحكمون البلاد باسمه ونيابة عنه.**
2. **إلا السيخ – مع الأسف – وبعض الأمراء الذين قمع الانجليز بهم الثورة**
3. **كان من جماعة السيد احمد الشهيد بائع أحد رجال طريقته ، وأخذ منه الشيخ العهد والميثاق لقتال الانجليز.**

ويكتب هومز: كان مولوى أحمد الله شاه أكبر أعدء الانجليز في شمالى الهند، يقول سندرلال: ما من شك أن اسم الشيخ أحمد الله شاه من شهداء 1858م سيخلد محترما في تاريخ شهداء الحرية في العالم (سن ستاون208) .

وكتب " مالى سن " كان المولّوى (أحمد الله) رجلا محيرا للعقول وقد عثر على عدة دلائل وبراهين تثبت صلاحيته كقائد لحركة الثورة، فلا يستطيع أحد غيره أن يدعى الفخر والاعتزاز أنه هزم " السير كالن كيب بل " في ميدان القتال مرتين.

وأضاف يقول في كتابه: كان أحمد الله شاه وطنيا مخلصا فلم يلطخ سيفه بدم عن عازل عن السلاح، يحارب بجرأة وصمود في ساحة القتال ، أولئك الأجانب الذين كانوا اغتصبوا وطنه، ويجب على كل بطل ومخلص في كل بلد أن يذكر المولوى أحمد الله باحترام وإكرام.

ويكتب هومز: مهما يكن الأعداء وحشيين وقساة كان قائدهم صالحا لقيادة الجيش العظيم، وحماية هدف نبيل عال من كل ناحية.

ولما أخفقت هذه الثورة – لأسباب شرحت في الكتب التى ألفت في هذا لاموضوع- صب الانجليز على أهل الهند جام غضبهم وانتقموا منهم انتقاماً شديدا[1]

وبطشوا بالهنديين- شعبا وأمة – بطشة جبار لا يعرف الرحمة، ولا يعرف العدل ، ولا يعرف الإنسانية، ولا يعرف الحدود، وكانت مجزرة هائلة جددة ذكرى مذاب جنكيز وهولاكو، وقد قتلوا ثلاثة من أبناء الملك الشبان المأسورين بعد ما أعطوهم الأمان والعهد والميثاق بهمجية وقساوة امتعض منها كثير من الانجليز، وقد شنقوا ثلاثة وعشرين من أبناء السرة الملكية فيهم مرضى وزمنى وشيوخ عجز.[2]

---

1. **وقع من الثوار – المسلمين وغير المسلمين – الاعتداء على النفوس البريئة والضعيفة والنساء والأطفال من الانجليز في بعض المناسبات، وتخطوا حدود الدين والأخلاق والمروءة في شدة ثورتهم ولعدم النظام ولكن ما وقع من الانجليز مقابل ذلك لا يعلل إلا بالجنون والهمجية والضراوة بالدم الإنسانى، ولا يليق بأمة مثقفة تتزعم العلم والمدينة.**
2. **الأستاذ ذكاء الله في " عروج سلطنت النكشية" ج 3 ص 708**
Baseworth Smith Life Of Lord Lawrence V-2-P, 158

وأهانوا الملك وحاكموه محاكمة مهينة ذليلة، وكانوا حريصين على قتله أشنع قتلة إلا أن ضابطا منهم كان قد وعد أن يحافظ على حياته ليسلم نفسه إليه فحمكوعليه بالنفى المؤبد إلى " رنجون " حيث مات طريدا وشريدا عليه في الرزق مضيقا عليه.

ودخلت الجيوش الانجليزية في دهلى فكان تفسيرا لقوله تعالى (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) وقد أذن للجيوش في نهب العاصمة ثلاثة أيام فطبقته تطبيقا فظيعا، وقد كتب جون لورنس الحاكم الانجليزى المشهور في ديسمبر 1857 إلى القائد الانجليزى:

1." اعتقد أن الطريقة التى انتهبنا بها جميع الطبقات من غير تمييز بينها ستصب علينا السخط العام وستصب علينا اللعنان إلى الأبد وإننا نستحق ذلك[1]

وقامت سوق القتل والنهب في دهلى على قدم وساق، والدماء تسفك، والرقاب تضرب، والرصاص يطلق من غر تمييز والبيوت تنهب ، وقد خرج كل من استطاع أن ينجو بنفسه وأهله وعرضه، حتى أصبحت المدينة التى كانت عروس البلاد وعاصمة الهند مقفرة موحشة ليس فيها إلا البيوت الخاوية، والأنقاض المتراكمه والجثث المتعفنة، أو الجنود المفترسة، وإليك تصوير البلد من قلم قائد قواد الجيوش الانجليزية (Lord Roberts)وقد كان مسافرا بجيشه من دهلى إلى كانبور يقمع الثورة، وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من سبتمبر 1857م بعد ما استولى الجنود الانجليز على دهلى وتملكوا القلعة الحمراء [2]يقول روبرتس في كتابه " إحدى وأربعون سنة في الهند ":

---

1. **القلعة الحمراء بناها الامبر الطور شاه شجهان ، وكانت مركز المكومة المغولية**
2. **وكان فيها في العهد الأخير بهادر شاه.**

2. .كان المسير من دهلى في نور الصباح الباكر وكان منظرا هائلا، خرجنا من القلعة من بابها الذى يسمى باب لهاهور، ومررنا بالشارع الكبير الذى هو مركز البلد وأكبر أسواقها " جاندنى جوك " لقد كانت دهلى في الحقيقة مدينة الأموات ليس بها داع ولا مجيب، فلا صوت إلا صوبت سنابك الخيل، ولم يقع بصرنا على عرق ينبض أو عين تطرف، لم تكن هنالك إلا جثث هامدة مبعثرة هنا وهناك، وقد كانت هذه الجثث في أوضاع مختلفة خلفها صراع الحياة والموت في أدوار مختلفة من التفكك، وكنا لا نتكلم إلا همسا حتى لا نزعج هؤلاء الأشقياء الذين كانوا مستغرقين في نومة الموت، إن ما رأيناه من المناظر كانت هائة مفزعة وكانت مؤسفة محزنة، وقد كانت بعض الجثث ينتهشها كلب، وكان عند بعضها نسر يرفرف جناحه ويحاول أن يطير فلا يستطيع بفرط الشبع والثقل ، وقد كان بعض الأموات يتراءون أحياء فقد رفع بعضهم يده في الاحتضار فبقيت مرفوعة كأنه يشير إلى جانب، لقد كان منظرا مهيبا موحشا لا يمكن تصويره، وكأن خيلنا قد استولى عليها الذعر فكانت بجفل وتنتفخ مناخرها، وقد كان المحيط كله مروعا ولا يمكن تصوره ، وقد كان تعفن بروائح مضرة تولد الأمراض[1]

لقد كانت المجزرة شعبية وطنية عامة ، ولكن كان المسلمون بصفة خاصة هدف هذه الإهانات والفتك الذريع، لأن كثيرا من الانجليز المسئولين كانوا يعتقدون أنها ثورة إسلامية ، وأن المسلمين هم مصدر الثور وأصحاب فكرتها وهم الذين تولو اكبرها، يقول كاتب انجليزى (Henry Mead) :

3." ان هذه الثورة لا يصح في المرحلة الحاضرة أن تمسى ثورة الجنود لقد انفجرت الثورة منهم ولكن مسرعان ما تجلت حقيقتها وظهر أنها ثورة إسلامية"

ولذلك كانوا بخصون المسلمين بالقتل والبطش ، يقول: مؤرخ معاصر:

---

1. Lord Reberts : Forty One Year In Indi. P. 142

4." قد كان شعار بعض رؤساء الانجليز أنهم كانوا يعتبرون كل مسلم ثائرا وكانوا يسألون الرجل أنت هندوكى أو مسلم؟ فإذا قال مسلم قتله بالرصاص" [1]
ويقول:

5." إن هؤلاء الانجليز كلما رأوا مسلما عليه مسحة من جمال أو له جسم قوى اقتنصوه وشفوا قلوبهم بقتله، وقد قتل عدد كبير من الوجهاء وألأشراف وأصحاب البيوتات الذين بقوا في البلد، كانوا يقتلون الأبناء الشبان أمام آبائهم الشيوخ ، ويقولن للوالد العجوز: أ،ح بنفسك ، وقلما أفلت من أيديهم مسلم جميل الوجه صاحب حسب ووجاهة حتى أثر ذلك في النسل، وأصبح لا يولد في دهلىمولود فيه الوسامة والجمال، فإذاقارن أحد بين المسلمين قبل الثورة والمسلمين بعدها رأى فرقا واسعا بين الجيلين في الجمال والوسامة [2].
ثم جاء دور الشنق، ونصبت مشانق وأعواد على الطرق العامة والشوارع، وأصبحت مواضع نزهة عامة يتفرج عليها الانجليز ويتمتعون بمناظر احتضار المشنوقين وهم يدخنون ويتحدثون، فإذا تم عمل الشنق ولفظ المشنوق نفسه الأخير، استقبلوه بالضحك والابتسام، وفي هؤلاء الأشقياء أصحاب الامارات وكبار الأشراف، وقد شنق بعض الأحياء الإسلامية على بكرة أبيها، ويذكر مؤرخ معاصر:

6." إن سبعة وعشرين ألفا من المسلمينقتلوا شنقا، واستمرت المجزرة سبعة أيام متواليات لا يحصى من قتل فيها، أما السلالة التيمورية فقد حاول الانجليز أن يستأصلوا شافتها ، فقتلوا حتى الصبيان، وعاملوا النساء معاملة همجية تقشعر منها الجلود: [3]

7. " إن ضباط جيوشنا كانوا يقتلون المجرمين من كل نوع، وكانوا يشنقون من غير رحمة وألم كأنهم كلاب أو بنات آوى أو حشرات خسيسة [4]

---

1. **الأستاذ ذكاء الله الدهلوى " عروج سلطنت انكلشية " ص 712**
2. **الأستاذ ذكاء الله الدهلوى" عروج سلطنت انكلشية " ص 712**
3. **السيد كمال الدين حيدر في " قيصر النواريج" المجلد الثاني ص 454**
4. **ميلى سن، ج 3 ص 177**

ويقول قائد قواد الجيوش الانكليزية " Lord Roberts " في رسالة كتبها إلى أمه في 21 يونيوسنة 1857م:

8." إن أهول طريقة لإعدام هو ان يرمى المجرم بالمدفعة، إنه حقا منظر هائل ولكن لا نستطيع في هذا الوقت أن نأخذ بالاحتياط، إن هدفنا ان نثبت للمسلمين الأشرار أن الانجليز لا يزالون – بنصر الله – سادة الهند" [1]

وهكذا دفع المسلمون أبهظ ثمن وأغلاه لهذا الجهاد، وظل قادة الفكر والسياسة وأقطاب الحكومة من الانجليز يعتقدون أن المسلمين هم المسئولون عن ثورة 1857م، لا يتخلون عن تبعاتها جيلا بعد جيل، وقد قال هنرى هملنتن تامس "Henry Hamilton Thomasأحد كبار الموظفين الانكليز في بنغال في كتابه " ثورة الهند الماضية وسياستنا المستقبلة"
(Late Rebellion In India & Our Future Policy)الذى ألفه في سنة 1858 يعنى بعد الثورة بسنة فقط،
والكلمة تشرح عقيدة الانجليز ووجهة نظرهم عن المسلمين بعد الثورة، يقول:

9." لقد قدمة أن الهنادك لم يكونوا أصحاب الفكرة في ثورة 1857م ولم يكونوا مصدرها، وسأثبت في هذه المناسبة أن الثورة كانت نتيجة مؤامرة المسلمين، إن الهنادك إذا تركت لهم الحرية وكانوا محدودين ففي وسائلهم لم يكونوا ليساهموا في مثل هذه الثورة وما كانوا يودونها، إن المسلمين لم يزالوا ولا يزالون منذ عهد الخليفة الأول مستكبرين غير متسامحين، وظالمين، لم يزل هدفهم الدائم أن تقوم الحكومة الإسلامية بأى وسيلة كانت ، وأن ينشأ الناس على كراهة المسيحيين ، إن المسلمين لا سيتطيعون أن يكونوا رعية وفية لحكومة تدين بغير دين الإسلام لأن ذلك مستحيل في ظل أحكام القرآن".

---

1. **تامس ، ص 40**

وقد كانت هذه هى السياسةالمتبوعة في الحكومة الانجليزية القائمة، وهى القاعدة التى يسير عيها موظفوها الكبار، ورؤساء المصالح، إقصاء المسلمين عن المراكز الكبيرة في الحكم والإدارة، وسد أبواب الرزق الشريف عليهم ، ومصادرة الأوقاف والأملاك التنتدر على مدارسهم ومؤسساتهم ، وتأسيس مدارس ونظام تعليمى لا ينشط المسلمون للإفادة منه [1]، وقد كان يعلن في بعض بلاغات رسمية أن الوظائف الفلانية لا يقبل فيها إلا الهنادك [2]، يقول هنتر:

" إن المسلمين وإن كانوا يملكون المؤهلات والكفاءة المطلوبة لوظيفة، ولكنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمى [3]

وقد كان غضب الانجليز شديدا واضحا في قضايا المسلمين كلها، فكانوا يؤخذون بأقل تهمة وأبعد وشاية، وكانوا يؤخذون بالظنة ويعاقبون أشد العقاب، وقد حارب الانجليز فل المجاهدين المعتصم في الجبال في حدود الهند الشمالية الغربية حربا شعواء، وأنفقوا في ذلك نفقات باهظة وتحملوا خسائر عظيمة، وحاكموا في الهند كل من ظنوا به أقل اتصال بهذه الجماعة – جماعة السيد الإمام أحمد الشهيد – حاكموا جماعة من العلماء الأجلاء والمثقفين والوجهاء والتجار في " بتنه "و" تهانيسر" و" لاهور" سنة 1281 هـ - 1864 م محاكمة ظهر فيها حقد الانجليز وتوترهم من المسلمين بصفة عامة، ومن هؤلاء الذين سماهم الانجليز وأعوانهم " وهابيين " بصفة خاصة ، وحكمواعلى مولانا يحيى على ومحمد جعفر التهانيسرى ومحمد شفيع اللاهورى بالإعدام ، وقال القاضى في حكمه: "

---

1. **اقرأ تفصيل ذلك في كتاب و، و، هنتر " مسلمو الهند " W.W. HUNTER : INDIAN MUSSALMANS**
2. **مسلمو الهند " للدكتور هنتر ص 158**
3. **.مسلمو الهند للد كتور هنتر ص** 158

سأكون مسروراً وسعيدا إذا رأيتكم معلقين على المشانق تلاقون جزاءكم" وكان الانجليز ونساءهم يأتون إلى السجن ليمتعوا نفوسهم ويقروا عيونهم بالكآبة التى تغشى هؤلاء الأشقياء" الذين تنتظرهم المشنقة، ويجزعهم وهلعهم ، ولما رأوا أنهم جذلون مسرورون ينتظرون الشهادة في سبيل الله بقلوب تواقة مؤمنة، ونفوس راضية مطمئنة ، كبر ذلك عليه ، وجاء الحاكم الانجليزى وقرأ حكم المحكمة النهائية بتبديل الإعدام بالنفى المؤبد إلى جزائر " اندمان " قائل: إنه لا يحب أن يسرهم ويحقق أمنيتهم ويكرمهم بالشهادة التى يعدونها أكبر كرامة،

وبهذا الطريق الغريب العاطفى الذى لم يعرف عن أمة دستورية كالانجليز، نفى الشيخ يحيى على العظيم آبادى،وشقيقه الشيخ احمد الله العظيم آبادى ، والشيخ عبدالرحيم الصادقبورى، والشيخ محمد جعفر التهانيسرى، إلى بورت أندمان " سنة 1865م ومات الشيخ يحيى على والشيخ أحمد الله في " إندمان " ورجع الشيخ عبدالرحيم والشيخ محمد جعفر بعد ثمانى عشرة سنة بعد الحياة الطويلة في الجلاء والبلاء ، وصودرت أملاك أسرة صادقبور لاواسعة، في " بتنه " عاصمة ولاية بيهار " وهدمت مبانيها الضخمة ومشت فيها السكة، وبنيت على أنقاضها مبانى البلدية ودوائر الحكومة، ونسفت مقابرهم ودرست ، كل ذلك انتقاما من الأعداء وشفاءا للغيظ [1] وكذلك نفى إلى " إندمان " جماعة من العلماء الأجلاء كالعلامة فضل حق الخير آبادى، والمفتى عنايت أحمد الكاكوروى والمفتى مظهر كريم الدريابادى، ومات العلامة فضل حق في المنفى، ورجع العالمان الآخران بعد ما مكثا مدة طويلة في الجلاء.

إن هذه المعاملة القاسية الشاذة التى استمرت مدة طويلة كانت سبباً لتخلف المسلمين في الثقافة والعلم، ومنعتهم عن أن ينالوا قسطهم في الإدارة ومصالح الحكومة، وقد شغلهم الدفاع عن أنفسهم ونفى التهم التى كانت توجه إليهم بين حين وآخر ، عن المساهمة في سياسة البلاد ومجاراة الشعوب الأخرى التى كانت تتقدم بخطى واسعة، وتنال من الحكومة كل تشجيع وعطف في الوعى القومى والشعور الوطنى.

---

1. **اقرأ القصة بطولها في مقالتنا " من الشنق إلى النفى " في كتاب" إذا هبت ريح الإيمان**

قام المؤتمر الوطنى العام سنة 1884 وحضره عدد مشرف من وجهاء المسلمين والرجال المثقفين، وقد رأس حفلته السنوية الرابعةلاتى انعقدت سنة 1887م في " مدراس " الأستاذ " بدرالدين طيب جى " وحضره الوجيه الفاضل " مير همايون جاه " وتبرع للمؤتمر بخمسة آلاف روبية، وحصره لفيف من الوجهاء والأغنياء من المسلمين والمحامين والتجار.

وكان رعيم الحركة التعليمية الإسلامية " سرسيد أحمد خان " (مؤسس الجامعة الإسلامية في عليجراه) من دعاة الاتحاد الوطنى ، إلا أنه بعد فترة قصيرة اتبع سياسة الانفصال عن المؤتمر بدافع الإشفاق على المسلمين، الذين كانوا لا يزالون ضعفاء في الثقافة والوعى السياسى ، ومتخلفين في الحياة والاقتصاد والتعليم، وحذر المسلمين عن الوقوع في نفوذ الهنادك المتحمسين ، والبنغاليين المتطرفين ، الذين بدأوا ينتقدون السياسة الانجليزية ويطالبون بحقوقهم، وأشار عليهم بتكوين جبهة إسلامية والابتعاد عن " السياسة " التى قد تثي عليهم الأحقاد القديمة وتخلق المشكلات الجديدة[1]

وحضر حفلة المؤتمر السنوية الخامسة التى انعقدت في " اله آباد" عام 1888م بعض كبار العلماء ، وهكذا ظل المسلمون يساهمون في نشاط المؤتمر ويشاركون مواطنيهم في هذه المؤسسة الوطنية الكبيرة.

وفي سنة 1912م نشبت حرب بلقان وانطلقت موجة عنيفة من السخط العام على الحكومات الأروبية، وزعيمتها الحكومة البريطانية وحلفائها، وانفجر الوعى السياسى الإسلامي الشرقى، وصدرت صحيفة " الهلال" الأسبوعية التى كان ينشئهتا مولانا أبوالكلام آزاد، وكانت تنشر مقالا ت تكتب بقلم من نار، وتنتقد السياسة الأوربية الصليبية في قوة وبلاغة لا بعرف لها نظير، ويتهافت على قراء تها آلاف مؤلفة من الوطنيين ،

---

1. لا شك أن هذه السياسة وهذا الأسلوب للتكفير كان خاطئا، وكان نتيجة تأثير الداهية الانجليزى المستر بيك وخليفته المستر مؤريس الذين ظلا يقودان عقلية المسلمين وسياتهم مدة طويلة، وقد جنى هذا الاعتزال عن السياسة على كيان المسلمين وحياتهم القومية

وصدرت مجلة " كومريد " (Comrade)الانجليزية التى كان ينشئها مولانا محمد على [1]من كلكتا، ثم انتقلت إلى دهلى ، وينتقد فيها السياسة الانجليزية في اسلوب أهبى ساخر، وكذلك جريدة "زميندار" لصاحبها مولانا ظفر على خان ، وصحف إسلامية أخرى، وبذلك التهبت نار الثورة الفكرية في الهند، واعتقلت الحكومة زعماء المسلمين، محمد على ، وشوكت على ، وأبوالكلام آزاد ، وحسرت موهانى.

وكان رئيس أساتذة دارالعلوم ديوبند مولانا محمود حسن (الذى اشتهر بعد بلقب " شيخ الهند ") من كبار الحاقدين على الحكومة الانجليزية ، ولا نعرف أحدا بعد السلطان تيبو من يبلغ مبلغه في عداء الانجليز والاهتمام بأمرهم، ومن كبار أنصار الدولة العثمانية التى كانت زعيمة العالم الإسلامي، وحاملة لواء الخلافة، وكان من كبار الدعاة إلى استقلال الهند، وتأسيس الحكومةالوطنية الحرة، وكان من الذين ملكتهم هذه القضية وتفانى فيها، وحاول الاتصال بحكومة إفغانستان ورجال الدولة العثمانية كأنور باشا وغيره، وقد أسرته[2]
حكومة الانجليزية التى نفته وزملاءه وتلاميذه (مولانا حسين أحمد المدنى، ومولانا عزيز كل، والحكيم نصرت حسين ، والأستاذ وحيد أحمد) إلى جزيرة مالطا سنة 1335هـ- 1917م، مكثوا هنالك إلى سنة 1338هـ - 1920م وكان مولانا عبدالبارى الفرنجى محلى مؤسس جمعية العلماء من كبار المتحمسين للقضية الوطنية ، ومن كبار قادة حركة الخلافة.

وفي سنة 1918صدر تقرير رولت (Rowlatt Report) وهوجم فيه المسلمون بصفة خاصة مهاجمة عنيفة، واتهموا بالثورة، وكان رد الفعل عنيفا ضد هذا التقريقر في طول الهند وعرضها.

---

1. **الزعيم مولانا محمد على زعيم حركة الخلافة دفين القدس.**
2. **وأخذ فعلا رسائل من أنور باشا وجمال باشافي تأييد قضية الهند وكفاحها ضد الانجليز وحث الرعايا التركية على مساعدة مولانا محمودد حسن ، وقد دسها أصحاب الشيخ في جوف ألواح صندوق خشبى وملأه بقماش الحرير وأرسله إلى الهند حيث وصل إلى أصحابه، ومن هنا اشتهرت القصة بالرسائل الحريرية، وذكرها (Rowlattt) في تقريره المشهور..**

وفي سنة 1919 أطلق سراح محمد على وشوكتعلى وتجلى اتحاد المسلمين والهنادك في أروع مظاهر ، واتحدوا في مهاجمة الحكومة الانجليزية وسياسة خلفائها في قضية لاحكومة العثمانية، والنداء إلى تحير الوطن وتأسيس الحكومة الاستقلالية، وأصبحت الهند كمرجل ثائر يغلى حماسة وثورة.

واسترك في هذه الحركة (التى كانت ترمى في الهناية إلى تكوين الوعى السياسى، الحاس الوطنى وكراهة الانجليز) غاندى بكل نشاط وحماسة وقام برحلات طويلة مع محمد على وشوكت على، كان يخاطب فيها الجمهور ويخطب في الحفلات الكبيرة التى لم تشهد البلاد مثلها، ولا اتقد أنها ستشهد مثلها، وكان الجمهور يستقبل هؤلاء الزعماء بحماسة منقطعة النظير ويهتف بحياتهم.

وفس سنة 1920 م اقترح غاندى ومولانا أبو الكلام آزاد – الذى كان من كبار زعماء الخلافة وحركة التحرير وأحد قادة الفكر في الهند – مقاطعة البضائع الأجنبية ومقاطعة الحكومة الانجليزية والإضراب عن التعاون معها في دوائرها وفي جيوسشها، فكان أمضى سلاح استعمل في حرب التحرير والكفاح الوطنى في أى بلد حسبت له الحكومة الانجليزية كل حساب، وكاد يشل الجهاز الادارى وينشر الثورة العامة.

وكان كل ذل ينذر بانتهاء الحكومة الانجليزية ويحرج جهاز الحكومة البريطانية في هذه البلاد البعيدة، إلا أن السياسة الانجليزية أطلقت سهمها الأخير الذى لا يطيش عادة في البلاد الشرقية، وهو سهم التفريق والإفساد، وأقنع الحاكم العالم ورجال الحكومة أحد الزعماء الوطنيين الهنادك بضرورة الدعوة إلى الديانة الهندوكية، وإرجاع من دخل من أهل البلاد في الدين الإسلامي إلى ديانتهم القديمة، وتنظيم الشعب الهندوكى على أساس دينى قومى حربى، فقد ظهر تفوق المسلمين وحماستهم وحسن نظامهم في حركة الخلافة والتحرير، وكانت القيادة

السياسية في أيديهم، لأن القضية التى كانت تثير الجماهير قضيت إسلامية تتصل بمركز الخلافة.

ومن هنا ظهرت الدعوة والتبشير بالديانة البرهمية والآرية وتنظيم الهنادك على طراز حربى، وانتشر دعاته في الهند ، وظهرت إزاء ذلك حركة الدعوة إلأى الإسلام وتنظيم المسلمين على أساس مستقل، وبدأت المناظرات الدينية والخطب العاطفية والحاسية، والنفجرت الاضطرابات الطائفية في شبه القارة الهندية.

وبقى المؤتمر الوطنى يعمل عمله ويعقد حفلاته،وقد رأس حفلة سنة1922م الخصوصية في دهلى مولانا أبو الكلام آزاد، والحفلة السنوية الععالمة في نفس السنة في " كوكنادا " مولانا محمد على.

واستمرت الاضطرابات وعنفت حتى كانت في سنة 1927م في بضعة شهور فقط خمسة وعشرون اضطرابا، وكانت هذه الاضرابات حديث النوادى والصحف والشغل الشاغل للبلاد، ولم يستطع زعماء المؤتمر وحركة الخلافة أن يوقفوا هذه الاضطرابات، ويرجعوا المسلمين والهنادك إلى الصفاء والثقةالتى كانت تسود قبل ذلك، ولم تزل الفجوة بين الطائفتين – المسلمين والهنادك – تتسع وتعمق، والجفوة بينهما تفوى وتكبر، والاتجاه إلى الانفصال في الزعماء يزداد قوة حتى أصبح واقعا علميا.

وبدأ الناس يشعرون بخمود الحماسة الوطنية أو بضعفها في الزعماء الوطنيين وانحيازهم إلى المعسكرات الطائفيه وخضوعهم للعواطف الدينية والنعرات الطائفية، وبدأ الزعماء الوطنيون المسلمون يشعرون بن الزعماء الوطنيين الهنادك – وعلى رأسهم الزعيم غاندى – لم يستعملوا كل نفوذهم في وقف هذه الاضطرابات الطائفية وفي محاسبة شعبهم وأصحاب ديانتهم – الذين يكونون الأكثرية في البلاد- فيما يصدر منهم من الاعتداء والسبق وإنه لم يظهر من هؤلاء الزعماء من الحياد التام والمساواة بين الطائفتين ما كان ينتظر من زعيم وطنى عام.

وسواء كان هذا الشعور صحيحا أو كان فيه شئ من التشاؤم وسوء التفاهم، فقد جعل هذا الشعور بضعف نشاط بعض الزعماء الوطنيين المسلمين - الذين كانوا مشعل الحماسة الوطنية، وكانت لهم مواقف خالدة في الدفاع عن الوطن والكفاح ضد الانجليز، كمولانا محمد على – في تأييد المؤتمر، وجعلهم ينظرون إلى المسلمين كأمتهم التى يأوون إليها ، ويشكون من زعماء المؤتمر ضيق التفكير ، وضيق الصدور فيما يتصل بالمسلمين.

وهكذا انفصل مولانا محمد على وكثير من زملائه عن المؤتمر، وانضموا إلى الجبهة الإسلامية، وقويت حركة الانفصال التى كان يتزعمها محمد على حناح رئيس العصبة الإسلامية (Muslim League)الإسلامى وحماسه ، حتى نادت في الأخير بتقسيم الهند ونجحت بفضل عقلية الأكثرية الضيقة وشذوذ معاملتها وتفكيرها مع المسلمين [1].

وبقى مولانا آزاد، وكثير من العلماء الذين كانوا ينتسبون إلى " جمعية العلماء" أوفياء للمؤتمرثابتين على موقفهم القديم ووجهة نظرهم، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم العالم الجليل المجاهد مولانا حسين أحمد المدنى، وهو خليفة شيخه مولانا محمود حسن في العداء الشدين للانجليز والحماس للقضية الوطينة والإخلاص لها والتفانى في سبيلها ، وقد تحمل هو وزملاؤه [2] أعضاء جمعية العلماء كل سخط وإهانة من العنصر الإسلامي المتحمس المندفع تحت قيادة العصبة الإسلامية وكان مركز نشاط عظيم ، ودوامة لا تسكن ولا تهدأ، مع النزاهة التامة وصرامة لا ضعف فيها ودين لا مغمز فيه. كان إخلاصه غير منازع فيه، يقره صديقه ومعارضه، فلما نالت الهند الاستقلال، وكانت الفرصة مواتية لجنى ثمار الحرية، والانتفاع من الحكومة المحلية، وتهافت الناس عليها، كانت شخصيته الوحيدة هى التى أبت قبول أى نفع أو كسب، فلما أعلن رئيس جمهورية الهند في عام 1952م إكرامه بوسام " بدم بهوشن " الفخرى، رفضه الشيخ قائلا إنه يتنافى مع طريق السلف، واعتذر،ولا شك أن الأمانى والتطلعات العالية التى كان يعقدها بحرية الهند لم تتحقق كليا، وأنه مر في عهد الحرية بتجارب قاسية حطمت قلبه، وخيبت آماله،

---

1. **جاء في خطبة مولانا أبى الكلام التاريخية الخالدة التى ألقاها في البرلمان الهندى وقد أشار إلى بعض أعضاء البرلممان الهندك الذين اعترضوا على مساعدة وزارة المعارف للمؤسة العلمية المشهورة " دار المصنفين " في أعظم كراه لأنها تنسب إلى المسلمين " إن هذه العقول الصغيرة هى التى كانت سببا في تقسيم الهند "**
2. **نذكر منهم بصفة خاصة المفتى الأكبر مولانا كفاية الله، ومولانا محمد سجاد البهارى ، ومولانا حفظ الرحمن الأمين العام للجميعة وعضو البرلمان الهند.**

لكنه ظل صامدا متصلبا في مبادئه ونظرياته ومذهبه بعد الحرية كما كان صامل متصلبا في ساعات العسر، أيام العبودية والاستعمار.

وكان مولانا أبوالكلام آزاد رئيس المؤتمر الوطنى لأطول مدة تمتع بها رئيس، وفي أحرج فترة مرت بها البهاد وفي عهد رئاستة زارت البعثتان الحكومينات لحل القضية الهندية والمفاوضة في شروط الاستقلال وتفاصيله، فكان مولانا أبوالكلام بصفته رئيسا للمؤتمر الوطنى الهند ممثلا للمؤتمر الوطنى ولسان حاله، وقد اعترف أعضاء البعثات وعلى رأسهم السياسى الانجليزى " Sir Stafford Cripps " بذكائه ولباقته وحنكته السياسية والفطنة للدقائق الدستورية.

وفي عهد رئاسته وتحت إشرافه وتوجيهة نالت الهند الاستقلال، ويدل كتابه "الهند تنال لاستقلال " "India Wins Freedom " على أنه كان العقل المفكر الموجه في جهاز المؤتمر الوطنى ، وكان يسيطر على زملائه وعلى الجهاز الادارى وسياسة البلاد بعقله النابغ ونظره البعيد، وشخصيته القوية، وله في حركة استقلال الهند والكفاح الوطنى أوفر نصيب يمكن أن يكون لزعيم وطنى.

مشكلات الشعب الإسلامي الهند

لكل شعب مشكلات تمتحن جدارته للبقاء وتشغل مواهبه وتثير كوامنه وتبعث فيه النشاط واليقظة، وكل شعب لا مشكلة له لا يصلح للعتماد والثقة، ومعرض لخطر الخمود والاستنامة والإخلاد إلى الراحة،

وللشعب الإسلامى الهند مشكلات يعنيها اليوم وبحاول حلها والتغلب عليها، كان بعضها نتيجة أخطائه، وبعضها نتيجة رواسب الماضى ومخلفاته الفكرية والسياسية، وبعضها نتيجة وضع الأحوال والحوادث التى مرت بها الهند في العهد الماضى، ولا شك أن جميع هذه المشكلات عارضة طارئة، ستنحل إذا أثبت الشعب الإسلامي صبره واحتماله، وعالج الأمور بحكمة وأناة ورفق، وقدرت له القيادة الرشيدة المتزنة الجريئة، ونذكرهنا مشكلاته

إن المشطلة الكبر من هذه المشكلات هى مشكلة الدعوة الإسلامية، يعرف الجميع أن الإسلام دين دعوة وهداية عاة ، وكان انتشار الإسلام وازدهاره عن طريق الدعوة والهداية، والعدد الذى دخل في الإسلام في الهند بفضل الدعاة المخلصين من الصوفية والمشايخ والتجار والربانيين أكثر جدا، من عدد المسلمين الذين نزحوا إلى الهند من الأقطار الإسلامية العريقة في الإسلام كجزيرة العرب وإيران وتركستان، ولم تزل الدعوة الإسلامية المخلصة تضيف إلى الجسم الإسلامى دما جديدا قويا في كل عصر، وتمنح المجتمع الإسلامى في الهند مهتدين جددا أثبتوا نبوغهم وعبقريتهم فيما بعد، ولم تزل أسر عريقة في الشرف والأصالة معروفة فالذكاء ولانجابة نتتقل وتنضم إلى الأسرة الإسلامية الكبيرة، وفي أعلام الشعب الإسلامي الهندى ورجالاته من ينتمى بيسب قريب أو بعيد إلى أسرة هندوكية، ومن هؤلاء في الماضى القريب مولانا عبيدالله البتيالوى صاحب " تحفة الهند " ومولانا عبيد الله السندى، والعلامة محمد إقبال، والشيخ ثناء الله الأمر تسرى، ومولانا أحمد على اللاهورى، ومولانا معين الدين الأجميرى،

ولكهم علماء أجلاء ودعاة ومصلحون ، وقليل من المسلمين يعرفون أنهم من أسر دخلت في الإسلام، أو كان عدد منهم من شرح الله صدره للإسلام فأسلم بنفسه.

وكانت الدعوة الإسلامية والهداية الإسلامية تعملان عملهما، وتشقان طريقهما إلى الأمام في العهد الإسلامي الأخير وإلى آخر عهد الحكومية الانجليزية، وكان عدد كبير من غير المسلمين يدخل في الإسلام طوعا كل سنة لما يمتاز به الدين الإسلامي من المبادئ الحكيمة المعقولة،، ووجود عقيدة التوحيد النقية والعدل والمساواة، وعدم وجود طبقات متفاوتة واللمس المنبوذ، وكان القرأن والسيرة النبوية وتعاليم الإسلام تفتح قلوبا جديدة وتنير عقولا جديدة، وكان من الممكن المتوقع أن يصبح الاسلام – لوجرت الأمور مجراها الطبيعى – أعظم قوة في القارة الهندية، ثم أعظم قوة في آسيا.

ونشبت المعركة السياسية بين المسلمين ومواطنيهم وحميت في الأيام الأخيرة، وتوترت منها قلوب الطائفتين وامتلأت ضغنا وحقدا وشكا، واتسعت شقة الخلاف، وكان من نتيجتها انفصال الطائفتين وانقسام الهند وقيام دولتين مستقلتين إحداهما الجمهورية الهندية والأخرى الجمهورية الإسلامية الباكستانية، ولسان الآن بصدد الحكم على هذا الوضع، هل كان من الممكن التفادى عما وقع وهل كان هنالك طريق أفضل؟ وهل كان عمليا أم لا؟ هذا كله نتركه للمؤرخ السياسى، والذى يكتب تاريخ الهند بحرية وتفصيل وإنصاف، ولكن الذى يهمنا الآ، هو أن هذا الوضع السياسى الذى جرت إليه الأجوال والظروف أو لجأت إليه الهند طائعة أو مكرهة، خلف مرارة في القلوب وشكا في قلب كل طائفة للأخرى ، وزهدا وانصرافا عن كل ما تتسم به تلك الطائفة من دين وعقيدة وثقافة وحضارة، بل وكراهة لما تتبناه وتتزعمه بطبيعة الحال، وكان ذلك حاجرا كبيرا في سبيل انتشار الإسلام في الهند ، لأنه دين الدولة المنافسة القائمة لها بالمرصاد ودين شعب قامت بينه وبين الشعب الهندى معارك سياسية وحروب طائفية ومناوشات كلامية، فيبعث ارتفاع عدد المسلمين نسبيا بالمواليد، أو بدخول أفراد الطبقاب

المتخلفة المضطهدة في الإسلام قلقا وخوفا في أوساط الأغلبية، فيفكر بعض الزعماء في قمع نشاطات الدعوة وتحديد النسل.

أضف إلى ذلك أن الدول التى تتسمى بالإسلام والمجتمع الذ يدين بالإسلام ويبعث على إجلاله وإكباره، وزيادة على ذلك أن الأحوال السياسية والاقتصادية في باكستان تبرهن بعض الأحيان عند المشتككين على إخفاق دولة تنتمى وتقوم على أساسه، وقد يقرأ الأنسان في صحيفة أو يفاجأ ما يباعد عن الإسلام فيقوم حجاب دون فهم حقيقته ومدى تأثيره في النفوس.

هذه هى مشكلة المشكلات في الهند، ولا شك أن امتداد الأيام وتحسن العلاقة بين باكستان والهند وتغلب العقل على العاطفة سيحل هذه المشكلة، وبيدأ الإسلام سيره ونشاطه من جديد إذا قام المسلمون بدعوة إسلامية رقيقة خالصة مخلصة لا تشوبها السياسة والطموح والكبرياء، دعوة لا تقصد إلا هداية الناس وإسعاد النفوس وخدمة الخقل والنصح الخالص، والإشفاق على مصير بنى آدم، وتحفظهم من مهالك الدنيا والآخرة، ووفق المسلمون لإخراج كتب في شرح تعاليم الإسلام وعرض السيرة النبوية في اللغة الهندية واللغات الأقليمية في أرقى أسلوب عصرى وشكل جذاب، وتغلغلوا في المجتمع الهندى بدعوتهم وأثبتوا تفوقهم الروحى الخلقى وإخلاصهم ووفاءهم لبلادهم وحرصهم على تقدمها ورفاهيتها.

الأحوال الشخصية :

وهى المشكلة الثانية التى تلى المشكلة اولى، وقد تفوقها في الخطورة والنتائج، لأن المشكلة الأولى إنما تقف سدا في سبيل انتشار الإسلام وتوسعه ، حين كانت المشكلة الثانية تهدد وجود الشعب المسلم بإسلاميته، وثاقافه ومعتقداته.

فقد كانت الأحوال الشخصية الإسلامية التى تشتمل على مسائل الطلاق والزواج والإرث ومسائل دينية أخرى بعيدة عن متناول القانون المدنى، وكان يقضى فيها في ضوء الفقه

الإسلامي رغم أن أصواتا كانت ترفع من حين لحين بدمج هذه المسائل إلى القانون المدنى الموحد، لكن الحكومة الهندية لم تتخذ إجراءا لتغيير قانون الأحوال الشخصية الإسلامية ، وأكدت للمسلمين بأنها سوف لا تغيره مالم يطالب به المسلمون أنفسهم.

وقد تفاقم الوضع إثر صدور حكم المحكمة العليا المركزية في قضية شاه بانو، محمد أحمد ، التى قضت المحكمة العليا فيها بمنح المرأة المسلمة المطلقة النفقة من زوجها المطلق إلى أ، تموت أو تنكح زوجا غيره تطبيقا لمادة 125 من قانون الجنايات الهندى الذى لا يفرق بين المطلقة والزوجة الشرعية في النفقة، وادعت المحكمة أن هذا القانون لا يتنافى مع حكم القرآن الكريم تفسيرا حاطئا لكلمة " المتاع " التى وردت في القرآن ، وتجازوة المحكمة العليا إلى الاقتراح بتعديل الأحوال الشخصية الإسلامية استنادا إلى بند 44 في الدستور الهندى الذى يقتصى لفرض قانون مدهنى موحد ينطبق على جميع طبقات الشعب كليا، وقد كانت الحكومة الهندية تؤكد كلما احتج المسلمون على المحاولة لتعديل الأحوال الشخصية وفرض قانون موحد أن قانون الأحوال الشخصية سيبقى على حاله مالم يطالب المسلمون أنفسهم بتغييره، وفي الوقت نفسه كانت الجهات الرسمية والطوائف المعادية للإسلام تتصيد رجالا منعزلين من التيار الإسلامي ليتقدموا بالمطالبة بتعديل الأحوال الشخصية، ولكن خيب المسلمون دائما كل هذه المحاولات باحتجاجهم.

إن بقاء قانون الأحوال الشخصية هو الضمان الوحيد لتمسك المسلمين بصبغتهم الدينية ، فإن التعليم الجديد والثقافة القومية قد قضت على كثير من خصائصهم ، فأن التعليم الجديد والثقافة القومية قد قضت على كثير من خصائصهم، فأن الطلاق والنكاح، والإرث والأمور الأخر المنصوص عليها في القرآن والسنة، والتى تفصل بين المسلم وغيره، إذا غيرت وأخضعت للقانون المدنى العلمانى، فقد المسلم كل ما يميزه عن غيره، ثم تأتى العبادات ورقها والعقائد، وتبذل محاولة لإخضاع كل ركن من أركان الإسلام للطابع القومى، ثم تأتى مسألة الأسماء الموحدة، ويفقد المسلمون شخصيتهم كما فقدوا في بعض البلدان الشيوعية.

ولو أن الحكومة الهندية المركزية تؤكد عدم التدخل في تأدية الشعائر الدينية، ولكن لقلق المسلمين مبررات، فأن جهاد معنية تنتمى إلى التطرف الهندوكى لا تخفى نواياها في تهنيد المسلمين كليا، وترتفع هذه الأصوات في اجتماعات وبيانات صحفية، ومن هذا القبيل حركو استعادة المساجد القديمة وتحويلها إلى معابد بدعوى أنها كانت معابد حولها المسلمون في عهد الحكم الإسلامي إلى مساجد، ولا تتخذ الحكومة إجرءا صارما ضد مثل هذه المطالب ما يقنع المسلمين على أنها لا تؤيد هذه الحركة، وتضع السلطات التنفيذية قيودا على بناء مساجد جديدة.

وقد جدد حكم المحكمة العليا هذه المخاوف، فوقف المسلمون صفا واحد للحتجاج ضد هذا الحكم واقتراح المحكمة العليا، وطالبوا بتعديل في الدستور، واستثناء الأحوال الشخصية الإسلامية بصراحة ووضوح ، وسن قانون لإبطال قرار لمحكمة العليا، وسد كل باب ومنفذ للتوغل في الأحوال الشخصية، وأن تبقى التعاليم الدينية المنصوص عيلها والشعائر الدينية في نجوة من تطبيق القانون الوضعى، ومن تعسف تأويل القانونيين.

وسبق أن قد ألف للحفاظ على الأحوال الشخصية الإسلامية مجلس الأحوال الشخصية لإسلامية لعموم الهند في عام 1972م وكان رئيسها الأول الشيخ محمد طيب رئيس دار العلوم ديوبند سابقا، ورئيسه الحالى مؤلف هذا الكتاب، ولهذا المجلس دور ملحوظ في مواجهة المحاولات لتغيير الأحوال الشخصية ومقاومة القوانين التى تتعارض مع التعاليم الإسلامية كقانون الأوقاف، وقانون التبنى، ونفقه المطلقة.

وبعد وفاة الشيخ محمد طيب انتخبت لرئاسة هذا المجلس، وفي هذا العهد ثارت المشكلة، وبعد محادثات شخصية مع رئيس الوزراء، وتقديم مذكرات احتجاج من سائر أنحاء الهند، التى اتخذت في اجتماعات حاشدة أعرب المسلمون فيها عن استعداد لتقديم أىّ تضحية في هذا السبيل

رضخت الحكومة لمطالب المسلمين، واتخذت مشروع القانون الخاص بحقوق المرأة رغم معارضة الأغلبية في البلاد التى شنت حملة ضد أى تعديل في الدستور.

وقد هدأت هذه العاصفة باتخاذ التعديل، ولكن لا تزال ترتفع أصوات بفرض قانون موحد للأحوال الشخصية، ويواصل المسلمون كفاحهم لتخييب مثل هذه المطالبة.

المشكلة الثالثة هى مشكة التعليم، كان دستور الجمهورية الهندية العلمانى يكفل حرير العقيدة والديانة والثقافة لكل عنصر من عناصر القومية الهندية، ويساوى بين العناصر المختلفة والطؤائف الهندية، وهو أفضل دستور لقطر يسكنه شعوب كثيرة ذات ديانات كثيرة وحضارات وثقافات متنوعة، وكان أفضل نظام من نظم المعارف في مثل هذه البلاد نظام لا يتبنى ديانة خاصة وعقيدة خاصة، فإما أن يجمع بين تعاليم أديان مختلفة وينظر إليها بعين واحدة، وهذا يصعب تطبيقه في قطر مثل الهند غنى بالديانات والحضارات، وإما تعتزل جميع هذه الديانات والعقائد ولا يتناولها بالعرض ولا يتعرض لها نفيا ولا إيجابا، ويبقى مقصورا على الثافة العامة والمعلومات المدنية وما يحتاج إليه الطالب في حياته من مواد دراسية.

وقد كان المشرعون وواضعو الدسكتور الهند عقلاء بعيدى النظر إذ فضلوا القسم الثانى، وذلك كان الوضع السائد والخطة المتبعة في العهد الانجليزى، هذا ما لا يقبل مناقشة ولا يثير اعتراضا ، وكان المسلمون مسرورين إذا كان هو الوضع التعليمى في الجمهورية الهندية وولاياتها المختلفة.

ولكن من المؤسف المقلق أن هذا لم يتجاوز صفحات الدستور والبلاغات الرسمية ، فقد تبنى واضعو المناهد الدراسية ومؤلفو الكتب المقررة للبدريس في ولايات الجمهورية، خصوصا في الولاية الشمالية، ديانة الأكثرية وعقيدتها بعرض شعائرها وآلهتها ومقدساتها وأساطيرها الدينية مما يتنافى مع تعاليم الإسلام ويضاد عقيدة التوحيد البسيطة، وما جاء في القرآن من وصف الله تعالى بصفات العظمة والجلال والقدرة والكمال والتفرد والتعالى عن

المثال وعدم الحلول والاتحاد، وينافى عقيدة الرسالة والنبوة الإسلامية، ويدعو إلى تقديس هذه الآلهة الأسطورية وعبادتها، وتقديس بعض الأنهار والمدن وتأليهها، ويصور الهند – البلاد التى تسكنها الطوائف الكثير – كبلد ليس فيه ديانة غير الديانة البرهمية ومعابدها واحتفالاتها وأعيادها وتقاليدها ومراكزها الدينية والروحية.

والكتب التى قررت للمطالعة ليطلع التلاميذ على تاريحهم الماضى ويتعرفوا بالشخصيات الكبيرة قد اقتصرت على شخصيات شعب خاص وديانة خاصة، وأعرض مؤلفوها- في تصميم وتفكير – عن الحديث عن أى شخصية كبيرة من شخصيات العهد الإسلامى الزاهر سواءا كانت من عباد الله الصالحين أو من الملوك العادلين، أو الشعراء المفلقين، مع أنها من مفاخر الهند ومن إعلامها التى يتباهى بها الهنديون على اختلاف دياناتهم، ويتجمل بها تاريخ الهند العام، وفيها أسوة وحافز للتلاميذ الصغار والشباب الناهضين، وعاملوا العهد الإسلامي ومن نبغ فيه من الرجال وأصحاب الفكر والكمال معاملة الأجانب ومعاملة الغرباء، وإذا ذكروا بعضهم لم يحسنوا تصويرهم، أو نسبوا إليهم ما يحط من شأنهم ، بل وربما نسبوا إلى الرسول الأعظم من الأخلاق والأعمال والحوادث ما لا يليق بإنسان شريف فضلا عن الرسل، ويجرح شعور كل مسلم ويثيره.

إن وجود مثل هذه الكتب المقررة في نظام تعليمى إجبازى تفرض دراستها على أولاد المسلمين وشبابهم حين لا يتلقون تعليمهم وثقافتهم عن مصدر آخر، وتؤسس مئات آلاف من المدارس في المدن والقرى والأرياف، وضع محرج للمسلمين يبعث فيهم القلق الشديد والإشفاق على مستقبلهم الدينى وعقيدة أجيالهم، ويهدد كيانهم الملى في هذه البلاد التى يعتبرونها وطنا لهم، وقد صمموا على الاثامة والبقاء فيها وخدمتها بكفاء اتهم ومواهبهم والمساهمة في نشاطها، ويجعلهم يخافون على أبنائهم وأفلاذ أكبادهم من الردة الفكرية والثقافية، ومن الردة الدينية ومن الوثنية، وقد بدت طلائع هذه الردة في الأوساط التى أثر فيها هذا التعليم وانقطعت صلتها عن مصدر ثقافى أو عن الدعوة الإسلامية، وبدأ الصغار السذج من أبناء المسلمين يتظاهرون

بالشعائر البرهمية ويدينون ببعض عقائدها.

إنه مبعث قلق عظيم وإشفاق وحذر في أوساط المسلمين وفي المجتمع الإسلامي فلذلك انعقد مؤتمر عظيم في أحدى مديريات الولاية الشمالية (بستى) حضره عدد كبير من المسلمين من كل مذهب ومدرسة فكرية، وثلاث مائة ممثل ومندوب من مختلف الطبقات وطلبوا من الحكومة ان تصلح برامج التعليم الرسمى وتحسب هذه الدروس التى تنافى العقيدة الإسلامية وتقوم على أساس ديانة خاصة ، وفكرتها وأساطيرها ، وتحافظ على علمانية المعارف كما يقررها الدستور، وعزموا على إنشاء كتاتيب ومدارس تعلم اطفال المسلمين التعليم الدينى في أوقات الفراغ، وإنشاء مدارس تعلم المناهج الدراسية المقبولة في المعارف مع مادة الديانة وإضافة دروس تعاليم الإسلام، وقد كان لهذا المؤتمر تأثير كبير في الوسط الإسلامي، والنبثت فروعه في أنحاء الولاية، وانعقدت مؤتمرات عظيمة، وكانت الفكره التى يلتقى عليها المسلون وأفراد الأقلية على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم.

ولجمعية العلماء أيضا نشاط في حقل نشر التعليم الإسلامي وتأسيس الكتاتيب والمدارس في المدن والقرى.

المشكلة الربعة هى المشكلة اللغوية، نشأت لغة أردو باختلاط العناصر المختلفة والأجناس المختلفة من أهل الهند، وكانت مزيج الثقافات المختلفة ووليدة اللغات الأربع القديمة : السنسكرتية، والعربية، والفارسية، والتركية، واقتبست في العهد الأخير من اللغة النجليزية مفردات كانت جارية على ألسنة العامة، وأصبحت هكذا لغة تمثل الومية الهندية خير تمثيل، وأصبحت لغة الجمهور ولغة الثقافة والعلوم والآداب الرفيعة ، والصاحافة والسياسة، وأصبحت أداة التفاهم بين الولايات الهندية والمناطق المختلفة التى لكل منها لغة محلية خاصة، ويتكلم بها عامة الجمهور في الولايات الشمالية وفي ولاية " بهار " وفي دلهى وما جاورها من المدن وفي

ولاية حيدرآباد، وهى اللغة الوحيدة التى يفهما أكثر أهل الهند في كل منطقة وولاية، ويصدر فيها صحف ومجلاتتلى الصحف الانجليزية السيارة في عدد قرائها والمشتركين فيها.

كانت " أردو " هى اللغة الرسمية (الثاينة بعد الانجليزية) التى تستعمل في المحاكم والادارات والمدارس حتى اقتضت سياسة الانجليز في عهد حاكم الولاية الشمالية (Sir Antony Maodonalde) أن يشجعوا اللغة الهندية ويحدثوا تنافسا بين اللغتين الشقيقتين، ويبذروا بذرة العداء بين الطائفتين، فقرر الحاكم المذكور في 18من ابريل عام 1900 قبول اللغة الهندية، واستعمالها في المحاكم ، فمن ذلك الحين برزت إلى الميدان، واستقلت الهند وانقسمت سنة 1947 وقرد دستور الجمهورية الهندية كما تقول مادة (343) أن الغغة الجمهورية الرسمية هى الهندية في الحروف السنسكرتية[1]وقرر الدستور أربع عشرة لغة هى لغات المناطق كلغات الهند المعترف بها دستوريا، وفيها أردو، وقرر الدستور أن كل لغة يتكلم بها عدد يعتد به يعترف بها ويمنح أهلها كل تسهيلات لتعليمها لأبنائهم إذا طلبوا ذلك، واقتنع رئيس الجمهورية بوجود هذا العدد ورغبته في أن هذه اللغة أداة التعليم لأبنائه فتقول مادة (347):

---

1. **كتابة خاصة في حروف خاصة تكتب من الشمال إلى اليمين كاللاتينية .**

" إذا رغب عدد وجيه من أهل ولاية في يستعمل لغة يتكلم بها، وطلب أن تعترف بها حكومة الولاية، واقتنع رئيس الجمهورية بأن من يطلب ذلك يشكل عددا لا يستهان به، فللرئيس أن يصدر أمرا بالاعتراف بهذه اللغة رسميا واستعمالها للمقاصد التى يصرح بها الرئيس "

ولكن الولايات التابعة للمركز، وخاصة الولاية الشمالية – التى كانت تعتبر مركر اللغة أردو فيها تهذبت ورقت – ألغت لغة أردو كمادة دراسية وكأداة التعليم في المرحلة الاعدادية والتحضيرية، وقررت اللغة الهندية لغة إجبارية وأداة التعليم الوحيدة التى يتلقى فيها التلاحيذ المواد الدراسية، وإن كانت لغتهم التى يتكلمون بها ويتكلم بها آباؤهم هى لغة أردو، وطبقت وزارة المعارف في ولاية (يوبى) هذا القرار بدقة وشدة ، ومنعت دراسة لغة أردو في مدارسها الابتدائية قاطبة، وهكذا أقصيت لغة أردو من المدارس الابتدائية إقصاءا تاما.

إن إلغاء لغة أردو كمادة دراسية في المدارس وكأداة التعليم كان مؤثرا في ثقافة جميع العناصر والطوائف التى تتكلم بها وفي مستقبلها المنوط باللغة، ولذلك أثار موقف الحكومة المعادى إزاء هذه اللغة سخطها واعتراضها ، ولكن تأثيرها في ثقافة المسلمين ومستقبلهم كان أعظم وأعمق.

وكان هذا التأثير يتجاوز الثقافة إلى العقيدة والمستقبل الدينى، لأن أردو هى الوسيلة الوحيدة التى تربطهم باثقافة الإسلامية ففيها المكتبة الدينية وحروفها عربية، فتسهل بها قراءة القرآن ودراسة الله العربية لمن يرغب في هذه الدراسة، وفيها آدابهم وحضارتهم، وتاريخهم ، ومعنى انقطاعهم عن هذه اللغة وجهلها، الانقاطاع عن ثقافتهم وماضيهم ، فاعتبروا بحق إلغاء هذه اللغة في المدارس قضاءا على قوميتهم وثقافتهم وخصائصهم وكيانهم، فاحتجوا ضد هذا الموقف الذى تقفه الحكومة نحو هذه اللغة المعترف بها رسميا، الواسعة الانتشار ، الحية السائدة التى يتكلم بها ملايين من أهل البلاد، فأصدت الحكومة المركزية قرارا يقول:

" ينبغى أن تكون اللغة التى يتكلم بها الطفل والتى هى لغة أبويه أداة التعليم والامتحان في مدرسته، وإذا كانت لغة الطفل تختلف عن لغة المنطقة واللغة الرسمية ويرغب عدد من التلاميذ لا يقل عن أربعين في المدرسة وعن عشرة في الصف فلا بد من تعيين معلم لتعليم المواد الدراسية في هذه اللغة"

وعلى هذا الأساس قدم المسلمون والذين يتكلمون لغة أردو طلبا بتوفير التسهيلات لتعليم اطفالهم لغة أردو وتعيين أستاذ لذلك في مواضع كثيرة، ففى لكنهؤ وحدها قدم اولياء التلاميذ طلبا بذلك عيله توقيعات عشرة آلا ف من الآباء يطلبون من وزير المعارف تهيئة الأسباب لتعليم أردو وتعيين ألأساتذة لهذه المادة في المدارس الابتدائية التى يتعلم فيها أبناؤهم وهم حريصون على تعلم أردو ، ولكن كل ذلك لم ينفع ولم يتغير موقف الحكومة، وبقيت لغة أردو ملغاة خارجة عن المناهج الدراسية المتبعة في هذه الولايات، وكلما تقدم طلب إلى مدير مدرسة يطلب تعيين أستاذ لتدريس أردو وتقرير دراستها اعتذر المدير بأن عدد الراغين في ذلك لا يبلغ العدد المعين في القرار الرسمى مع أنهم يتجاوزون هذا العدد في المجموع.

وبعد كل هذا الاحتجاجات والمحاولات لم ير الناطقون بأردو والمختصون لها حيلة غير أن يلجأوا إلى مادة الدستور رقم (347) التى تمنح رئيس الجمهورية إصدار أمر بالاعتراف بلغة يتكلم بها عدد وجيه من أهل البلاد واستعمالها للمقاصد التى يصرح بها الرئيس، فبدأوا يجمعون توقيعات الأفراد الذين كانوا يتكلمون بأردو ويرغبون في أن يدرسها أبناؤهم، وكانت حملة ثقافية منظمة تحت إشراف جمعية ترقية أردو (أنجمن ترقى أردو) شملت مديريات الولاية الشمالية. وتأسست لها فروع ومراكز في هذه المديريات والمناطق، وكانت مع ذلك حملة هادئة تعتمد على الوسائل الأدربية وحدها ولم تستعن بوسائل العنف والتهريج والإرهاب، ولا بالأساليب السياسية ، ونجحت هذه الحملة فوقع مليونان وخمسون ألفا من الرجال البالغين وأكثر من مليونين من غير البالغين يطلبون أن يعترف بأردو كلغة المناطق في الولايات الشمالية، وأن يسمح بأن تكون أداة التعليم للأطفال الذين يتكلمون بها، وأن يطبق قرار الحكومة المركزية

لتعيين أستاذ للتعليم في أردو إذا بلغ عدد التلاميذ الراغبين في ذلك العدد المطلوب المعين في القرار.

وتشكل لهذا الغرض وفد وجيه يشتمل على كبار رجال الثقافة من المسلمين والهندوس يزور رئيس الجمهورية الهندية ويقدم هذا الطلب الذى يشتمل على أكثر من مليونين من التوقيعات، ولعله أكبر طلب يتحلى بتوقيعات أبر عدد من الجمهور بقدم إلى رئيس حكومته، وكان رئيس هذا الوفد الدكتور ذكر حسين نمن رجال الثقافة العالمين ومدير جامعة عليكره سابقا ورئيس الجمهورية الهندية أخيرا، وقد زار هذا الوفد رئيس الجمهورية في دهلى الجديدة ، وطلب زيادة على الاعتراف بلغة أردو واستعمالها في المدارس قبول الطلبات التى تكتب في لغة أردو في محاكم الولاية الشمالية وإداراتها، وإصدار البلاغات والمطبوعات الرسمية في أردو كذلك، وتشجيعها وإعطاء الجوئز لمؤلفيها، وأن تحتضنها المجامع العلمية الرسمية، كما كان الوضعفي السابق، وأن تعاد أردو إلى إعتبارها ومكانتها السابقة في دوائر الحكومة، وتكون هذا الوفد باثنى عشر عضوا نصفهم من كبار المثقفين الهندوس.

وقد قابل رئيس الجمهورية هذا الوفد المؤتمر وأصغإلى مطالبته وأبدى عنايته لقيته وعطفه عليها، ولكن لم يتغيّر الوضع ولم يحدث شئ جديد يطمئن إليه أصحاب قضية أردو المشفقون على مستقبلهأ، وظبت – ولا تزال – هذا اللغة مجفوة مطاردة في وزارة المعارف وفي المدارس الرسمية ، ولا يزال أبناء الطوئف والعناصر التى تتكلمها محرومين ممنهوعين من دراستها في المراحل الابتدائية، وبذلك يزدادون بعدا عن ثقافتها وينسأون على جهلها، حتى انقطعت صلتهم عن ثقافتهم القديمة وعن ما ضيهم وعن عقيدتهم وشريعتهم التى يدينون بها، حتى بدأ يظهر جيل حديد لا صلة بينه وبين الأجيال القديمة، ينشأ بعيد عن محيطة الدينى والثقافى ويصعب عليه الاتصال به إ، حاول ذلك، فقد انهدمت القنظرة التى يعبر عليها إلى ثقافته، وانقطع الخيط الذى يربطه بماضيه وأسلافه، مشكلةمعقدة طريفة يقابلها المعلمون في بلادهم الأم ومهدهم، ونذير بين يدى خطر شديد ومستقبل رهيب، ولا شك أن الوعى السياسى

والقومى سيحل هذه المشكلة ويطبق الدستور بأمانة ، ويتخلص المسلمون والطوائف الأخرى عن هذه الأزمة التى كانوا في غنى عنها، وكانت البلاد في حاجة إلى ثقة تسود ونشاط يعم وتعاون يشمل، ولا يكون ذلك إلا إذا اطمأن كل عنصر من عناصر الجمهورية الهندية إلى مستقبله الثقافى والدينى، وجرب أنه ليس في الهند الحرة الديمقراطية استعمار ثقافى ، وليس للغة وإن كانت لغة الأكثرية أو لغة الهند الرسمية أن تنشأ وتسود على حساب اللغات الهندية الأخرى، وأن تبتلعها وتقوم على أنقاضها، فقد كانت حرب التحرير والكفاح الوطنى الموحد على اساس ضمان الحقوق وكفالة الحريات – الدينية والثقافية – وقد شارك فيها كل عنصر وهو يؤمن بأنه سينال بعد الاستقلال والحكم الذاتى حرية العقيدة والثقافة، ومحيطا تتحقق فيه أمانيهومطامحه تحققا لم يكن إليه سبيل في عهد الاستعمار والعبودية، ويعيش كل عزيز مقدس من عقيدة وحضارة وثقافة وآداب.

المشكلة الخامسة هى مشكلة الأمن والسلامة لحدوث اضطرابات طائفية في المناسباتوالأعياد والاجتماعات العامة، او لدى جدوث أى نزاع أو خلف بين فريقين أحدهما مسلم والآخر غير مسلم، فيتطور هذا النزاع إلى صراع طائفى، وكثيرا ما يتطور نزاع عادى يحدث في أى مجتمع ، أو شجار لخلاف أو سوء تفاهم، أو انفعال شخص من طائفة ضد فرد آخر من طائفة أخرى، إلى اشتبكات تستخدم فيها القوة، والأسلحة وآلات التدمير، والإحراق، وتسفك الدماء ، وتنتشر حوادث القتل والإحراق والنهب والسلب إلى مناطق ماورة، ويستغرق الوضع مدة طويلة لتهدئة الأعصاب، وعودة الحالة إلى طبيعتها، لأن الشائعات والشبهات تشيع وتعكر الصفو، ويتعرض المسلمون لموقف غير محايد من أجهزة الأمن التى تميل إلى الأغلبية التى تنتمى إليها، فلا تتخذ إجراءات صارمة ضد المشاغبين، كذلك تلعب الصحافة القومية دورا حاسما في تغطية الأحداث، فتغفل عن وجهة نظر المسلمين وتقاطع نشاطاتهم البناءة فلا تنشر ما يلقى الضوء على تحركاتهم ومجهوداتهم القومية، ولا تعالج مشاكلهم معالجة محايدة بأمانة صحفية، وإنما تقدم تحليلا وتقارير مضللة تحمل المسئولين مسئولية التخريب وإثارة الفتنة، وكثيرا ما عقدت اجتماعات حاشدة للمسلمين اشترك فيها مآت ألوف من الناس فكان لها صدى،

بعيد لكن الصحافة القومية لم تنشر خيرا عنها بينما تغطى اجتماعات منعزلة لعناصر معادية للإسلام والمسلمين، وإن الأمانة الصحفيةتقتضى أن تقوم الصحافة بإعلام القراء بكل ما يحدث في البلاد، حتى لو عقد الخنافس اجتماعا حضره عدد ملحوظ، أو عقدت عصابة مجرمة جلسة لتدبير خطة، ينبغى على الصحافة أن نغطيها، لكن موقفها إزاء المسلمين موقف مقاطعة، وإذا نشرت خبرا نشرته من زواية معاكسة، ويتحمل المسلمون أيضا مسئولية كبرى عن عدم عرض موقفهم ، فإنهم لم يفكروا في إصدار صحيفة انجليزية أو هندية واسعة الانتشار تحمل وجهة نظرهم وتغطى نشاطاتهم.

تكون وراء هذه الحوادث عادة شائعات ملفقة ونشاطات مهيجة لزعماء مترفين يحملون الحقد ضد المسلمين، فينتهزون كل فرصة لنزاع أو أزمة اجتماعية للهجوم على المسلمين، الذين يصفونهم بأنهم عملاء للدول الأجنبية وغير موالين للوطن ، وتشترك في إثارة هذه التهم والشبهاتوالكراهية ضد المسلمين صحف الأغلبية ،وتعقد اجتماعات سرية يشترك فيها المتطرفون ويهيجون فيها الأعصاب ضد المسلمين، وتنظم عصابات مدربة على أعمال القتل والنهب للهجوم على المساجد والمنازل ولامحلات التحارية، والمارة بصورة منظمة.

ويشكو المسلمون أن أجهزة الأمن تقف متفرجة أو محايدة خلال هذه النشاطات المثيرة للفتنة، وأحيانا تتخذ إجراءات سلبية ، وتحول دون الدفاع عن النفس، ونتيجة لتحركات ونشاطات المتطرفين يتحول المعتدى عليه معتديا في نظر القانون والسلطات العليا، فيواجه محكمات ومضايقات إلى أن تتضح الصورة ،وتنقشع سحس الريب والشبهات.

وقد عينت الحكومة المركزية لجان تحقيق لدراسة الأسباط المؤدية إلى حدوث هذه الاضطرابات، كماعنيت لجنة الأقليات لحل مشاكل الأقليات، ولكن المشكلة لا تزال مستمرة، ولم ينقطع حدوث الاضطرابات الطائفية، والواقع أنها ترجع أساسيا إلىنفسية خاصة للشكوك والشبهات بين الفريقين، ونشاطات بعض المنظمات التى تقوم ببث الكراهية ضد المسلمين،

وعدم ثقة المسلمين بأجهزة الأمن في تأمين مصاحهم، فيجب لحل المشكلة اتخاذ تدابير شاملة، كتحميل أجهزة الأمن مسئولية إقرار الأمن والنظام والقيام بواجبها بحياد، وإزالة الشبهات والشكوك ومكافحة الكراهية في الأغلبية عن المسلمين، وقمع نشاطات الإرهابيين الذين يبثون هذه الكراهية، وإيجاد جو من الثقة بين مختلف الطوائف، فأن هذه الاضطراباتالطائفية تكلف البلاد بخسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات كما تصرف الاهتمام عن تنمية البلاد، وقد واجهت عدة مدن صناعية اضطرابات طائفية ، كجبلبور، جمشيدبور، رانجى، راوركيلا، أحمدآباد، مرادآباد، ميرت ، وأبيدت فيها ممتلكات، ولقى ألوف من المواطنين مصرعهم ، وقد اعترفت الحكومة أن الجهود التى بذلت للسيطرة على هذه الظاهرة، لم توفق كليا ، وأن سلسلة الاضطرابات تستمر في البلاد ، وفيما يلى تقرير رسمى عن الوضع الطائف:

عام	عدد الحوادث	الوفيات	الإصابات
1979	304	261	2397
1980	427	375	2838
1981	319	196	3613
1982	474	238	3025
1983	404	302	3478

هذه أرقام رسمية، أما الأرقام التى جمعتها المنظمات المطوعة والأحزاب السياسية فهى تفوق كثيرا الأرقام الرسمية، ولا تشمل هذه الأرقام عدد القتلى والجرحى في آسام ومرادآباد حيث بلغ العدد عدة آلاف.

المشكلة السادسة هى المشكلة الاقتصادية، فمما قررته فلسفة التاريخ وأثبتتها تجارب الأمم أن الحالة الاقتصادية لها تأثير كبير في مستوى عقلية الشعب وصحته ومواهبه وذكائه وطموحه.

فالأزمة الاقتصادية والفقر الذى يعانيه الشعب وما ينتجه من سوء التغذية، والحرمان من الفرص ، واليأس من المستقبل ، وفتور الهمة، والاعتزال عن الوظائف الكبيرة، يؤثر في الشعوب تأثيرا عميقا، وينزلها من مستوى الشعوب الراقية الذكية الطامحة، إلى مستوى الشعوب المنحطة الخاملة وطبقة المنبوذين، وقد كانت موارد المسلمين المهمة إلى عهد الحكومة الانجليزية، الإقطاعية ، والملاكية، والوظائف الحكومية، والتجارات الكبيرة ، وقد ألغيت آلملاكية بعد التقسيم، ولا تخلو هذه الخطوة الجزيئة من إصلاح وفوائد للمجتمع الهندى، أما الوظائف الحكومية فقد بدأ قسط المسلمين منها يقل ويضعف حتى أصبحت نسبة ضئيلة تنذر بتطور خطير في أوضاع المسلمين الاقتصادية والاجتماعية، ومن اطلع على أعداد المنتخبين للوظائف خصوصا في الجيش والشرطة والوظائف الرئيسية، التى تطلف في الصحف بين حين وآخر وقارن بينها وبين أعداد الموضفين قبل التقسيم، اعتقد أن المسلمين قد غادورا هذه البلاد ولم يبق منهم إلا الأميون الذين لا يستحقون هذه الوظائف واستطاع أن يتنبأ بأن المسلمين سيقون عن الجهاز الإدارى فس مدة قليلة، وإذا أحيل الموظفون الكبار الذين لا يزالون في وظائفهم منذ عهد الانجليز على المعاش لا يبقى في الحكومة من يمثل ستين مليونا من المسلمين، ومما يلقى الضوء على هذا التدهور في نسبة الموظفين لامسلمين ما يثار من الأسئلة بعض الأحيان في بعض مجالس التشريع، وما يظهر في تقريرات لاحكومة وبلاغاتها من الأعداد، نلتقط منها مثالين فقط: منها ما قبل في مجلس ولاية دهلى التشريعى " أن عدد الموظفين المسلمين في بوليس هذه الولاية كان 1470قبل التقسيم وليس في البوليس الآن إلا 56 موظفا مسلما، ولم ينتخب إلا موظفان مسلمان بعد سنة 1947م " ، المثال الثانى ماقال وزير

الدفاع في أبريل 1954م في خطبة ألقاها في جامعة عليكره، أن نسبة المسلمين في الجيش كانت 32 في المائة قبل التقسيم وليس الآن إلا اثنتان في المائة ".

ويمكن أن يقاس على ذلك الوظائف المهمة الرئيسية مع أن المسلمين لم يفقدوا ذلك الذكاء وتلك المواهب التى اشتهورا بها في القديم، واستحقوا بها ثقة الحكومات، وتقلد المسئوليات، ولا يزال عدد المتعلمين فيهم يزداد ويتضخم ، والعصر عصر التعليم والثقافة، وهذا من أسباب انتقال عدد كبير منهم إلى باكستن خصوصا الشباب المثقفين الذين يحرزون الشهادات العالية في العلوم والآداب، ويثبتون نبوغهم وبراعتهم، ثم لا ينالون ما يستقون من المراكز في الحكومة ، مع أن دستور البلاد قد ساوى بين طبقات الشعب وطوائفه، وتكفل تكافؤ الفرص لجميع الطؤائف والعناصر في الجمهورية الهندية، والمساواة بين الحقوق، وهو الذى نضمن زوال هذا الوضع وعدم بقائه لأنه وضع مضاد للستور ومناف للجمهورية إذا سرت روحها في طبقات الشعب وتغلغلت في المجتمع وزالت رواسب العهد الماضى.

هذا رؤوس المشكلات التى يعانيها الشعب المسلم الهندى في هذه الفترة التى لابد منها لكل بدل بقى تحت الحكم الأجنبى مدة طويلة ، ولم يسع الجمهورية إساغة كاملة ولم يتعودها بالمعنى الصحيح ، ولكن نرجو أن هذه الفترة لا تطول لأنها غير صالحة للبقاء في هذا العصر المتحرر الجمهورى، وسيغلب العقل على العاطفة والوعى السياسى على العصبية الطائفية والعقلية الضيقة، وحينئذ تنحل هذه المشكلات وينال الشعب الإسلامى كل ما يستحقه من الحرية والكرامة والمساواة كجزء من أجزاء هذا الوطن العزيز وركن من اركان هذه النهضة المبالكة، إذا اثبت جدارته واستقامته وصبره واعتماده على الله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله.

شخصية الشعب المسلم[1]
مقوماتها ومصادرها

أرحب بكم على أرض قامت عيها تجربة من نوع فريد في تاريخ الديانات والحضارات والثقافات نجحت نجاحا منقطع النظير، تجربة دخول دين يواكبه العلم والحضارة، ومهنج خاص للحياة، لا بربطها به لغة ولا آداب ولا حضارة، ولا قومية ولا عنصرية ، ولا عادات ولا طبائع، فبرهنت هذه التجربة على القوة المودعة في طبيعة الإسلام، وقد رته على إشعال المواهب، وتفتيق القرائح وإثارة الدفائن، واستخدام الطاقات البشرية في صالح الإنسانية، وعلى استجابة الفطرة البشرية السليمة له ، كانما كانت منه على موعد واشتياق، ومعه على تفاهم واتفاق، وبرهنت كذلك عى خصب التربة وكرم المنبت، وعلى أن العلوم الإسلامية تورق وتثمر في كل بيئة ومناخ، وقد تكون أكثر ازدهارا، وأفضل ثمارا، إذا غرست في أرض بكر، وتناولها عمل التلقيح الحكيم ، و "التأبير " السليم، وعلى أن الشعور الغربية ، والبعد عن مصدر هذه الهداية ، ومنطلق هذه القافلة، واليأس من وصول الميرة والمدد ، والاعتماد على نصر الله وحده، ثم الاعتماد على الرسالة التى تحملها هذه الجالية ، وصلاحيتها للبقاء، ونفعها للإنسانية المعذبة، والشعور بكونها على ثغرة من ثغور بعيدة عن مركز الإسلام ، كلفها الله حراستها والذود عنها ، يثير في هذه الجالية قوة تصنع العجائب وتأتى بالمعجزات، وتتغلب على كل مقاومة ومحاربة، ومؤامرة ومعاكسة، وتكذب تجارب الأمم، وتبطل المنطق الماذى الذى يؤمن بالرياضيات، وفلسفة الأعداد والعدد، وخضوع النتائج للمقدمات والمسببات للأسباب.

---

1. ماخوذ ن كلمة الترحيب التى القاها المؤلف في مفتتح المهرجان التعليمى لندوة العلماء المنعقد في 25 من شوال 1395هـ (شهر نوفمبر 1975م) ننقله هنا بعد حذف فقرات التحية والترحيب والاستقبال، فإن المقال يقدم عرضا موجزا لأهم أحداث التاريق الإسلامي في الهند ودور المسلمين في المجالين : التعليمى والثقافى ، ويكاد يكون ملخصا لموضوع الكتاب

تدخل هذه الجالية في البلاد غربية، فلا تلبث تأن تتخذها دورا وقرارا يحبها أبناؤها وتحبهم، ويرون فيها الأخ الكريم والأب الرحيم، والأستاذ الشفيق والحاكم الرفيق، والصانع لاحاذق، والإدارى الحازم، وتصب على هذه التربة أفضل ما عندها من طاقات وكفايات، وعلوم وتجارب، وتعاليم وآداب، وإبداع وابتكار، ونشاط وحماس، وقوة عمل وقوة إرادة ، وحسن تنظيم وقدرة إدارة ، وتلتقى الفروسية التركية، وقوة الإرداة المغولية، والنخوة الأفغانية، والطبيعة الإيرانية المرحة القلقة، والهائمة بالجمال والخيال، ورقة العجم وخفة روحهم، مع جدية العرب وسلامة ذوقهم، مع طبيعة البلاد وأبنائها الرقيقة الوادعة، والولوع بالفلسفة والتصوف، تسيطر على جميع هذه العناصر والعوامل عقيدة التوحيد النقية، وتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة، وتصهرها في بوتقتها، فتنشأ من كل ذلك حضارة جديدة تستحق أن تسمى "الحضارة الإسلامية الهندية".

وقامت في الهند مدرسة جضارية فكرية علمية، ذات شخصية خاصة وطابع خاص، أنجبت عدد كبيرا من النوابغ، وأئمة الفنون الإسلامية، وأصحاب افبداع ولابتكار، والأصالة العلمية، كانوا أصحاب مدارس خاصة، وفاتحى آفاق جديدة، ليس في العلوم الدينية كالتفسير والحديث، والفقه والعقائد فحسب ، بل في علوم اللغة والآداب العربية، أقرلهم علاء لاعرب فافمامة والزعامة فيها، وعدت كتبهم من المراجع الرئيسية في هذه العلوم، وبعضها فريد لا يظير له في المكتبة الإسلامية العالمية [1]، وأمدت هذه المدرسة الحركة العلمية والتأليفية في العالم الإسلامي والعربي التى اصابها الفتور، وغشيها الإعياء الفكرى في بعض الفترات بعد القرن الثامن الهجرى، بدم جديد ونشاط جديد، وأصبحت معقلا لبعض العلوم الإسلامية – بعد الزحف التتارى – وصارت أكبر مركز لعلم الحديث الشريف في الزمن الأخير، ومصدر إشعاع وتصدير بعد ما كانت مركز استقادة واستيراد، ونبغ فيها أكبر علماء هذا الفن، وألف فيها أحسن الكتب في هذا الموضوع، وقاد بعض رجالها في مختلف العهدود حركات الإصلاح والتجديد، والبعث الجديد، سمع صداها العالى، ورؤيت آثارها الطبية المباركة في نواحى العالم الإسلامي لابعيدة.

---

1) اقرأ للتفصيل كتاب " الثقافة الإسلامية في الهند " للعلامة السيد عبد الحى الحسنى، طبع المجمع العلمى العربى بدمشق

ثم أراد الله أن تخوض هذه البلاد أكبر معركة حضارية، ثقافية فكرية ، شهدها التاريخ المعاصر، وأن تواجه أعتف صراع بين المبادئ والعقائد، ، والقيم والمفاهيم، والمعايير والموازين، معركة قامت بين الحضارة الغربية والفلسفة الغربية وبين الحضارة الإسلامية والفسلفة الإسلامية، وصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، بأوسع معانيهما وأدقهما، فكانت معركة حامية دامية، وصراعا عنيفا قاسيا، فقد واجه الشعب الهندى المسلم المثخن بالجراح، المصاب بدهشة الفتح ، الحضارة الغربية الفتية الدافقة بالحيوية والنشاط وجها لوجهه، لا حاجز بينهما ولا فجوة، ودام في ربوع الهند الحكم الانجليزى الثائر الموتور الحانق على هذا الشعب الذى تسلم منه مفاتيح البلاد، وذاق من جرائه الثورة العارمة، والحرب المسعورة قرنا كاملا، يحمل الروح الصليبية مع الروح الاستعمارية، يرى في الشعب المسلم منافسهالحقيقى الدائم في كل زمان ومكان ، ويرى في الإسلام معسكرا يوازى معسكره على طول الخط، وكل يدعى أنه يقود الحياة ويصوغ المجتمع، ويشرع ويسن القوانين ويملأ الفراغ الذى لا بد أن يملأ ، فكان نصيب الشعب المسلم من لهيب هذه المعركة وخسائرها وغراماتها أكثر من نصيب أى شعب آخر، وكان أكر حجساسية وأكثر حسابا لهذه المعركة من جميع الشعوب بطبيعة الحال، وقد سجل التاريخ الأمين المنصف، أنه كان أكثر صمودا، وأكثر احتفاظا بشخصيته ومعنوياته، وأكثر تمردا واستعصاءا على حركة الإبادة الدقيقة الشاملة من أكثر الشعوب ألإسلامية التى اكتوت بنار الاستعمار ألأجنبى ووقعت تحت نيره.

هذا عدا حركة " التنصير " التى يسميها أصحابها حركة" التبشير" التى واجهها المسلمون في الهند على إثر استقرار الحكم الانجليزى، وقد كادت تكتسح البلاد من أقصاها إلى أقيصاها ، وكانت مسلحة بأقوى الأسلحة وأشدها تأثيرأ في الشعب المفتوح المهان، وتتمتع بحماية الدولة التى تعتبر هذه البلاد منحة من السيد المسيح (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) والسيطرة على البلاد فرصة سانحة للدعوة إلى الدين المسيحى، ترافق حركة التنصير حملة تشكيكية قوية، تشكيك في كل ما يتصل بالدين الإسلامي من شريعة وحضارة وثقافة وتاريخ،

وقد قاوم علماء المسلمين كلتا الحركتين بقوة زائدة، وقدرة فائقة، وآثروا سياسة الهجوم والنقد العلمى على سياسة الدفاع والتماس العذر، فانحسرت موجات الدعوةالتبشيرية، والحركة التشكيكية، وتراجعت إلى الوراء، وازداد المسلمون إيمانا وثقة بدينهم ، واعتزازا بحضارتهم وثقافتهم، واعتدادا بضخصيتهم وتاريخهم.

وأم عدد كبير من الشباب المسلمين مراكز الثقافة الغربية في كبرى العواصم الأوربية، وتخصصوا في علومها العصرية، وحذقوا اللغة الانجليزية كأبنائها، وكان منهم أدباء، وكتاب، ومؤلفون، ومعلمون، وإداريون، شهد ببراعتهم وتفوقهم علماء الغربية المادية، والفكرة الغربية المتطرفة المتعصبة للمسيحية أحيانا، والمتحللة الملحدة أحيانا كثيرة، وتناولوا الحضارة الغربية، والفلسفات الحديثة ، بنقد علمى عميق، وتشريح جريئ دقيق ، وتهكم لاذع رشيق، كل عى حسب اسلوبه الخاص، وظروفه الخاصة ، وصدرت من أقلامهم أقوى كتابات في عرض الإسلام كدين كامل شامل، ومهاجمة الحضارة الغربية في أسلوب ملئ بالثقة والاعتزاز، بعيد عن كل تأويل واعتذار، وأنشأوا جبهة علمية قوية أمام دعوة الفكر الغربية والحضارية ، شعارها إنكار إمامة الغرب، وعصمته من كل خطأ ، وبرائته من كل ضعف، والافتخار بالإسلام كرسالة إنسانية عالمية خالدة، والإيمان بمحمد صلى الله عيله وسلم كخاتم الرسل، ومنير السبل وإمام الكل.

ثم واجه الشعب المسلم الهندى بجربة جديدة، ودخل في فترة كبيرة الأهمية، هى تجربة ممارسة الحياة الحرة الاستقلالية، التى كان من أول دعاتها، ومن أكبر أبطالها، والمضحين في سبيلها، والتى يساهم فيها كأبناء البلاد، وأفراد الشعب المواطن المناضل، الحر الأبى الكريم، فترة انتقال من الحكم الأجنبى إلى الحكم الذاتى ، تسن فيه قوانين جديدة، ويصاغ فيه المجتمع صوغا جديداً ويوضع للتربية والتعليم نظام جديد، وتتحكم في حياة البلاد التجاهات ظائفية أحيانا، عاطفية أعصابية أخرى، والمسلمون في كل هذه الظروف أقلية عددية، وظائفة متخلفة قد حرص الحكم الانجليز على إضعافها وتأخيرها في ميدان لحياة ، تحيط بها هالات من

رواسب الماضى، ومن شبهات هى منها ريئه كل البراءة، ومن تصرفات هى منها بعيدة كل البعد، ولك ذلك ضخم مسئوليتها، ويضعف موقفها، ويحرج مركزها، وهى مع كل ذلك صممة على البقاء في هذه البلاد، مع الاحتفاظ التام بشعائرديتها ، خصائص حصارتها وشخصيتها، لا تتخلى عن شئ من ذلك، فكانت حنة ذكاء ومحنة وفاء، محنة عقيدة جازمة، ومحنة وطنية صادقة، حنة الشخصية القوية العبقرية، ومحنة الروح الإيجابية البناءة، محنة قل نظيرها في التاريخ الإسلامي القديم، فلا تمكن الاستنارة به في ذلك، يندر الحديث عنه في كتب الفقه والفتاوى، ومتى وجد ستون مليونا أو كثر من المسلمين في اكثرية غير المسلمين، في بلد يحكمه البرلمان، يسيطر عليه الدستور، واتخذ العلمانية له شعارا، فلا سبيل إذا في خطيط الحياة اللأئقة العملية الخاضعة لتعاليم الإسلام والحقائق

الراهنة، إلا الأصول الإسلامية الحكمية، الخالدة العالمية، والذكاء الألمعى، والشخصية القوية، والعزم الصادق ، والإيمان الراسخ، وإيثار حياة الشرف والكرامة على حياة اللؤم والمهانة، والاستشراف لتبوء مكان القيادة الخلقية الذى لا يزال منصبها شاغرا، والظهور على منصة هذه البلاذ ومسرحها كداع مخلص ربانى، وقائد خلقى إنسانى ، مجرد عن كل شهوة وأنانية ، وغراض فردية وجماعية، ينقذ هذه البلاد من الهوة السحيقة العميقة من الانحطاط الخلقى، وتقديس المادة والتهالك عليها، والانتهازية، ونسيان فاطر الكون، وذلك هو الطريق الوحيد الذى يرفع هذا الشعب من مستواه الشعبى العام إلى مستوى الرائد ، والقائد الرفيع السامق.

وقد عرف الشعب المسلم الهندى في تاريخة الطويل – ولا أزكى على الله أحد – إنما هو تحديث بالنعمة ، وتقرير الواقع التاربخى – بقوة عاطفته الدينية، وحبه العميق، المتغلغل في الأحشاء لرسول الله صلى الله عيله وسلم، وارتباطه بمهد الإسلام ومركزه، وذلك الذى حماه من أن يذوب ويفقد شخصيته، كما كان اشأن مع الشعوب التى دخلت في هذه البلاد في فترات مختلفة، وأبدى اهتمامه الشديد بقضايا الإسلام والمسلمين في الزمن الأخير، قد تبنى قضية الدفاع عن الخلافة العثمانية بحماس منقطع النظير، ولا تزال " حركة الخلافة " التى كان لها فضل كبير في إثارة الوعى السياسى والوطنى في شبه القارة الهندية، كبرى حركان الهند

الشعبية، وموضع دهشة المستعمرين ، وموضوع المؤخين والمؤلفين وكذلك أبدى اهتمامه الشديد بقضية فلسطين، والمسجد الأقصى المبارك، وكان مرهف الحس، ورقيق الشعور ، شديد الانفعالية في كل ما يقلق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وقد تجلت قوت عاطفته الإسلامية ، وشدة تمسكه بالدين، وتعاليمه وثقافته، في شبكة المدارس الدينية والكتاتيب الإسلامية، الدقيقة الواسعة، التى قلما خلت منها قرية كبيرة فضلا عن المدن والأمصار، وقد أسسها المسلمون في طول الهند وعرضها ، بعد استقرار الحكم الانجليزى، وتملكه لزمام التربية والتعليم في القطر الهندى ، وهى تتجاوز المئات ، وتبلغ إلى الألوف ، ومنها عدد كبير يسمى " بالمدارس العربية " لعنايتها الزائدة بالعلوم الإسلامية التى ألفت كتبها في اللغة العربية، وعنايتها بالقرآن والحديث اللذين هما بلغة العرب، وهى تعنى غالبا بتدريس الجامع الصحيح للبخارى بصفة خاصة ، وتدريس صحيح مسلم، وجامع الترمذى ، وسنن أبى داود بصفة عامة، وتكاد تكون هذه المدارس كلها شعبية يمولها ويكفلها الشعب المسلم ، ويعتبر ذلك سعاذة وعبادة ، ويتنافس فيه ، وذلك سر وجود هذا العدد الكبير من العلماء المحتسبين، والدعاة المتطوعين، والمعلمين المخلصين في كل زمان ، الذين يعيشون على الكفاف ، ويبلغه من العيش يتبلغون بها نشرالعلم ، والدعوة إلى الله ، وتعليم الناس دينهم.

ومن سمات العلماء والمتخرجين في هذه المدارس الدينية البارزة، أنهم كانوا في طليعة المناضلين لتحرير البلاد وإجلاء " المستعمرين " وفى مركز القيادة في هذه الحركة الشعبية القوية ، ومنهم انبثقت فكرة النضال ضد الاحتلال في الحقيقة، وقد قاد كثير منهم حركات المقاومة الفعالة والثورات المسلحة يمقدرة وشجاعة، فمنهم من قتل شهيدا. ومنهم من شيق، ومنهم من نفى إلى جزائر إندمان ، أو إلى منفى جزيرة مالطة ، ومنهم من قضى شطرا من حياته في السجون والمعتقلات في داخل البلاد، وتاريخ حركة التحرير والاستقلال مقترن بتاريخ العلماء والشخصيات الدينية في الهند، متداخل فيه ، بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

ومن سماتهم البارزة أنهم قادوا الحركة الأدبية الإنشائية في شبه القارة الهندية، وكانوا من الدعائم القوية السامقة التى قام عيلها قصر الأدب الرفيع والنثر الفنى بعد ثورة 1857م، وكان كل واحد منهم مؤسس مدرسة أدبية خاصة ، لا يزال لها أنصار وأتباع ومقلدون، وكان كثير منهم رائد نشاط جديد في الإنشاء والتحرير، والنقد وتاريخ الأدب والشعر ، ولا تزال مؤلفاتهم هى المرجع الأصيل والعمدة في هذا الموضوع، فلم يكن في الهند ذلك الفصام النكد بين علوم الدين والأدب العصرى ولغة البلاد، ولم تكن تلك الفجوة التى وفعت في بعض البلاد بين علياء الدين والشادين بالأدب والشعر، والهائمين بهما ، الفجوة التى جنت على الدين والأدب في وقت واحد.

وأصبح الشعب المسلم الهندى اليوم مكتفيا بالإسلام، يستمد قوته وصموده من منابع الإسلام الأصيلة، كالكتاب والسنة، وسلوك الرعيل الأول من المسلمين، وجهاده ووفائه وبطولاته، وسيرة السلف الصالحين الذين أحسنوا فقه الإسلام، وأساغوا تعاليمه، واستقاموا على الطريقة ، قد ربط عقيدته ومصيره وسلوكه بالإسلام، ولم يربطه بالمسلمين عربا كانوا أو عجما ، فليس " إمعة " يقول إن آمن الناس آمنا، وإن كفروا كفرنا، وإن استقاموا استقمنا، وإن انحرفوا انحرفنا ، ولا يشترط لوفائه للإسلام، وفاء شعب من الشعوب الإسلامية للإسلام، بل يرى ذلك لزاما عليه وشكرا لنعمة الإيمان التى لا نعمة أعظم منها، وهو يدعو الله أن يبقى متمسكا بالجامعة الإسلامية، معتزا بحضارة الإسلام وفلسفته، متمسكا بالدين الإسلامي كدين كامل يقود الحياة كلها والأزمنة والمجتمعات كلها، حين تؤمن شعوب كثيرة بقومياتها وحضاراتها البائدة، وفلسفات عتيقة وحديثة، منافية للإسلام او منافسة له وأن يلهم الثبات على المبادئ والقيم، والمثل العليا، مهما كانت قيمته في الحياة المادية والفرص المواتية ، حتى يستطيع أن يخاطب ربه وينشد.

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل حين ولك الذى فوق التراب تراب

شعب يقرر ويعاهد الله

" نختم هذا الكتاب بالكلمة التى ألقاها المؤلف في مؤتمر التعليم الإسلامي (الذى انعقد في 4 و 5 من يونية عام 1961 م في لكهنؤ تحت رئاسته) في جلسته الأخيرة، وهى تحدد موقف المسلمين في الهند ، ومركزهم وتنير الطريق لهم، وهى من خير ما يختم به هذا الكتاب".

أيها السادة ! نحن الآن في الجلسة الأخيرة من جلسات المؤتمر، وسترجعون إلى بلادكم ومراكزكم، وأحرص على أن لا ينفض هذا المجلس إلا وأنتم تحملون رسالة معكم، ولا تقوموا من هذا المجلس إلا بعد ما عاهدتم الله ، وأخذتم من نفوسكم ميثاقا ترتبطون به في حياتكم ، وإن مستقبلا يتوقف على هذا الميثاق.

إن لهذا الميثاق وجزئين : اولهما أن نؤمن بأن هذه البلاد – الهند - هلى بلادنا ووطننا، وسنعيش فيها كأبناء، وحقنا على هذه البلاد لا يقل عن حق أكبر مواطن وأقدم مولود فيها، وليس لأعظز شخصية في ربوع الهند – سواءا كان رئيس الجمهورية الهندية أو رئيس الوزراء – أن يدعى أن حقه على هذه البلاد يزيد على حقنا، فهذا البلد جبيب إلى نفوسنا، ونحن حرسة دستوره، ولا نسمح يخناية فيه، أو مؤامرة ضدة ، إن كل شبر من أشبار هذه الأرض الواسعةاللجميلة يحمل ذكرياتنا الخالدة، ويشهد بعهدنا الجميل الزاهر، ومواهبنا النادرة ، وإنتاجنا الضخم ، لقد كانت هبتنا لهذه البلاد ونصيبنا في ترفيهها وترقيتها وتزيينها يفوق نصيب كل شعب حكم هذه البلاد، لقد ولدت هذه البلاد في عهدنا ولادة جديدة، ووصلت إلى أوج الحضارة والتمدن، ومن أراد أن يعرف مانقله المسلمون إلى هذه البلاد من ثمرات الحضارة ونتاج العقول وما أضافوا عليها من الجمال والكمال فلينظر إلى ما كانت عيله قبل دخول المسلمين، ثم يقرن بين ذلك وبينما تجملت به بعد ما استمر الحكم الإسلامي مدة من الزمان وما هى عيله الآن ، فهذه البلاد بلادنا ، إنه وكرنا الذى نأوى إليه ونطير منه، وحقنا عليه حق الطائر على عشه، وعلى روضته التى ولد وعاش فيها، يتمتع بأنهارها وأشجارها، ويتغنى

بأزهارها وأثمارها، يجلس على أى غصن شاء، ويطير في الأجواء في حرية والنطلاق، ومن غير خوف وإشفاق.

فوطنيتنا صادقة، وحقوقنا لمدنية لا تتحدى ولا تناقش، يجب أن تكون هذه عقيدتكم، وأن تكونوا من ذلك على ثقة ووضوح،لا يخالجكم في ذلك تردد والضطراب، ولا يساوركم فيه خوف أو ارتياب، نحن أبناء الهند، وسنعيش فيها كأبناء وأصاب البلد، وسنسهم في تقدمها ورقيها، وتحقيق مشاريعها العمرانية ورفع مكانها السياسية، بكل نشاط وحماسة وبكل رغبة وسرور، وسنظلمحافطين على كرامتها وشرفها وروح دستورها، وسنقوم بواجبنا وإن تخلف عن أداء الواجب كل هندى وكل مواطن، فنحن أبناء بررة وقوم أشراف ومواطنون أوفياء ، هذا هو الميثاق الذى أخذناه من نفوسنا ، ونريد أن نجدده في هذا المجلس.

والشطر الثانى من هذا الميثاق أننا عاهدنا أن نعيش في هذه البلاد بكل خصائصنا الملية، وحضارتنا الإسلامية وشعائرنا الدينية، ويأخلاقنا الاجتماعية وبشخصيتنا المسلمة، لا نتخلى عن شعيرة من شعائرنا، ولا نتنازل عن جزء من أجزائها، يحرم علينا أن نعيش مجردين عن هذه الخصائص، وعن هذه الحضارة وعن هذه الشخصية، ولا لذة في الحياة ولا خير فيها بعد ذل ، فإذا لم يكن لنا أن ننقل عقيدتنا وتراثنا الحضارى إلى أجيالنا وأولادنا، وأن نعلمهم كما تفرضه علينا مبادئنا وعقائدنا الإسلامية، وإذا لم يكن لنا كذلك أن نقر عينا بأسلاميتهم ونشأتهم الدينية ، فليست هذه الحياة حياة الأشراف الأحرار فضلا عن أن تكون حياة المسلمين الأبرار، إنما هى حياة البهائم والسائمة، حياة الثيران والحمير والكلاب، إن الكلب يكفيه أن ينال راتبه من أكل وشرب ، وأن يكون مصونا عن الأعداء، وأن يكون حرا في لإنتاج، وأن ينال شبعه وريه على يد سيده، وكذلك يكفى الثور أن ينال علفه وأن يكون آمنا في مربطه أو حرا في غابته، فإذا تم له ذلك طابت حياته، وتحققت رغاباته، وكملت حريته، ولا يفكر في تربية أولاده على أسالوب خاص، ولا يفكر في عقيدة ينقلها إلى أولاد أو يأخذها بها، حتى إذا منع من ذلك وحرم فرصه ووسائله ثار واضطرب وتكدر عيشه.

ولكن الإنسان يختلف عن ذلك كل الاختلاف فا يكفيه أن يقطع له من الرزق، أو يأتيه رزقة رغدا، ويرتب له غذاؤه وقتته، وما لا يعيش بغيره، وأن يحفظ من الاعتداء على النفس والعرض والمال، إنه يريد أن يضم إلى ذلك حرية تربية أولاده وتعليمهم ، وأن ينقل إليهم عقيدته وعقليته وثقافته وما يؤمن به من مبادئ، ويتمسك به من أصول، ويستميت في سبيله من دين ، وأن يرى أولاده وخلفاء وأفلاذ كبده على الطريق الذى اختاره لنفسه وآثره على غيره ، لا تسلط عليه عقيدة يكفر بها، ولا ثقافة يعارضها، لا يملك من أولاده ومستقبلهم وسيرتهم شيئا، ويراهم يرتدون عن دينه وينسلخون عن حضارته، ويتجردون عن خصائصه، فلنعاهد الله علىأن نعيش عيش الأشراف الحرار، عيش بنى آدم الذين أكرمهم الله بالإنسانية، ولا نعيش عيش البهائم الداجنة أو الكلاب المقتناة، ولا نقتنع بحرية الأكل والشرب، وضمانة الرواتب وتكافؤ الفرص، في قضاء مأرب النفس وتربية الأجسام وتولى الوظائف فحسب، إننا نرفض هذا الأسلوب من الحياة، وهذا المنهج من التفكير، وهذا النوع من الحرية، وهذا القدر من الوطنية.

سادتى ! إن في هذه البلاد منبوذين ينحدرون من الشعوب التى استعبدها الذين فتحوا هذه البلاد قبل آلاف من السنين، والضطروهم إلى أن يعيشوا في ظلم وفقر وضعف وسخرية، يتنجس الإنسان إذا مسهم، ويعاب إذا جالسهم ، ويعاقب إذا واكلهم، إن هؤلاء الأشقياء جنوا على أنفسهم يوم دخل هذه البلاد الفاتحون من أواسط آسيا جناية يحتملون جريرتها إلى هذا اليوم ، وسيتحملونها إى قرون وآلاف من السنين، كان ذلك أنهم آثروا حياة الذل على موت الشرف، إن الشعوب تخطئ مرة وتعاقب لآلاف من السنين، لا نريد أن نرتكب هذا الخطأ، إننا نهاهد على أن نعيش في الهند حياة كريمة شريفة، لا حياة الكلاب ولا حياة المنبوذين.

إننا لا نعبش فيها حياة العبيد، إننا أبناء هذه البلاد، لنا من الحقوق والحطوط ما لغيرنا، إننا بناة هذه البلاد ومن مؤسسى حضارتها ، وأصحاب الفضل عيلها، وليس لقوة في العالم أن تسلبنا هذا الحق الطبيعى، وهذا الحق الدستورى، لقد انقضى عهد الاستعباد والاستعمار، وليس

لشعب أن يستعبد شعبا آخر، وليس لحضارة أن تقتل حضارة أخرى، وليس للغة ان تقضى على لغة أخرى ، ولقد أصبح العالم اليوم أسرة واحدة لا يخفى ظلم أو اضطهاد في قطعة أو بقعة، لقد استيقظ الضمير العالمى ، فإذا ظلم السود في أفريقيا أو الملونون في أمريكا صرخ الضمير العالمى وثار الرأى العام، إننا نحن المسلمين – بصفة خاصة – اسرة عالمية منتشرة في الأرض، مرتبطة بالعقيدة والدين والأخوة الإسلامية لنا، إخوان في جميع بقاع الأرض يتألمون بألمنا، إننا سنحارب كل ظلم، وكل ثورة على الدستور، إننا أمة لا تزال تملك تلك المواهب العظيمة التى خدمت بها الإنسانية وهذه البلاد، إننا لم نفلس في عقولنا وفي أخلاقنا، إن سحابتنا التى هطلت على ألأرض لم تصبح جهاما، إنها لا قحة غنية بالماء والخصب.

إننا أيها الأخوة في هذا الثلث الأخيرة من الليل الذى تنزل فيه رحمة الله ويجاب الدعاء وتصفو القلوب ، نعاهد بكل إخلاص أننا سنبقى في هذه البلاد بإسلاميتنا وإسلامية أجيالنا القادمة، ونبذل في هذا السبيل كل رخيص وغال، ونحتمل السراء والضراء ، ونكون من إحدى الطائفتين اللتين ذكرهما الله تعالى في سورة الأحزاب.

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾.

تحفة المجاهيدن في بعض أخبار البرتغاليين

القسم الثانـــــي :

في بدء ظهور الإسلام في مليبار .

وذلك أن جمعا من اليهود والنصارى دخلوا بلدة من بلاد مليبار يقال لها كدنكلور – وهي مسكن ملكها – في مركب كبير بعيالهم واطفالهم، وطلبوا منه الأراضي والبساتين والبيوت وتوطنوافيها، وبعد ذلك بسنين وصل إليها جماعة من فقراء المسلمين معهم شيخ قاصدين زيارة قدم أبينا آدم عليه السلام بسيلان ، فلما سمع الملك بوصولهم طلبهم وأضافهم وسألهم عن الأخبار ، فأخبره شيخهم بأمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبدين الإسلا، وبمعجزة انشقاق القمر، فأدخل الله سبحانه وتعالى في قلبه صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، فآمن به ودخل في قلبه حب النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر الشيخ بأن يرجع هو وأصحابه إليه بعد زيارة قدم آدم عليه السلام ليخرج هو معهم ، ومنعه أن يحدث بهذا السر المليباريين، ثم إنهم سافروا إلى سيلان، ورجعوا إليه، فأمر الملك الشيخ بأن يهيئ مركبا لسفره من غير أن يعلم به أحد، وكان في البندر المذكور مراكب كثيرة للتجار الغرباء، فقال الشيخ لصاحب مركب: أنا وجماعة من الفقراء يتوقعون أن يركبوافي مركبك، فرضي بذلك صاحب المركب، ولما قرب وقت السفر نهى الملك أهل بيته ووزراءه أن يدخل أحد منهم عليه مدة سبعة أيام، وعين في كل بلدة من بلدانه شخصا، وكتب لكل كتابا مفصلا بتعيين الحدود حتى لا يتجاوز أح عن حده الذي عينه. والحكاية في ذلك مشهورة عند كفرة مليبار أيضا، وكان ملكا متواليا في جميع مليبار، وحدها من الجنوب كمهري ومن الشمال كانجركوت، ثم إن الملك ركب مع الشيخ والفقراء في المركب ليلا، وسار المركب حتى وصل إلى فندرية، فنزل فيها ولبث يوما وليلة، ومنهاسار المركب إلى درمفتن، ونزل فيها ولبث ثلاثة أيام، ومنهاسار المركب حتى وصل إلى شحر، ونزل فيها هو

ومن معه، وبعد مدة طويلة رافقه جماعة في السفر معه إلى مليبار لعمارة المساجد وإظهار دين الإسلام فيها، ثم إن الملك مرض واشتد مرضه ، فوصى أصحابه الذين رافقوه – وهم شرف بن مالك، وأخوه من الأم مالك بن دينار، وابن أخيه مالك بن حبيب بن مالك وغريرهم – بأن لا يبطلوا سفر الهند بعد موته فقالوا: نحن لا نعرف موضعك ولا حد ولايتك، وإنما أردنا السفر بصحبتك، فتفكر الملك ساعة وكتب لهم ورقة بخط مليبار عين فيها مكائه وأقرباءه وأسماء ملوكها، وأمرهم أن ينزلوا في كدنكلور أو درمفتن أو فندرينة أو كولم، وقال لهم لا تخبروا بشدة مرضي ولا بموتي إن مت أحدا من الملیباريين ، ثم إنه توفي رحمه الله رحمة واسعة.

وبعد ذلك بسنين سافر شرف بن مالك، ومالك بن دينار، ومالك بن حبيب وزجته قمرية وغيرهم مع الأولاد والأتباع إلى مليبار في مركب، فوصل غلى كدنكلور، ونزلوا فيها وأعطوا ورقة الملك المتوفى إلى الملك الذي فيها، وأخفوا خبر موته، فلما قرأها وعلم مضمونها أعطاهم الأراضي والبساتين على مقتيضي ما كتبه، فأقاموا فيها وعمروا فيها مسجدا، وتوطن فيها مالك بن دينار وأقام ابن أخيه مالك بن حبيب مقامه لبنائه المساجد في مليبار، فخرج مالك بن حبيب إلى كولم بماله وزوجته وبعض أولاده وعمر بها مسجدا، ثم خرج منها بعد ما خلى زوجته فيها إلى هيلي ماراوي، وعمر بها مسجدا، ثم إلى باكنور وعمر بها مسجدا ثم رجع منها إلىمنجلور وعمر بها مسجدا وخرج إلى كانجركوت وعمر بها مسجدا وخرج منها إلى هيلي ماراوي وأقام بها ثلاث أشهر، ومنها إلى جرفتن وعمر بها مسجدا، ومنها إلى درمفتن وعمر بها مسجدا، ومنها إلى فندربنة وعمر بها مسجدا، ومنها إلى شاليات وعمر بها مسجدا، وأقام بها مدة خمسة أشهر، ومنها إلى كدنكلور عند عمه مالك بن دينار، ثم سافر منها إلى المساجد المذكورة وصلى في كل مسجد منها ورجع إلى كدنكلور شاكرا الله وحادمدا له لظهور دين الإسلام في أرض ممتلئة كفرا.

ثم خرج مالك بن دينار ومالك بن جبيب مع الأصحاب والعبيد إلى كولم، وتوطنوا غير مالك بن دينار وبعض أصحابه، فإنهم سافروا إلى شحر وزاروا قبر الملك المتوفي فيها. ثم سافر مالك إلى خراسان وتوفي فيها . ورجع مالك بن حبيب مع زوجته بعد ما ترك بعض أولاده في كولم إلى كدنكلور وتوفي فيها هو وزوجته وقبرهما يقع بجوار المسجد التاريخي في كدنكلور.

هذا خبر أول ظهور دين الإسلام في بلاد مليبار، وأما تاريخه فلم يتحقق عندنا، وغالب الظن أنه كان بعد المائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، وأما ما اشتهر عند مسلمي مليبار أن إسلام الملك المذكور كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم برؤية انشقاق القمر ليلة،وأنه سافر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتشرف بلقائه ورجع إلى شحر قاصدا المليبار مع الجماعة المذكورين وتوفي فيها، فلا يكاد يصح شيء منها. [وهناك مؤرخون يرون صحة هذا الخبر الذي اشتهر بين المسلمين وغيرهم في كيرالا إن إسلام الملك المذكور كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول راوو بهادر كوبالن ناير في كتابه مسلمو مليالم **C. Gopalan Nairs Malayalathile Mappilamar** نقلا عن بعض الكتب العربية التي ترجمها له القاضي الكبير السيد حسين بن محمد بن علي شهاب الدين باعلوي أن برمال لقي النبي بجدة في الساعة التاسعة من يوم الخميس 27 شهر شوال وأنه كلمتي الشهادة وأنه سماه بتاج الدين السلطان وأنه قضى خمس سنوات معه . ويؤيد هذا القول ما رواه الحاكم في المستدرك أن ملكا هنديا أهدى إلى النبي الزنجبيل في جرة وأنه قسمة قطعة قطعة بين أصحابه]. والمشهور الآن بين الناس أنه مدفون في ظفار، لا شحر وقبره مشهور هنالك يتبرك به، وأهل تلك الناحية يسمونه السامري. وخبر غيبة الملك المذكور مشهور عند جميع أهل مليبار المسلمين والكفرة، إلا أن الكفرة يقولون عرج به إلى فوق ويتوقعون نزوله، ولذلك كانوا يهيئون في موضع في كدنكلور قبقبا وماء ويسرجون فيه في ليلة معروفة عندهم، ومشهور عندهم أيضا إنه قسم ولايته عند قرب سفره على أصحابه إلا السامري الذي كان أولا رعاة بندر كاليكوت، وبعد رمان سكن فيها المسلمون ووصل إليها التجار، وأصحاب الصنائع من أطراف

شتى، وكثرت التجارة فيهاحتى كبرت وصارت مدينة عظيمة، اجتمع فيها صنوف الناس من السملمين والكفار، وظهرت قوة السامري فيما بين رعاة مليبار. ورعاتها كلهم كفرة وفيهم القوي والضعيف ، ولكن لا يأخذ القوي بلد الضعيف بقوت ، وذلك بوصية ملكهم الكبير الذي أسلم، ودعائه بذلك وببركة النبي صلى الله عليه وسلم وبركة دينه، فإن منهم من يكون له مملكة فرسخ، ومنهم من يكون له زيادة على ذلك، وفيهم من يكون له من العساكر مائة أو دنها أز مائتان أو ثلثمائة إلى ألف وإلى خمسة آلاف وعشرة آلاف إلى ثلاثين ألفا وإلى مائة ألق أو أكثر. وبعذ البلدان يشترك فيها اثنان وثلاثة أو أكثر، مع أن بعضهم أقوى وأكثر عسكرا من الآخر، يقع الحرب والشحناء بينهم ، ومع هذا لا يتغير أمر الشركة، وأكثرهم عسكرا ترودي راعي كولم وكهمري وما بينهما ، وفي شرقيهما ممالك كثيرة له، ثم كولتريي راعي هيلى ماراوي وجرفتن وكننور وإدكاد ودرمفتن وغيرها وأكثرهم شوكة وأشهرهم ذكرا السامري وله ظهور فيما بينهم، وذلك ببركة دين الإسلام وحبه للمسلمين وإكرامه لهم خوصا الغرباء، وأما الكفرة فيزعمون أن ذلك بإعطاء الملك المتقدم ذكره السيف له، وذاك السيف موجود عند السامري إلى الآن على ما يزعمون ، محترما معظما ويحمل بين يدية إذا خرج لحرب أو مجمع عظيم، وإذا حارب السامري أحد رعاتها الذين هم غير الأقوياء بسبب من الأسباب يعطيه المال أو المملكة إذا اضطر، وإذا لم يعط لا يتسلط قهرا مع قدرته على ذلك ولو طال الزمان، وذلك أن أهل مليبار يراعون العادات الرسوم القديمة ولا يخالفونها إلا نادرا، وأما غير السامري فليس له في المحاربة شيء إلا إهلاك النفوس وتخريب البلدان إن أمكن.

القسم الثالث :

في ذكر نبذة يسيرة من عادات كفرة مليبار الغريبة

اعلم أن في كفرة مليبال عادات غريبة ليست في غيرها من الأقطار. منها أنه إذا قتل راعيهم في الحرب يتهجم عاسكره على خصمه وعساكره وبلاده حتى يقتلوا جميعهم أو يخربوا

مملكة خصمه جميعا، ولهذا يهابون من قتل الراعي هيبة عظيمة. وهذا عادتهم القديمة وإن قلت المحافظة على ذلك في هذا الزمان. ومنها أن رعاة مليبار صنفان : صنف معينو السامري وصنف معينو راعي كشي، ولا يختلف ذلك إلا لعارض، فإذا زال العارض رجعوا إلى طريقتهم الأولى. ومنها أنهم لا يخدعون في حروبهم، بل يعينون يوما معلوما للحرب لا يخالفونه، ويرون الخداع في ذلك هوانا. ومنها أنه إذا مات كبيرهم كالأب والأم وكبير الإخوة بالنسبة إلى البراهمة والنجارين وأمثالهم، وكالأم والخال وكبير الإخوة بالنسبة إلى النيار ومن قاربهم، يجتنبون سنة كاملة غشيان السناء وأكل الحيوانات والتنبول وحلق الشعور ، وقلم الأظفار ولا يخالفون هذه العادة ويرون ذلك قربة إلى الأموات.

ومنها أن الإرث في طوائف النيار ومن قاربهم لإخوتهم من الأم، وأو لاد أخواتهم أو خالاتهم أو قرابتهم من جهة الأم، لا للأولاد مال وملك، وقد أنجر هذا- أعني عدم توريث الأولد- إلى أكثر مسلمي كننور وما حواليها تبعالهم مع أن فيهم من يقرأ القرآ، ويحفظه ويحسن قراءته ويتعلم العلم وشيتغل بالعبادات. وأما البراهمة والصاغة والنجارون والحدادون والفازانيون والسماكون وغيرهم فالإرث فيهم للأولاد ولهم نكاح. وأما النيار فليس لهم من النكاح إلا عقد خيط في عنق المرأة في أول مرة، ثم الأمر على حسب الحال، العاقد وغيره سواء. وأما الراهمة فإذا كانوا إخوة لا ينكح إلا أكبرهم سنا ما لم يتحقق أنه لا يولد له، والباقون لا ينكحون لئلا يكثر الورثة فيقع الخلاف. بل ينضمون إلى نسوان النيار من غير فكاح. وإذا حصل لأحدهم من إحداهن الولد فلا يورثونه، وإذا تحقق الأكبر لا يولد له نكح غيره.

ومنها أنه يجتمع على امرأة واحدة من طوائف النيار ومن قاربهم اثنان أو أربعة أو أكثر، ويتناوب كل منهم ليلة كما يقسم الزوج المسلم بين زوجاته، ووقوع العداوة والشحناء بينهم في ذلك قليل، وتبعهم النجارون والحدادون والصاغة وأمثالهم في أن يجتمع على امرأة أكثر من

واحد، ولكن من الإخوة ، وإلا فمن القرابة لئلا يتفرق الورثة ويقل الاختلاف بينهم في الإرث. ومنها أنهم كاشفون أبدانهم ولا يسترون منها إلا السوأتين وشيئا مما يليهما وباقي البدن مكشوف ، ويستوي في ذلك الذكور والإناث والملوك والكبراء ، ولا يحتجب نسوانهم عن أحد إلا نسوان البراهمة فلهن احتجاب، وأما النيار فيزينون نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة ويخرجونهن في مجمعهم الكبيرة حتى يشاهدن الرجال ويستحسنوهن.

ومنها أنه لا يتملك فيهم إلا من هو أكبر سنا ولو بلحظة ، وإن أحمق أو أعمى أو ضعيفا أو من أولاد الخالات، ولم يسمع أن أحدا من الإخوة أو أولاد الخالات قتل من هو أكبر منه سنا لتولي الملك عجلا. ومنها أنه إذا انقطع الورثة أو قلوا يأخذون أجنبيا ولو كبيرا ويجعلونه وارثا في مقام الولد أو الأخ أو ولد الأخت،ثم لا يفرقون بينه وبين الأصلي في الإرث والملك، وهذه العادة جارية بين جميع كفرة مليبار ملوكهم وسوقتهم ، أعاليهم وأدانيهم ، فبذلك لا ينقطع ورثتهم. ومنها أنهم التزموا تكليفات كثيرة لا يعدلون عنها، لأنهم منقسمون على أجناس عديدة، منهم الأعلى والأدنى وما بينهما، وإذاوقع التماس بين الأعلى والأدني، وكذا القرب إلى حد معلوم عند هم بالنسبة إلى الدنيين، فلا بد للأعلى من الغسل ، ولا يجوزون له أكل الطعام قبل الغسل، فلو أكل قبله انحط عن مرتبته، فلا يدخلونه معهم في مرتبتهم العليا، ولا خلاص له إلا بالهرب إلى موضع لا يعرف أهله بحاله، وإلا أخذه راعي البلد وباعه لمن لهو أدنى منه مرتبة إن كان صبيا أو امرأة، وإلا جاء إلينا وأسلم أو صار جوكيا أو نصرانيا. وكذا لا يجوزون للأعلى أن يأكل طعاما طبخه الأدنن فإن أكل خرج عن مرتبته ويترتب عليه ما ذكر آنفا. وأصحاب الخيوط – وهم الذين يلتزمون لبس الخيوط في عواتقهم – أعلى جميع كقرة مليبار ، وهم أيضا طوائف منهم الأعلى والأدنى وما بينهما، والبراهمة أعلى أصحاب الخيوط وهم أيضا أصناف، ودون أصحاب الخيوط النيار وهم عساكر أهل مليبار وأكثرهم عددا وشوكة، وهم أيضا أصناف كثيرة منهم الأعلى والأدنى وما بينهما، ودونهم الفاز انيون وهم الذين يعتادون

صعود أشجار النار جيل لتنزيل حبوبها إلى الأرض وإخراج مائها الذي يصير خمرا يطبخ ويجعل سكرا.

ودونهم النجارون، والحدادون والصائغون والسماكون وغيرهم، ودونهم طوائف كثيرة مهم الدنيون، وهم الذين يعتادون الحراثة والزراعة وما يتعلق بهما، وهم أيضا أصناف، وإذا وقعت حجرة من واحد من الدنيين على إحدى النساء اللاتي فوق مرتبته في ليال معروفة عندهم من السنة انحطة عن مرتبتها إن لم يستصحبها ذكر ولو حملا، فإما أن يأخذها الوالي ويبيعها أو تجيئ إلينا وتسلم أو تصير نصرانية أو جوكبة، وكذا إذاوقع الوطء بين عية ودني أو بالعكس فينحط العلي عن مرتبته فلاقرار له إلا بأحد الأمور المذكورة، إلا إذا وطئ أصحاب الخيوط نسوان النيار، فلا يخرجونهم عن مرتبتهم، وجعلوا هذاعادة فيما بينهم لما تقدم أنه لا يتزوج إلا أكبر الإخوة في البراهمة والباقون ينضمون إلى نسوان النيار. وكم مثل هذا من التكليفات التي التزموها على أنفسهم جهلا وسفاهةن وقد جعل الله سبحانه وتعالى سببا غالبا لدخولهم في دين الإسلام بفضله.

وهذه الكلمات إنما وقعت فيما بين الكلام استطرادا، فإن الكلام يجر إلى الكلام ، عدنا إلى مقصودنا بهذه الأوراق ، وذلكأن شرف بن مالك ومالك بن دينار وحبيب بن مالك وغيرهم ممن تقدم ذكرهم ، لماد دخلوا مليبار وعمروا المساجد في البنادر المذكورة وفشا فيها دين الإسلام، دخل أهلها في الدين قليلا ووصل إليها التجار من أطراف كثيرة وعمرت بلاد غيرها مثل كاليكوت، ويلينكوت، وترورنكادي ثم تانور ثم فنان وبربور نكادي ثم برونور (Paravanna) من حولي بندر شالياب ومثل كبكات وتركودي وغيرهما من حوالي فندرينة ومثل كننور وإدكاد وترونكاد وميلي وجمنيا من حوالي درمفتن وفي جنوبها بدفتن ونادورم وفي جنوبي كدنكلور كشي وبت وبلبرم وكذا غيرها من البنادر وكثر فيها سكانها وعمرت بالمسلمين وتجاراتهم لقلة

ظلم رعتها مع كونهم وكون عساكرهم كفرة، ومع رعايتهم عاداتهم المتقدمة وعدم مخالفتهم لها إلا نادرا، والمسلمون فيها رعايا وقليلون، لا يبلغون عشر معاشيرهم.

وأعظم بندر مليبار من قديم الزمان ذكرا بندر كاليكون وكنها ضعفت وخربت بعد وصول الإفرنج إلى مليبار وتعطليهم أسفار أهلها، وليس للمسلمين في جميع ديار مليبار أمير ذو شوكة يحكم عليهم، بل رعالتهم الكفرة يحكمون عليهم بضبط أمورهم وتغريمهم المال إذا صدر من أحد منهم ما يتقضي الغرامة عندهم . ومع هذا فللمسلمين فيما بينهم حرمة وعزة، لأن أكثر عمارات بلادهم بهم فيمكنون من إقامة الجمع والأعياد، ويعينون الوظائف للقضاة والمؤذنين، ويعينون في إجراء المسلمينثم يأخذه المسلمون ويغسلونه ويكفنونه ويصلون عليه صلاة الجنازة ويدفنونه في مقابر المسلمين، وإذا صدر من كافر ما يقتضي قتله قتلوه وصلبوه وتركوه في مقتله حتى يأكله الكلاب وأبناء آوى. ولا يأخذون منهم إلا العشور في التجارات وإلا الغرامات إذا صدر منهم ما يقتضي الغرامة عندهم ، ولا يأخذون الخراج من أصحاب الزراعات والبساتين ، ولو كثرت ، ولا يدخلون داخل بيوت المسلمين بغير إذنهم إذا صدر منهم جراءة ولو قتلا بظلم، بل يكلفونهم إخراج صاحب الجراءة من بينهم بالملازمة والإضرار بالتوجيع ونحوه، ولا يتعرضون لمن أسلم منهم بأذى، بل يحترمونه كاحترام سائر السملين، ولو كان عندهم من أسافلهم. وكان تجار المسلمين في الزمن القديم يجمعون له ما يرتفق به.

شرح الكلمات الغامضة :

1- مدينة كدنكلور : تقع في جنوب كيرالا في محافظة ترشور وكان إسمه القديم موزيرس Muziris ومهوديابرم Mahodayapuram واختلف المؤرخون في أصل اليهود الذين جاؤوا إلى كدنكلور كما اختلفوا في تاريخ وصولهم، غير أن التاريخ يقول : إن جمعا من اليهود يقيادة جوزف ربان قد وصلوا إلىكيرالا بعد سقوط أورشليم. وكان وصول النصارى إلى كدنكلور أولا في السنة الثانية والخمسين للميلاد بقيادة القديس توما St. Thomas. 2 – شيرمان برمال :

وبعضهم يقولون : بالي بانا برمال Pallipana Perumal. 3 – كمهري يعني كنياكماري، وهي أبعد نقطة إلى الجنوب من أرض الهند. 4- كانجركوت : مدينة تعرف الآن بكاسركود . 5 – فندرينة : من أقدم موانئ كيرالا وهي الآن بنتلايني Pandalayini, Koilandy . 6 – درمفتن : وهي درمفتنم أو درمدم قريبا من تلشيري Darmadam. 7- شحر : مدينة قديمة تقع على ساحل البحر الهندي قريبا من يمن وهي الآن في صلالة في سلطنة عمان. 8- هيلي مراوي : وهي المعروفة الآن بإيزي مالا Ezhimala. وهي سلسلة جبال مرتعفة عن سطح البحر بثمانمائة وخمسة وخمسين قدما. 9- باكنور : تقع الآن في ولاية كرناتكا. واسمها الحالي: بدكل Batkal. 10- جرفتن: واسمها الحالي سريكندبرم بمقاطعة كانور. 11- ظفار : مدينة قديمة في صنعاء اليمن. 12- قبقاب : حذاء خشبي . 13- ترودي : معناه القدم المقدسة ،كان يلقب بها ملوك ويناد . 14- كابكاد: وهو Kakkad. في مقاطعة كنورن ويقال هي كاباد بمقاطعة كليكوت. 15- ترونكاد تقع في بلدية تلشيري. 16- ميلي وهو مدينة ماهي المعروفة . 17- بندر/ بنادر: مربط السفن أو الميناء.

ترجمة الشيخ زين الدين المخدوم الصغير :

هو الشيخ المخدوم أحمد زين الدين الصغير بن الشيخ محمد الغزالي ابن الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المعروف بالمخدوم الكبير. وكان عالما كبيرا وفقيها متضلعا ومؤرخا جليلا، ذاع صيته في الآفاق بمؤلفاته الشهيرة . وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ولادته ووفاته. ويذكر الدكتور عبد النمر العالم امصري في كتابه تاريخ السملمين في الهند أنه توفي عام 991هـ، بينما يذهب المؤرخ جرجي زيدان إلى أنه مات سنة 978، وهناك مؤرخ مليبازي وهو الشيخ محمد ملسليار يقول إنه ولد عام 931 وتوفي عام 1028هـ.

تربي الشيخ زين الدين في حضانة عمه الشيخ عبد العزيز المعبري ، لأن والده محمد الغزالي توفي في صغر سنه، وبعد أن تلقى مبادئ العلوم الدينية والعربية، التحق بدرس عمه

عبد العزيز في فناني، وتلمذ على الشيخ العلامة إسماعيل السكري، ثم ارتحل إلى مكة المكرمة وقرأ العلوم على العلامة الحافظ شهاب الدين بن حجر الهيثمي مفتي الشافعية للديار المكية آنذاك، كما تلقى العلوم من الشيخ المفتي عز الدين بن عبد العزيز الزمزمي والشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن زياد، والشيخ عبد الرحمن الصفوي ، ثم رجع إلى الوطن وتولى الزعامة الدينية بالديار المليبارية عامة، وزعامة قرية فناني على وجه الخصوص. وقد كان على اتصال دائم بأعيان علماء عصره، وممن يجدر بالذكر منهم السيد أبو بكر بن سالم الحضرمي والشيخ أحمد بن السيد العيروسي الأحمد آبادي والعلامة السيد عبد القادر العيدروسي الأحمد آبادي والشيخ ملا علي الفارسي وغيرهم كثير.

وقام بالتدريس في المسجد الجامع الكبير بفناني 36 عاما، وقد نالت المدرسة الدينينة التي أقيمت في المسجد الجامع في أيامه شهرة كبيرة حتى أمها الطلاب من ملايا وجاوا وإندونيسيا وغيرها من البلدان النائية . وفي خلال إقامته في مسجد فناني تدخل في شؤون السياسة والمجتمع دفاعا عن الاحتلال الرتغالي الغاشم، وكان إلمامه باللغات الهندية والفارسية بجانب العربية ، وتبحره العلمي ، مهدا له الطريق لإيجاد علاقات مع سلاطين مملكة بيجافور أمثال علي عادل شاه ومحمد علي شاه، وقام لهما مقام الناصح الأمين. وكان الملك الساموتري ملك مليبار كلفه مسؤولية المراسلات إلى ملوك العرب وأكرمه غاية الإكرام. وبعد حياة مليئة بالتعليم والتأليف ومشاطرة أحوال الناس، آثر البقاء في موطن والدته ومدفن والده شومبال حيث قضى نحبه، وقبره موجود في مقبرة الجامع هناك.

مؤلفاته:

كان الشيخ زين الدين الصغير علما من الأعلام الذين أنجبتهم بلاد كيرالا، وله عدة مؤلفات بالعربية ما بين الصغير والكبير.ومنها :

قرة العين بمهمات الدين : وهو مختصر في المسائل الفقهية على مذهب الإمام الشافعي. واسمه الكامل " فتح المعين بشرح قرة العين "، وإحكام أحكام النكاح، وإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد وهو في الوعظ والنصائح، وشرح الصدور في أحوال الموتي والقبور، والفتاوى الهندية، والجواهر في عقوبة أهل الكبائر، والأجوبة الصحيحة عن الأسئلة الغريبة.

القصائـــــد العربيـــــــة

هداية الأذكياء إلى طريقة الأولياء للشيخ زين الدين علي الملعبري

التقوى والزهد

الحمد لله الموفق للعلى حمدايوافى بره المتكاملا

ثم الصلاة على الرسول المصطفى و الآل مع صحب و تباع ولا

تقوى الإله مدار كل سعادة و تباع أهوا رأس شر حبائلا

إن الطريق شريعة و طريقة و حقيقة فاسمع لها ما مثلا

فشريعة كسفينة و طريقة كالبحر ثم حقيقة در غلا

فشريعة أخذ بدين الخالق و قيامه بالأمر و النهي انجلا

و طريقة أخذ بأحوط كالورع و عزيمة كرياضة متبتلا

و حقيقة لوصوله للمقصد و مشاهد نور التجلى بانجلى

من رام درا للسفينة يركب و يغوص بحرا ثم درا حصلا

و كذا الطريقة و الحقيقة يا أخى من غير فعل شريعة لن تحصلا

فعليه تزيين لظاهره الجلى بشريعة لينور قلب مجتلا

وتزول عنه ظلمة كى يمكنا لطريقة فى قلبه أن تنزلا
و لكل واحدهم طريق من طرق يختاره فيكون من ذا واصلا
كجلوسه بين الأنام مربيا و ككثرة الأوراد كالصوم الصلا
و كخدمة للناس و الحمل الحطب لتصدق بمحصل متمولا
من رام أن يسلك طريق الأوليا فليحفظن هذي الوصايا عاملا

ومنها الزهد

وازهد وذا فقد علاقة قلبكا بالمال لا فقد له تك اعقلا
والزهد أحسن منصب بعد التقى وبه ينال مقام ارباب العلى
ومحب دنيا قائل اين الطريق أين الخلاص كمسكر شرب الطلا
واترك من الأزواج من ما ساعدت في طاعة واختر عزوبا فاضلا
لسلامة الدنيا خصال أربع غفر لجهل لقوم منعك تجهلا
وتكون من سيب الأناسي آيسا ولسيب نفسك للأناسي باذلا

ترياق لداء الفؤاد :

قال هذا الشيخ أن . كي . أحمد مولوي تهنئة لزميله الأستاذ محي الدين الآلوائي حين تأهل لشهادة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة الأزهر بمصر عام 1971

الخل إن يف يغــية المرتاد وذخـــيرة ليســت بذات نفاذ
إن الجبيـــب الآلوائي الذي يدعى بحمي الدين كان عمادي
لقد سرى طيف الحبيب وإنني أنا ذو شخير في عميـق رقاد
فـــإليّ خيل أنه لم يختتم بعث الإلـــه الرســـل للإرشاد
هل طيفه ملك توحي جاءني ليـــدلني أني نبـــي هـــادي
أبمثل هذا الطيف ضل من افترى دعوى النبوة أم بحمض عنـاد

الطيف أرقني فليلي لم يزل من أجل هذا الطيف ليل سهاد
الطيف ذكرني الحبيب وإنه بالعهد واف منجـــز الميــعاد
الطيف مثله أديبا جهبذا يحكي أديبي وائـــل وإيـــــاد
الطيف مثله خطيبا حاكيا إذ قام يخطب طارق بن زياد
الطيف مثله وقورا سيدا ذا هيبة من أعــظم الــقــواد
متحليا بجميل خلق جاذب لجميع من يلقى وبــشر بـــاد
وأخا وفيا مرفدا لصديقه عند الشدائد أعــتـظم الإرفاد
الطيف مثله يجاهد محييا لليدن كل الوقت حق جـتهاد
الطيف ذكرني سنين قضيتها جسد بحسن تراحم وتــفـــاد
روحا لجسمي كان حينئذ فمن بعد الفراق ظللت مثل جمــاد
لأروح في ولا تطور هل بلا روح نما جسد من الأجســتاد
طر يا حمام وبلغن إلى أخي منـّي ســلام أخـــــوة ووداد
واقصص على محبوب قلبي شاديا قصصي جميعا يا حمام الشادي
يا محيي الدين الموقر إنما لقياك يـــــوما ما أهم مرادي
ذكرى أويقات قضيناها معا قد أكمدتـــني غـــية الإكماد
تالله إن نوى جبيب صادق في حـبـــه لمذيب الأكبـــاد
طالت أحايين التباعد بيننا طولا فيا ويلي بطول بعـــاد
من صبية كنا أوان الوصل يا خلي ذوي شعر شديد ســواد
والآن بعد فراقنا شبنا وقد صرنا من الآباء والأجـــداد
قلبي هيوم يا حبيبي إنه إياك يــذكر دائما وينـــادي
أمن المحال لقاؤنا فمتى به أحظى ولو في مركب أو ناد
لو نلت منك رسالة لوجدتها يا خل بريـــاقا لداء فـؤادي.

قصيدة الفتح المبيـــن

للقاضي محمد بن عبد العزيز الكالكوتي :

الحمد للـــه القوي القادر المالك المفنى العـــلي القاهـر
القاسم الملوك والجبابرة وكاسر الـقـــيول والأكسـرة
وهو الذي ما شاءه يكون وكل ما لا فهـــو لا ـــيكـــون
ثم صلاة الله مع سلام على النبي المصطفى التهامي
محمد وآله الأبراز وصحبـــــه والتابـــع الأخـيار
وبعد حمد الله والصلاة على النبي وآله الـهـــــــــداة
فإن هذي قصة عجيبة في شرح حرب شأنها غريبة
واقعة في خطة المليبار ومثلها لم يجر في تلك الديار
بين محب المسلمين السامري وبين خصمه الـــفرنج الكافر
ثمت لما كان نظم النثر يصير الفضة مثـــل النـــضر
كذاك نظم المرء للإفادة يكون عـــند الله كالعبـــادة
نظمت بعضها ومالك الملوك ليسمع القصة سائر الـملوك
لعلهم إذ سمعوا يفتكرون في الحرب أو لعلهم يعتبرون
وعلها تسير في الآفاق لا سيما في الشام والعراق
ويعلموا لهبة السلطان السامري المشهور في البدان
صاحب كالكوت المشهورة لا زال من فضل الغني المعمورة
وهو محب ديننا الإسلام والمسلمين بيـن ذا الأنـــام
ناصر ديننا ومجري شرعنا حتى بخطبة على سـلطـاننا
والمسلمون كلهم رعيته وإن يكن في أي أرض بلدته
ولا يقومفي يمينه أحد في العيد إلا مسلم إلى الأبد

التعريف باشاعـر :

القاضي محمد بن عبد العزيز ولد عام 1577 بكالكوت في أسرة القضاة الدين كان لهم كلام مطاع بين المواطنين بمايقومون به من القضاء الديني وراثيا. تلقى العلوم الدينية الابتدائية من والدته كما تلمذ على الشيخ عثمان لبا القايلي والشيخ عبد العزيزالمعبري. تولى منصب القضاء بعد موت أخيه واستمر فيه حتى وفاته.

وتضلع في العلوم العربية والدينية والفنون العقلية ن النحو والحساب والفلك والفقه وغيرها وقرأ معظمها على القاضي عبد العزيز والشيخ عبد العزيز المخدوم. وكان القاضي يصدر الفتاوى في المسائل الهامة التي تهم المسلمين، وبجانب هذا كان مشهورا بمهارته في الشعر العربي. وقد برع في علوم اللغة العربية وله قصائد كثيرة فيها. كما نال قبولا واسعا في أوساط المسلمين والهنادك على حد سواء. وذلك بفضل موقفه الحاسم من الطغاة البرتغاليين الذين حاولوا تدمير الكيان الثقافي والتسامح الديني العريق ونهب الثروات من ديار مليبار.وكان في طليعة المكافحين ضد الاستعمار الأجنبي مثل أسلافه.

مؤلفاته :

للقاضي نحو خمسة عشر كتابا، وأكثرها منظومة في العلوم الإسلامية والتاريخ. ومن مؤلفاته العربية: مرثيته للشيخ عثمان لبا القايلي، ومقاصد النكاح، والقصيدة المعنونة
’ إلى كم أيها الإنسان‘ وقصيدة الفتح المبين التي أخذت منها الأبيات المذكورة. وفيما يلي تعريف بهذه القصيدة:

وهي أهم المراجع التاريخية التي تسلط الضوء على تاريخ الماقاومة وحركة التحرير الوطني . الذي تجاوبت أصداؤه في أرجاء الهند قبل خمسة قرون ، حيث شهدت البلاد الاحتلال

البرتغالي. ومما يزيد من أهمية الكتاب أن مؤلفه معاصر لهذا الاحتلال شاهد عين لتلك الأحداث الأليمة التي تقشعر منها الجلود وتذوب لها القلوب. وجدير بالذكر ما يقوله المؤرخ الشهير أم . جى. أس . نار اينان في هذاالصدد:

" إن ساموتري كان هو الوحيد الذي صمد لمقاومة البرتغال حتى آخر لحظاته. وكان المسلمون في مليبار ساعده الأيمن في هذه المقاومة، بعثوا في ضميره الثقة والثبات كلما ضعفت همته، حتى استطاعوا أن يطاردوا أولئك الشرذمة الطاغية من الاستعمار الأجنبي وصمودهم أمام اعتداءاتهم الوحشية . ولو لا ذلك لكانت مدينة كالكوت بمثابة غوا (Gova) ولسيطر البرتغاليون على كيرالا ، وصارت الهند مستعمرة للبر تغاليين مكان البر يطانيين."

وقد أحب الشاعر الملك الساموتري حبا جما، ويصفه بالعدل ورجاحة العقل ورحب الصدر وهمة النفس، ويشيد باهتمامه بشؤون المسلمين، لأنه سمح لهم بنشر الدين وبناء المساجد. ثم يلتمس من المسلمين أن يدعوا له بالخير والبركة . وقد جمع القاضي الوثائق التاريخية لتأليفها من والده القاضي عبد العزيز ومن البطل الباسل أحمد القمامي.

إن محور القصيدة الذي يدور حوله حادثة فتح قلعة شاليم التي شيدها البرتغاليون على أيدي جنود ساموتري ملك مليبار آنذاك. كما أنه مرآة صادقة للحياة الاجتماعية التيكان يسودها المؤاخاة والألفة بين المسلمين والهنادكة. ومن جهة آخرى هي تجسد الغيرة الوطنية الشديدة والبسالة النادرة التي كانت تغمر قلوب المواطنين أمام الاضطهاد والمؤامرات البرتغالية. وقد مارسوا في أول أمرهم سياسة المداهنة وامجاملة حيث حملوا الهدايا الفاخرة إلى الملك ساموتري وعبروا عن رغبتهم بالإقامة في بلده بكل تواضع واستسلام. ولما استقروا هنا تغيرت طبيعتهم ، وسيطروا على كامران وجزيرة سيلان حتى ضاق الملك بهم ذرعا.

كما مارسوا سياسة حرب جديدة ضد المواطنين، وذلك ببناء القلاع التي تضمن لهم الحماية والسلامة وتتيح الفرص للإغارة على غيرهم من حيث لا يعلمون. وقد بنوا قلعةفي

مدينة كالكوت بموافقة من الملك ساموتري بعد أن أخذ منهم العهد والميثاق على مراعات النظام الاجتماعي، ولكن لما قامت قائمتهم وصار لهم مقر انقلب الأمر على رأسه. ووعدوا ساموتري بأضعاف الضرائب التي كانت بجبي من التجار العرب المسلمين. واتهرزوا هذه الفرصة لقص أجنحة المسلمين في مجال التجارة وإرجاعهم القهقري اقتصاديا واجتماعيا حتى يأخذوا منهم الثار لذلك السخط المدفون. وأما قلعة شاليام، فإنهم بنوها إضعافا لقوى الملك ساموتري. فهي أكبر القلاع وأصنها وأوفرها عدة، لأنها كانت في موقع استراتيجي، حيث إن قرية شاليام بمثابة شبه جزيرة، يحدها من الشمال نهر جاليار الذي اشتق منه اسم القرية ، كما يحدها من الجنوب نهر كادلوندي، أما في الشرق فهناك امتداد من مياه البحر، مما جعل هذا الموقع يضمن لهم بقاء القلعة. وقد تم إنشاء هذه القلعة بإرشاد من ملك كوشن الذي كان يضمر الحقد والبغضاء للملك ساموتري، ومعه ملك ويتام الذي هو الآخر ممن يرغب أن يتحرر من زعامة ساموتري . لأنهم ، ما داموا تحت زعامته ، ليس في وسعهم التدخل في المهمات التجارية إلا بواسطته وبموافقه منه .وقد بنوا قلعة شاليام لتكون مقرا لهم للإرصاد البحرى لكي يطلعواعلى سفن العرب والمسلمين التي .

وقد حاول البرتغال اغتيال الملك ساموتري متظاهرين بتكريمه بتقديم هدية إليه. إلا أن الملك تخلص من كيدهم وعزم على الهجوم عليهم وأغار عليهم بالمنجنيق حتى فروا مدبرين بعد أن صرع منهم عدد كبير.

كما تبلور القصيدة عواطف جيل كامل في صورها الرائعة. تلك العواطف التي كانت أقوى من قلاع البرتغال . وإنما وحدت عواطفهم بتوحيد قلوبهم الذي يتجسد في موقفهم من الأعداء حين اضطرمت نيران الحرب في قلعة شاليام، حيث اجتمع المسلمون في مكان وغير المسلمين في مكان آخر وحيث قال قائلا من المسلمين: نحن بمفردنا نهاجمهم ونصرعهم . فأجاب إخوانهم من نايار: لا ، أنتم قليل، ونحن معكم، فلنهاجم معا الأعداء. هذا هو المثل الأعلى

للمؤاخاة الوثيقة بين الأديان وأهلها. وما أشد حاجتنا إلى إحياء هذا النداء وتجديده في هذه الأيام التي صار فيها كل واحد بمعزل عن الآخر. ويكفي هذه القصيدة قيمة وفضلا أنها تحمل في طياتها هذا النداء الإنسانى ينبغي أن تتردد أصداؤه في ضمير كل جيل.

ويصف القاضي هول هذه الحروب والظروف التي نشبت فيها والأعمال الوحشية التي قام بها البرتغال، كما يبين مناقب الملك ساموتري وما يجب على المسلمين من إسداء الخير إليه والدعاء له.

حجـــة اللـــه البـالـغـــــة

الشيخ شاه ولي الله الدهلوي

المبحث الرابع : مبحث السعادة – باب حقيقة السعادة

اعلم أن للإنسان كمالا تقتضيه الصورة النوعية وكمالا يقتضيه موضوع النوع من الجنس القريب والبعيد. وسعادته التي بضره فقدها ويقصدها أهل العقول المستقيمة قصدا مؤكدا، هو الأول. وذلك أنه قد يمدح في العادة بصفات يشارك فيها الأجسام المعدينة كالطول وعظم القامة. فإن كانت السعادة هذه فالجبال أتم سعادة، وصفات يشارك فيها النبات كالنموّ المناسب والخروج إلى تخاطيط جميلة وهيآت ناضرة، فإن كانت السعادة هذه فالشقائق والأوراد أتم سعادة، وصفات يشارك فيها الحيوان كشدة البطش وجهورية الصوت وزيادة السبق وكثرة الأكل والشراب ووفور الغضب والحسد، فإن كانت السعادة هذه فالحمال أتم سعادة ، وصفات يختص بها الإنسان كالأخلاق المهذبة والارتفاقات الصاحلة والصانائع الرفيعة والجاه العظيم. فبادئ الرأي أنها سعادة الإنسان، ولذلك ترى كل أمة من أمم الناس يستجب أتمهاعقلا وأسدها رأيا أن يكتسب هذه ويجعل ما سواهاكأنها ليست صفات مدح. ولكن الأمر إلى الآن غير منقح، لأن أصل هذه موجود في أفراد الحيوان، فالشجاعة أصلها الغضب وحب الانتقام والثبات في الشدائد والإقدام على المهالك، وهذه كلها موفرة في الفحل من البهائم. لكن لا تسمى شجاعة إلا

بعد ما يهذبها فيض النفس النطقية فتصير منقادة للمصلحة، منبعثة من داعية معقولة. وكذالك أصل الصناعات موجود في الحيوان كالعصفور الذي ينسج العش، بل رب صنعة يصنعها الحيوان بطبيعته لا يتمكن منها الإنسان بتجشم، كلا بل الحق أن هذه سعادة بالعرض، وإن السعادة الحقيقة هي انقياد البهيمية للنفس النطقية وإتباع الهوى للعقل وكون النفس الناطقة قاهرة علىالبهيمية والعقل غالبا على الهوى وسائر الخصوصيات ملغاة، واعلم أن الأمور التي تشتبك بالسعادة الحقيقية على قسمين: قسم هو من باب ظهور فيض النفس النطقية في المعاش بحكم الجبلة ولا يمكن أن يحصل الخلق المطلوب بهذا القسم، بل ربما يكون الغوص في تلك الأفعال بزينها، لا سيما بفكر جزئي كما هو شأن الناقص ضد الكمال المطلوب، كالذي يقصد تحصيل الشجاعة بإثارة الغضب والمصارعة ونحو ذلك ، أوالفصاحة بمعرفة اشعال العرب وخطبهم. والأخلاق لا تظهر إلا عند مزاحمات من بني النوع، والارتفاقات لا تقتنص إلا بحاجات طارئة . والصنائع لا تتم إلابآلات ومادة . وهذه كلها منقضية بانقضاء الحياة الدنيا. فإن مات الناقص في تلك الحالة وكان سمجا بقي عاريا عن الكمال، وإن لزق بنفسه صور هذه العلاقات كان الضرر عليه أشد من النفع . وقسم إنما روحه هيئة إذعان البعيمية للملكية بأن تتصرف حسب وحيها، وتنصبغ بصبغها وتمنع الملكية منها بأن لا تقبل ألوانها الدنية ولا تنطبع فيها نقوشها الخسيسة، كما تنطبع نقوش الخاتم في الشمعة. ولا سبيل إلى ذلك إلا أن تقتضي بالملكية شيئا من ذاتها وتوحيه إلى البهيمية وتقترحه عليها، فتنقاد لها ولا تبغي عليهاولا تتمنع منها، ثم تقتضي أيضا فتنقاد هذه أيضا، ثم وثم حتى تعتاد ذلك وتتمرن، وهذه الأشياء التي تقتضيها هذه – المليكة – من ذاتهاوتقسر عليها تلك – البهيمية – على رغم أنفها إنما يكون من جنس ما فيه انشراح لهذه وانقباض لتلك، وذلك كالتشبه بالملكوت والتطلع للجبروت، فإنها خاصة الملكية بعيدة عنها البهيمية غاية البعد أو يترك ما تقتضيه البهيمية وتستلذه وتشتاق إليه في غلوائها.

وهذا القسم يسمى بالعبادات والرياضات، وهي شركات تحصيل الفائت من الخلق المطلوب. فأول تحقيق المقام إلى أن السعادة الحقيقية لا تقتنص إلا بالعبادات ولذلك كانت

المصلحة الكلية تنادي أفراد الإنسان من كوة الصورة النوعية، وتأمرها أمرا مؤكدا أن تجعل إصلاح الصفات التي هي كمال ثان (يعنى الارتفاقات الصاحلة والصنائع العجيبة) بقدر الضرورة، وأن تجعل غاية همتها ومطمح بصرها تهذيب النفس وتحليتها بهيآت بجعلها شبيهة بما فوقها من الملأ الأعلى مستعدة لنزول أكوان الجبروت والملكوت عليها، وأن تجعل البهيمية مذعنة للملكية مطيعة لها منصة لظهور أحكامها، وأفراد الإنسان عند الصحة النوعية وتمكين المادة لظهور أحكام النوع كاملة وافرة تشتاق إلى هذه السعادة وتنجذب إليها انجذاب الحديد إلى المغناطيس، وذلك خلق خلق الله الناس عليه وفطرة فطرهم عيها، ولهذاما كنت في بني آدم أمة من أهل المزاج المعتدل إلا فيها قوم من عظمائهم يهتمون بتكميل هذا الخلق ويرونه السعادة القصوى، ويراهم الملوك والحكماء فمن دونهم فائزين بما يجل عن سعادات الدنيا كلها ملتحقين بالملائكة منخرطين في سلكهم حتى صاروا يتبركون بهم ويقبلون أيديهم وأرجلهم، فهل يمكن أن يتفق عرب الناس وعجمهم على اختلاف عاداتهم وأديانهم وتباعد مساكنهم وبلدانهم على شيء واحد- وحدة نوعية، إلا لمناسبة فطرية، كيف لا وقد عرفت المليكة موجودة في أصل فطرة الإنسان وعرفت أفاضل الناس وأساطينهم منهم، والله أعلم.

باب اختلاف الناس في السعادة :

اعلم أن الشجاعة وسائر الأخلاق كما يختلف أفراد الإنسان فيها، فمنهم الفاقد الذي لا يرجى له حصولها أبدا لقيام هيئة مضادة في أصل جبلته كالمخنث وضعيف القلب جدا بالنسبة إلى الشجاعة . ومنهم الفاقد الذي يرجي له ذلك بعد ممارسة أفعال وأقوال وهيآت تناسبها وتلقى ذلك من أهلهاوتذكر أحاديث ائمتها وماجرى عليه من الحوادث في الأيام، فثبتوا في الشدائد وأقدموا على المهالك، ومنهم الذي خلق فيه أصل الخلق، ولا تزال تنبجس فيه فلتات – هفوات – كل حين، فإن أمر بجبس نفسه عنها ضاق عليه الأمر وسكت على غيظ، وإن أمر بما يناسب جبلته كان كالكبريت يتصل به النار فلا يتراخى احتراقه، ومنهم الذي خلق فيه الخلق كاملا

وافرا. ويندفع إلى مقتضياته ضرورة، وإن دعي إلى الجبن مثلا أشد دعوة لم يقبل،ويتيسر له الخروج إلى أفعال هذه الخلق والهيآت المناسبة له بالطبع من غير رسم ولا دعوة، وهذاهو الإمام في الخلق، لا يحتاج إلى إمام أصلا ويجب على الذين هم دونه في الخلق أن يتمسكوا بسنته ويعضوا بنواجذهم على رسومه ويتكالفوا في محاكاة هيآته ويتذكروا وقائعه ليخرجوا إلى الكمال المتوقع لهم من الخلق بحسب ما قدر لهم.

فكذلك يختلفون في هذا الخلق عليه مدار سعادتهم ، فمنهم الفاقد الذي لا يرجى صلاحه كالذي قتله الخضر، طبع كافرا وإليه الإشارة في قوله تعالى (صم بك عمي فهم لا يرجعون) ، ومنهم الفاقد الذي يرجى له ذلك بعد رياضات شاقة وأعمال ديمة يؤاخذ بها نفسه ويحتاج إلى دعوة حثيثة أولا وبالذات، ومنهم الذي ركب فيه الخلق إجمالا وينبجسمنه فلتاته ، إلا أنه يحتاج في التفصيل وتمهيد الهيآت على ما يناسب الخلق في كثير مما ينبغي إلى إمام وفيه قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) وهم السباق، ومنهم الأنبياء يتأتى لهم الخروج إلى كمال هذا الخلق واختيار هيآت مناسبة له وكيفية تحصيل الفائت منه وإبقاء الحاضر وإتمام الناقص من غير إمام ولا دعوة، فينتظم من جريانهم في مقتضى جبلتهم سنن يتذكرها الناس ويتخذونها دستورا، كيف ولما كانت الحدادة والتجارة وأمثالهما لا تتأتي من جمهور الناس إلا بسنن مأثورة عن أسلافهم فما ظنك بهذه المطالب الشريفة التي لا يهتدي إليها إلا الموفقون، ومن هذا الباب ينبغي أن يعلم شدة الحاجة إلى الأنبياء ووجوب اتباع سنتهم والاشتغال بأحاديثهم، والله أعلم.

الخلاصـــة :

إن الله تعلى خلق الإنسان وزوده بالعقل والقدرات المختلفة لتحقيق غاية واحدة، فهي السعادة الأبدية التى لا ينالها تماما إلا في الحياة الأخروية. أماماينالـه في هذه الدينا فهي سعادة ناقصة، بل ربما فيهامحنة وبلاء. ولا يغرن أحد ما نال منها، وقد أوتي الإنسان من الصفات مثل ما أوتي البهائم، بل هن أوفر حظا منه، وهذه الصفات ليست معيار للسعادة. والسعادة هو

الاحتفاظ بالصفات الملكية والتغلب بها على الصفات البهيمية، وقد أودع الله في الإنسان طبيعة قابلة لكل الخير ومانعة لكل الشر. وهو ينجذب بطبيعته إلى الطيب الصالح ويتحمس لتقويته وتنشيطه، ولكنه معرض للأخطاء والهفوات، يحتاج إلى من يرشده إلى الصواب، ولهذا أرسل الله الرسل بالوحي الذي يعلم الإنسان ما لم يعلم . وإذا هو يتبع تعاليم الوحي الإلهي ويقوم بإصلاح باطنه، فإنه هو وحده الذي يشعر لذة السعادة، وكلما يحلو له إيمانه واعتقاده بالله يكون فيه الاستعداد الدائم للمبادرة بالأعمال الصلحات التي هي الأخرى تجلب السعادة إليه.

Model Examination

SECOND YEAR M.A.DEGREE EXAMINATION (ARABIC)

PAPER:ARB-11

INDO ARABIC LITERATURE

Time: 3 Hours **Marks:100**

وفق بين الطائفتين **4**

1) أول محدث ومفسر استقر في الهند - تاج الدين الملتاني
2) صاحب شرح الهداية - غياث الدين بالبن
3) مؤسس دولة آل تغلق - القاضي حميد الدين الدهلوي
4) صاحب خلاصة جواهر القرآن - الشيخ محمد اسماعيل

اجب في كلمة : **4**

5) من مؤسس دولة آل تغلق؟
6) متى حكم المغول الهند؟
7) من اين قدم بابر التيمور الى الهند؟
8) من مؤلف فتح المعين؟

كمل الآتية **4**

9) نظم قصيدة "الى كم ايها الإنسان".....
10) مؤلف حجة الله البالغة.....
11) كاتب "ابجد العلوم.....
12) كتاب " الهند في العهد الاسلامي" تأليف.....

املأ الفراغ بارقام السنة المناسبة **4**

13) استمر حكم الغزنويين من سنة .....الى.....

14) توفي اشيخ زين الدين المخدوم الكبير سنة.....

15) حكم المغول من سنة 993 الي.....

16) ولد القاضي محمد بن عبد العزيز الكاليكوتي سنة.....

اجب في جمل قصيرة **4**

17) من ألف " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"؟

18) من كتب كتاب سيرة النبوية؟

19) في أي فن كتاب فيض الباري للشيخ محمد انوارشاه الكشميري؟

20) ما هي محتويات كتاب " التفهيمات الالهية" لشاه ولي الله الدهلوي

اجب للأسئلة الآتية: **7x2=14**

21) ما هو موضوع كتاب تحفة المجاهدين؟

22) ما هو الموضوع الذي يبحث في إلى كم أيها الإنسان؟

23) ما هي محتويات كتاب منهج الدعوة؟

24) اكتب ما تعرف عن كتاب " المسلمون في الهند"؟

25) بأي شيئ اشتهر فتح المبين؟

26) اكتب دور ابي الحسن علي الندوي في مجال الصحافة؟

27) ما موضوع محي الدين آلواي لرسالته التي اعدها لدرجة الدكتوراه؟

اجب ستة من الآتية حيث لا يقل عن صفحة **6x4=24**

28) خدمات الشيخ صدقة الله القادري

29) انشطة شاه ولي الله الدهلوي في نشر العلوم

30) اهمية قصيدة فتح المبين

31) المؤلفات العربية للشيخ زين الدين المخدوم الكبير

32) أوضح مكانة الفتح المعين بين الكتب الفقهية

33) دور ابو ليلى محمد ميران في مجتمع كيرلا

34) اكتب عن أهمية الفتح المبين للقاضي محمد

35) اكتب وجهة الشيخ محمد انور شاه الكشميري عن اعجاز القررآن

بين سبعة من الآتية بيانا وافيا **7x6=42**

36) ابو الحسن علي الحسني الندوي

37) الامير صديق حسن خان القنوجي

38) شاه ولي الله الدهلوي

39) زين الدين المخدوم الكبير

40) غلام علي آزاد البلغرامي

41) دور السيد محمد الحسني في الصحافة العربية

Model Examination

SECOND YEAR M.A.DEGREE EXAMINATION (ARABIC)

PAPER:ARB-11

INDO ARABIC LITERATURE

Time: 3 Hours **Marks:100**

وفق بين الطائفتين **4**

1) راي بريلي - محي الدين
2) آلوائي - محمد ميران
3) بولكل - أنور شاه
4) ودوان - أبو الحسن الندوي

اجب في كلمة : **4**

5) من المعروف بحسان الهند؟
6) ما اسم الكتاب الذي ألف فيض الحسن السهارنفوري في شرح سبع المعلقات؟
7) أين أسس ندوة العلماء؟
8) من ترجم رواية شمين إلى العربية؟

كمل الآتية **4**

9) "ربانية لا رهبانية" من تأليفات.....
10) ألف "الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القاهرة الهندية".....
11) "إلى كم أيها الإنسان" من تأليفات .....
12) ألف....."فيض الباري"

املأ الفراغ بارقام السنة المناسبة **4**

13) توفي شاه ولي الله الدهلوي سنة .....

14) ولد السيدغلام علي آزاد سنة.....هجرية

15) يشمل "ديوان الفيض "..... بيتا

16) ولد السيد عبد الحي الحسني سنة.....

اجب في جمل قصيرة **4**

17) من ألف " الإسلام والمستشرقون"؟

18) من ترجم"كتاب الهند" إلى مليالم؟

19) كاتب "بسط اليدين لنيل الفرقدين؟

20) من ألف نزهة الخواطر؟

اجب للأسئلة الآتية: **7x2=14**

21) أذكر عن تلامذة شاه ولي اللله الدهلوي

22) لماذا لقب غلام علي آزاد باسم "حسان الهند"؟

23) اذكر بعض ابيات فيض الحسن السهارنفوري؟

24) ما الموضوع نزهة الخواطر؟

25) في أي عصر عاش شاه ولي الله الدهلوي؟

26) في أي سنة ولد محي الدين الألوائي؟

27) من الأديب الهندي الذي نال جائزة فيصل العالمية؟

اجب ستة من الآتية حيث لا يقل عن صفحة **6x4=24**

28) شاه ولي الله الدهلوي وعلوم الدين

29) خدمات فضل الحق الخيرابادي للأدب الهندي

30) أبوالحسن علي الندوي وأدب الرحلة

31) قيمة "نزهة الخواطر" في الأدب العربي الهندي

32) مدح الرسول في تأليفات غلام علي آزاد البلغرامي

33) خصائص الشعر عند فضل الحسن السهارنفوري

34) رحلات أنور شاه الكشميري العلمية

35) قدوم الإسلام إلى الهند

بين سبعة من الآتية بيانا وافيا **7x6=42**

36) ابو الحسن علي الندوي

37) فضل الحسن السهارنفوري

38) عبد الحي الحسني

39) محي الدين الألوائي

40) أنور شاه الكشميري

41) غلام علي آزاد البلغرامي

Model Examination

SECOND YEAR M.A.DEGREE EXAMINATION (ARABIC)

PAPER:ARB-11

INDO ARABIC LITERATURE

Time: 3 Hours **Marks:100**

وفق بين الطائفتين **4**

1) راي بريلي - الشيخ فيض الحسن
2) السهارنفور - غلام علي آزاد
3) فلت - عبد الحي الحسني
4) بلغرام - ولي الله الدهلوي

اجب في كلمة : **4**

5) من معروف بأبي ليلى؟
6) من هو المؤلف "مقاصد النكاح"؟
7) من لقب باسم "علي ميان"؟
8) في أي سنة توفي ولي الله الدهلوي؟

كمل الآتية **4**

9) كتب ....."الطريق إلى المدينة"
10) "منهاج الدعوة" من تأليفات.....
11) ألف ....."بصيص من الرحمان"
12) "مشكلات القرآن من تأليفات.....

املأ الفراغ بأرقام السنة المناسبة **4**

13) ولد شاه ولي الله الدهلوي سنة .....

14) ألف سبحة المرجان سنة.....هجرية

15) ولد فيض الحسن السهارنفوري سنة.....

16) .....هو والد أبو الحسن الندوي

اجب في جمل قصيرة **4**

17) من ألف " الإسلام والغرب"؟

18) متى ولد قاضي محمد؟

19) اين تقع دائرة المعارف؟

20) من ألف " الثقافة الإسلامية في الهند"

اجب للأسئلة الآتية: **7x2=14**

21) أذكر عن رحلة شاه ولي الله الدهلوي إلى الحرمين الشريفين

22) أذكر عن "سبحة المرجان في آثار هندستان" في كلمات وجيزة

23) ما الموضوع "كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"

24) في أي سنة ولد محمد بن ميران؟

25) من ألف الأدب الهندي المعاصر؟

26) دور أبي الحسن علي الندوي في الصحافة ؟

27) ما اسم قصيدة المخدوم الكبير ضد احتلال البرتغال؟

اجب ستة من الآتية حيث لا يقل عن صفحة **6x4=24**

28) أهم المؤلفات لأبي الحسن علي الندوي

29) محي الدين الألوائي وحياته في جامعة الأزهر

30) خصائص الشعر أبي ليلي محمد ميران

31) آراء أنور شاه علي إعجاز القرآن

32) مؤلفات مهمة من عبد الحي الحسني

33) الفتح المبين ومقاومة على الاحتلال

34) خدمات زين الدين المخدوم الكبير في الدفاع الوطني

35) الأدب العربي في الهند

بين سبعة من الآتية بيانا وافيا **7x6=42**

36) زين الدين المخدوم الصغير

37) شاه ولي الله الدهلوي

38) أنور شاه الكشميري

39) محي الدين الألوائي

40) أبو ليلى محمد بن ميران

41) السيد عبد الحي الحسني

المصادر والمراجع :

1) الفاروقي ، د/ جمال الدين وعبد الرحمن محمد الأدرشيري وعبد الرحمن المنغادي "أعلام الأدب العربي في الهند" ، مكتبة الهدى ، كاليكوت ، 2008 م.
2) الفاروقي ، الدكتور ويران محي الدين ، "الشعر العربي في كيرلا- مبدؤه وتطوره" ، أربنت ، كاليكوت ، 2003 م.
3) القاسمي ، عبد الغفور عبد الله ، "المسلمون في كيرلا" ، مكتبة أكمل ، ملابرم، 2000 م
4) محمد الفاروقي ومحمد إسماعيل المجددي، "العربية وآدابها" ، مكتبة ارشاد ، كاليكوت.
5) الندوي، أبو الحسن علي الحسن، "المسلمون في الهند" ، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكناؤ، 1998.